# التيار السياسي فى شعر المتنبي : الموقف والأداة

د. عبد الغفار عبد العزيز عبد الغفار عطية
أستاذ الأدب العباسي المساعد بقسم اللغة العربية
بكلية التربية – جامعة دمنهور

# التيار السياسي فى شعر المتنبي : الموقف والأداة

**عبد الغفار عبد العزيز عبد الغفار عطية**
**قسم الأدب والنقد بقسم اللغة العربية بكلية التربية – جامعة دمنهور**
**البريد الإلكتروني :** abdulghaffar@azhar. edu. eg

**الملخص :**

يدور هذا البحث حول شعر المتنبى ، وتنصرف العناية فيه إلى تتبع التيار السياسى ، والكشف عن الاتجاهين : الفكرى والفنى فيما يتصل بهذا التيار ، وقد اهتم البحث بالتوطئة التاريخية ، وسلط الضوء على بواعث شعر التيار السياسى عند المتنبى ، حيث تمثلت هذه البواعث فيما يلى : الطموح والاستعلاء ، والذات المنتقدة ، والنزعة الثورية ، والنزعة العربية ، وإعجاب المتنبى بسيف الدولة الحمدانى ، وقد تضافرت هذه البواعث ، وظهرت تداعياتها بجلاء فى شعر المتنبى عبر شتى مراحله التى رصدها البحث واستقصى الشعر المتواشج بها فى إطار تحليلى أماط اللثام عن خصوصية هذا الضرب من شعر المتنبى وفرادته التى جعلت شهرته تطبق الآفاق ، ومن هذا المنطلق فقد اهتم الباحث بشعر التيار السياسى لدى هذا الشاعر فيما قبل المرحلة الحلبية ، كما عنى بهذا النمط من الشعر فى المرحلة الحلبية ، حيث كان تبيان مردود الموقف السياسى تجاه التمرد ؛ سعيًا لتحقيق الاستقرار السياسى المنشود ، واهتم البحث أيضًا بتداعيات الموقف السياسى نحو الروم ، بما يعنى أن المشهد السياسى – فى هذه المرحلة – قد ارتبط بنوعين من الصراع : أحدهما على الصعيد الداخلى ، والآخر على الصعيد الخارجى ، مما منح هذا الشعر استيفاء الأبعاد وتكامل الرؤية ، وتتبع الباحث شعر التيار السياسى لدى المتنبى فيما بعد المرحلة الحلبية ، ولعل ما سلف يقفنا على تغلغل التيار السياسى فى شعر هذا الشاعر وحياته على حد سواء.

**الكلمات المفتاحية :** التيار – السياسي – شعر – المتنبي – الموقف .

# The Political Current in Al-Mutanabi Poetry: The Situation and the Tool

**Abdul Ghaffar Abdul Aziz Abdul Ghaffar Attia**
**Department of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Education - Damanhour University**
**Email**: abdulghaffar@azhar. edu. eg

## Abstract:

This research revolves around the poetry of the Mutanabbi, and the attention in it is directed to following the political current, and revealing the two directions: the intellectual and the artistic in relation to this current, and the research has focused on the historical introduction, and sheds light on the motives of the political current's poetry of the Mutanabi. The arrogance, the critical subject, the revolutionary tendency, the Arab tendency, and the admiration of the Mutanabi for the sword of the state al-Hamdani, and these motives have combined, and their repercussions were clearly evident in the poetry of the Mutanabbi through the various stages that the research monitored and investigated the interwoven poetry in an analytical framework that revealed the specificity of this beating of the poetry of the Mutanabi And his uniqueness, which made his fame apply the horizons, and from this point of view the researcher was interested in the poetry of the political current of this poet before the Aleppo stage, and he also meant this style of poetry in the Aleppine phase, where it was to show the impact of the political position towards the rebellion. In pursuit of the desired political stability, the research also focused on the implications of the political position towards the Romans, which means that the political scene - at this stage - has been linked to two types of conflict: one at the internal level, and the other at the external level, which gave this poetry the fulfillment of dimensions and the integration of the vision, The researcher traced the poetry of the political current of al-Mutanabi after the Aleppo period, and perhaps what preceded us stands for the penetration of the political current in the poetry and life of this poet alike.

**Key words**: Political Current - Poetry - Al-Mutanabi - Position.

**مقدمة :**

لامراء فى أن أبا الطيب المتنبى شاعر عملاق حرى بجم العناية فى دراسة شعره ، وثمة دراسات عديدة مدارها هذا الشعر ، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر : المتنبى : للأستاذ محمود محمد شاكر ، وأبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين : للدكتور مصطفى الشكعة ، وكافوريات أبى الطيب ، دراسة نصية : للدكتور النعمان القاضى ، ومع المتنبى : للدكتور طه حسين ، وقصيدة المديح عند المتنبى وتطورها الفنى : للدكتور أيمن محمد زكى العشماوى ، والصنعة الفنية فى شعر المتنبى ، دراسة نقدية : للدكتور صلاح عبد الحافظ ، والمتنبى وشوقى وإمارة الشعر ، دراسة ونقد وموازنة : للأستاذ عباس حسن ، والمتنبى مالئ الدنيا وشاغل الناس : لمحمد التويخى ، والمحصول الفكرى للمتنبى : لسهيل عثمان ، ومنير كنعان ، والحكمة فى شعر المتنبى : للدكتور يسرى محمد سلامة ، ولغة الحب فى شعر المتنبى : للدكتور عبد الفتاح صالح نافع ، وكنه الأمرأن عناية المحدثين بشعر المتنبى تمثل منحى موصولاً بعناية القدماء بهذا الشعر ، وكان من المؤلفات القديمة المعنية به : الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى ، والرسالة الموضحة فى ذكر سرقات أبى الطيب المتنبى وساقط شعره : للحاتمى ، والإبانة عن سرقات المتنبى : للعميدى ، والصبح المنبى عن حيثية المتنبى : ليوسف البديعى ، علاوة على شروح ديوانه ومنها ما يتواشج بابن جنى وأبى البقاء العكبرى والواحدى .

إن هذه المؤلفات – وسواها كثير – إنما تعكس حجم شاعرية المتنبى، ذى القيمة العظمى والقمة الشماء فى مسيرة الشعر العربى ، بيد أن المؤلفات التى تمحورت حول شعر المتنبى قد انصرفت عناية ذويها إلى الترجمة للشاعر ورصد التاريخ الأدبى أو التأثير البيئى أو غرض بعينه فى شعر المتنبى ، أو وضعه فى ميزان النقد والاهتمام ببعض النواحى البلاغية أو اللغوية فيه ، وليس من بين الدراسات السابقة – فيما أعلم – دراسة مكرسة لرصد التيار السياسى فى شعر المتنبى ، وإبراز مراحله وأبعاده

وتجلياتها وخصائصها الفارقة ، وقد تبين لى عبر عكوفى على ديوان المتنبى تغلغل التيار السياسى فى غير غرض من أغراضه الشعرية ، ومن هذا المنطلق كان توفرى على هذا البحث ، مستهدفاً سبر أغوار هذا التيار ، واستكناهه عبر استنطاق ما يتواشج به من شعر هذا الشاعر وتحليله ، معولاً فى ذلك على المنهج التكاملى ، ومما حفزنى إلى العناية بشعر التيار السياسى لدى المتنبى وجود بعض الدراسات السابقة التى عنى ذووها بشعر بعض الشعراء الآخرين مرتكزين على ظاهرة (التيارات) وقد تنوعت مناحيها.

وانبثاقاً مما سلف جاء اهتمامى بشعر التيار السياسى عند المتنبى ، ذلك الشاعر الذى بلور شعره فكره السياسى عبر مواقف شتى مراحل عمره، وعبر عن منحاه الوجدانى والنفسى من حيث التواشج بالشأن السياسى .

والمراد بالتيار السياسي تلك الظاهرة السياسية الأصيلة المطردة المتغلغلة في أعماق حياة الشاعر وشعره ، والتي اقترنت ببواعث وأهداف وملابسات ومراحل عديدة ، وتواشجت بأبعاد فكرية ونفسية ووجدانية ، على نحو ذي تجليات موضوعية وفنية عبر الإبداع الشعري الذي يؤطر للعلاقة الجدلية.

وقد آثرت تقسيم هذا البحث – بعد المقدمة – إلى المحاور التالية : توطئة تاريخية، وبواعث شعر التيار السياسى لدى المتنبى ، وشعر التيار السياسى فيما قبل المرحلة الحلبية ، وشعر التيار السياسى فى المرحلة الحلبية ، وشعر التيار السياسى فيما بعد المرحلة الحلبية ، وظواهر لافتة فى شعر التيار السياسى لدى المتنبى ، وقضية مقتل المتنبى من منظور سياسى، ثم جاءت الخاتمة مودعة أبرز نتائج هذا البحث .

**توطئة تاريخية :**

شهد القرن الرابع الهجرى – الذى عاش المتنبى فى ظلاله – ترديًا سياسيًا ، حيث وهن فيه الشأن السياسي للخلافة العباسية التى غدت مهيضة الجناح بعد انسلاخ العديد من الإمارات والدويلات عن إهابها ونأيها عن نفوذها وهيمنتها ، وقد سلف هذا الأمر بعض الإرهاصات الدالة على أفول نجم الخلافة القوية سياسيًا ، وكانت الدويلة الطاهرية أولى هذه الدويلات ، وهى معزوة إلى طاهر بن الحسين الخراساني الذى أبلي بلاء حسنًا فى مؤازرة المأمون ضد أخيه الأمين فى سبيل إنتزاع الأول (وأمه فارسية) الخلافة من الثاني (وأمه عربية) وكان ذلك بعد صراع حربي وارٍ أسفر عن مصرع الأمين ليلي المأمون الخلافة بفضل الدعم الأجنبي عبر الجيش الفارسي الذى كان لطاهر بن الحسين دور كبير فيه ، وقد كافأه المأمون بتوليته خراسان وبلادًا كانت فى شرق بغداد ، فكان له الحكم الفعلي المستقل فيها ، أما الخليفة فكان رمزًا سياسيًا ليس غير ، حتى إن طاهرًا قد تمادى فى صلفه واستعلائه على الخليفة العباسي على نحو حظر معه الدعاء له فى خطبة الجمعة كما كان متبعًا من قبل ، وتسنى لأبناء طاهر وآله من بعده توسيع رقعة هذه الدويلة التى انبسط سلطانها فبلغت الهند ، واتخذوا نيسابور عاصمة لها(١).

وقد قامت الدويلة الصفارية على أنقاض دويلة بني طاهر ودام لها الحكم فيما بين عامي ٨٦٧م و ٩٠٧م ، وكانت مثار قلق وتهديد لبغداد فى عهد الخليفة العباسي المعتمد ، وأتت بعد ذلك الدولة السامانية التى قوضت أركان الدولة الصفارية ، وقد كان السامانيون فرسًا استعملهم بنو طاهر بيد أنهم تمكنوا من بسط نفوذهم على سجستان وكرمان وجرجان وما وراء النهر وخراسان ، وظفروا بالاستقلال الفعلي – فى حكمهم – عن الدولة العباسية ، ولم تسقط الدولة السامانية إلا فى عام ٩٩٩م (٢).

وكانت ثمة أيضًا الدويلة الغزنوية فى غزنة ، وهى دويلة تركية ، وقد تمكن ملكها محمود الغزنوي من الاستيلاء على البنجاب وملتان والسند

علاوة على جزء من العراق وأصبهان وخراسان وطخارستان وسجستان ، ويعد هذا الملك أعظم ملوك الدويلة الغزنوية (٣).

وكان مما يؤسى له فى هذه الفترة التاريخية العصيبة أن الشاعر الشهير ابن المعتز (وهو ابن الخليفة العباسي المعتز وحفيد الخليفة العباسي المتوكل) قد ذهب ضحية التطلع السياسي ، وبيان ذلك أن نفسه قد سولت له منازعة (المقتدر) فيما يتواشج بالخلافة ، وتسنى له الاستيلاء على الحكم بيد أنه لم يمكث فيه سوى يوم فحسب ، فسرعان ما تم خلعه بل قتله ، وكان ذلك فى عام ٢٩٦هـ .

وقد اطردت الاضطرابات السياسية العاصفة فى ظل حكم المقتدر ، وهو مَن استوزر ثلاثة عشر وزيرًا مات جلهم قتيلاً ، وقد طالت التقلبات السياسية الخليفة المقتدر نفسه ، حيث تلاعب به مؤنس المظفر – رئيس حرسه – الذى قام بإسناد شئون الدولة العباسية إليه ، ومن عجب أن مؤنسًا قد أقدم بعد ذلك على خلع المقتدر وتعيين القاهر (وهو أخو المقتدر) خليفة للدولة ، وقد استرد المقتدر الخلافة بعد ذلك بيد أن من الجند مَن بادر إلى قتله مقدمًا رأسه إلى مؤنس ؛ استرضاء له .

وفى عهد الخليفة المقتدر احتدم الشأن السياسي ، واضطرمت ناره ، حيث بدا فى بلاد المغرب عبيد الله الفاطمي ، أما الأندلس فقد ظهر على ساحتها عبد الرحمن الثالث الأموى ، حيث نشأت دولتان أخريان ، وكان من دلائل التدهور السياسي – التى يُرثى لها – ما آل إليه بعض خلفاء الدولة العباسية ، وحسبنا أن نومئ هنا إلى سمل أعين ثلاثة خلفاء عباسيين هم : القاهر والمتقي والمستكفي ، ويزداد الإيلام النفسي لنا عندما نقف على الحقيقة المرة التى تتوارى وراء هذه الممارسات الشنيعة ضد الساسة رموز الدولة العباسية ، حيث تشير أصابع الاتهام إلى (أمير الأمراء) وهو قائد الحرس الذى أصدر أمره بسمل الأعين ، ليواجه ذووها بعدئذ مصيرًا مجهولاً مؤلمًا ، وقد تفاقم شأن ابن رائق ذلك الذى صار أمير الأمراء وليس

أدل على ذلك من أنه كان يخطب له مع الخليفة العباسي الراضي ، الذى لقي مصرعه على أيدي جنده [٤].

ومما يجدر ذكره لكونه متواشجًا بهذا المنعطف التاريخي الخطير أن الخليفة العباسي المستكفي [٥]، قد نصَّب أحمد بن بويه أميرًا للأمراء (وكان ذلك فى العام الثاني من خلافة المستكفي أى فى عام ٩٤٥م ، وكان لهذا القرار السياسي تداعياته وعواقبه الوخيمة ؛ فالبويهيون من الفرس الذين كانوا ينسبون أنفسهم إلى الملوك الساسانيين ، وكانت لدى البويهيين تطلعات سياسية وثابة ، حيث كانوا يطمحون إلى تأسيس دولة لهم ، وقد كان ، حيث فرضوا سيطرتهم على أصبهان وشيراز والأهواز وكرمان ، ولم يكتفوا بما سلف ، فقد استولى أحمد بن بويه على بغداد ، وأجلى عنها الحرس التركي ، واستطالت آماله السياسية العريضة مغرية إياه بأن يصدر الأمر بأن يُخطب له مع الخليفة المستكفي ، كما أمر بسك النقود باسمه ، وكانت ثالثة الأثافي حين أمر بسمل عيني الخليفة العباسي المغلوب على أمره – المستكفي – وتعيين المطيع بدلاً منه ، والواقع التاريخي يقفنا على أن البويهيين قد ألفوا تعيين الخلفاء العباسيين وعزلهم فيما يشبه المهزلة على مسرح الحياة السياسية ، وكأن الخليفة العباسي (العربي) قد غدا ألعوبة فى أيدي هؤلاء (العجم) الذين هيمنوا على شئون الخلافة وحكم العراق ، وقد اتخذوا من شيراز عاصمة لدولتهم التى استمرت فيما بين عامي ٩٤٥م و ١٠٥٥م [٦]ومن الحقائق التاريخية ذات الصلة الوثيقة بالسياسة آنذاك أن عضد الدولة – وهو أعظم ملوك البويهيين وأول من أُطلق عليه لقب شاهنشاه – كان وراء تعيين الخليفة العباسي (الطائع) وقد استثمر عضد الدولة دهاءه فى سبيل تحقيق مآربه السياسية ، فنحا إلى توثيق عرى الوشائج بهذا الخليفة عبر المصاهرة إذ تزوج ابنته وبعد ذلك زوَّجَه ابنته ، وكان باعثه على ذلك رغبته فى صيرورة الخلافة إليه أو إلى ذريته ، مما يشي ببعد نظره السياسي [٧].

ولم يقتصر الإطار السياسي على ما سلف ، فثمة مصر التى شهدت قيام دولتين تركيتين على أرضها هما : الطولونية ، والإخشيدية ، وتأسيس الدولة الطولونية معزو إلى أحمد بن طولون الذى حقق الاستقلال الذاتي عن دولة الخلافة العباسية ، معولاً على جيشه القوى الذى جمع من خلاله بين الترك والزنوج ، مما أتاح له الفرصة ليضم بعض المناطق فى سوريا موسعًا رقعة دولته (٨)

وإذا كان أحمد بن بويه قد وظف المصاهرة فى مضمار السياسة فإن خمارويه قد آثر (الزواج السياسي) حيث خلف أباه (أحمد بن طولون) على حكم البلاد ، ثم كان الزواج التاريخي لابنته – قطر الندى – من الخليفة العباسي المعتضد ، وقد تم اغتياله فيما بعد (٩).

أما الدولة الإخشيدية – فهي مقترنة بمحمد بن طغج الإخشيدي الذى أسند إليه الخليفة العباسي الراضي حكم مصر مانحًا إياه لقب الإخشيد (وهو لقب فارسي أميرى) بيد أنه لم يكتف بذلك ، حيث آثر الاستقلال عن دولة الخلافة العباسية ، ودفعه طموحه السياسي الرفيع إلى بسط نفوذه على سوريا وفلسطين والحجاز علاوة على مصر ، وجاء من بعده ابناه اللذان اتسما بالوهن وعدم القدرة على تصريف الشئون السياسية للدولة الموروثة ، وقد نجم عن ذلك أن كافورًا كان الحاكم الفعلي لهذه الدولة التى سقطت بعد موته فى أيدي الفاطميين ، حيث فتحها جيشهم – بقيادة جوهر الصقلي – فى عام ٩٦٩م (١٠).

ولعلنا من خلال ما سلف نقف على أن الدول التى نشأت بمنأى عن السيطرة السياسية للدولة العباسية قد اقترنت بالطابع الأجنبي ؛ فقد كان حكامها من العجم : الفرس والترك ، بيد أن ثمة شعاع أمل كان يومض فى أفق الحياة السياسية عبر تلك الدولة العربية التى اقترنت بالحمدانيين المنتمين إلى قبيلة تغلب العربية ، وشملت دائرة نفوذها الموصل وحلب وحمص وسواها ، وظلت قائمة على ساحة الحياة السياسية نحو سبعين عامًا على الرغم من وجود الأخطار التى كانت تحدق بها من قبل العجم : الفرس

(ممثلين فى البويهيين) والترك (ممثلين فى الإخشيديين) فضلاً عن الروم الذين دخلوا ضدهم فى حومة صراع حربي حامي الوطيس [١١] كما كان للعباسيين موقف مناهض للحمدانيين فى بعض الأحيان ، وهذا يعني أن كثيرًا من القوى السياسية والحربية – الأعجمية والعربية – كانت تتربص بالدولة الحمدانية والدوائر ، بيد أنها صمدت طويلاً ، وكان أبو الهيجاء أول من تولى الحكم من بني حمدان [١٢] وتلاه ابنه ناصر الدولة – فى الموصل – ولما غدا الحكم فى قبضة سيف الدولة شهدت الدولة الحمدانية عصرها الذهبي ؛ فقد كان فارسًا مغوارًا ، وانداحت دائرة طموحاته السياسية ، فوسع نطاق دويلته التى انضوت تحت لوائها حلب وحمص وسواهما ، وأحرز انتصارات مجيدة فى حروبه المطردة ضد خصومه الروم.

تلك كانت إيماضة خاطفة عن الإطار السياسي الذى سلف حياة شاعرنا المتنبى أو واكبها، ومعلوم أن شاعرنا هو أحمد بن الحسين الجعفي الكندي المولود بالكوفة عام ٩١٥م – ٣٠٣هـ، وقد قتل فى عام ٣٥٤م .

**بواعث شعر التيار السياسى لدى المتبنى :**

**١- الطموح والاستعلاء :**

إن استيعاب شعر المتبني يقتضينا استكناه شخصيته ، ورصد ملامحها المميزة والعناصر المكونة لها ، هذه الشخصية ذات الخصوصية والفرادة ، لشاعر متعالٍ أو مستعلٍ ، ويذكي هذا المنحى لديه طموحه الوثاب الذى قاده إلى المغامرة ومجابهة الأخطار والمحن ، وقد بلغ به طموحه الجامح إلى نشدان الحكم فى دأب ، وهو مَنْ عاش فى ظل مناخ سياسي غير سوى ، ولنستمع إليه إذ يهتف قائلاً :

**يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسَمَّى** [١٣]

وإن شاعرنا الذى هذا شأنه لايهاب الردى فى سبيل إحراز المجد والعلا ، وهو القائل :

**وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ والعُلاَ تَسَاوى المَحَايى عِنْدَهُ والمَقَاتِلُ** [١٤]

وإنه ليطلق العنان لخياله ، وتدفعه آماله العريضة إلى أن يقول :

**إِذَا غَامَرْتَ فِى شَرَفٍ مَرُومِ ... فَلاَ تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ** (١٥)

لقد كان المتنبى ذا قناعة مستقرة فى أعماقه باستحقاقه الملك على الرغم من كونه منضويًا تحت لواء الشعراء ، ولذا فلا غرو أن يقول :

**وَفُؤَادِى مِنَ المُلُوكِ وإِنْ كَا ... نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعَراءِ**(١٦)

ويرى شعره ملكًا أيضًا (١٧).

وإبان ثواء المتنبى فى مصر تجلت ذاته المستعلية ، ولاح طموحه الرفيع ، ومصداق ذلك قوله موجهًا خطابه إلى كافور بمناسبة تهنئته بدار شيدها :

**إِنَّمَا التَّهنئَاتُ لِلأَكْفَاءِ ... وَلِمَنْ يَدَّنِى مِنَ البُعَدَاءِ**

**وأَنَا مِنْكَ لاَ يُهَنِّئُ عُضْوٌ ... بِالمَسَرَّاتِ سَائِرَ الأَعْضَاءِ** (١٨)

إنه لا يشعر بالدونية بين يدي حاكم مصر ، ويرى أن منزلته ليست بأدني من منزلة هذا الحاكم ، فهو كفء له .

وقد تحرى المتنبى وهو فى كنفه تحقيق حلمه السياسي (الحكم) متذرعًا بملكته الفذة التى وظفها فى مديح كافور واستدراجه إلى تحقيق أربه، ومن شعره بائية يقول فيها :

**قَالُوا هَجَرْتَ إِليهِ الغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ ... إِلَى غُيُوثِ يَدَيْهِ وَالشَّآبِيبِ**

**إِلَى الذَّى تَهَبُ الدُّولاَتِ رَاحَتُهُ ... وَلاَ يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ** (١٩)

ولم يأت سعي المتنبى لتحقيق طموحه السياسي السامي على نسق واحد ، حيث راوح فى شعره – الموجه إلى كافور – بين التلميح والتصريح ، وشاعرنا الطموح الذى كان كلفًا بطلب الملك ، لم يأل جهدًا فى سبيل إدراك هذه الأمنية الغالية ، ومن هذا المنطلق فقد كان ينحو إلى تحفيز نفسه لبلوغ مناه ، مستنكرًا بيع الشعر فى سوق الكساد – على حد تعبيره – حيث قال :

**إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفُ والتَّوَانِي ... وَكَمْ هَذَا التَّمَادِى فِى التَّمَادِى**

وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ المَعَالِي بِبَيْعِ الشِّعْرِ فِى سُوقِ الكَسَادِ
وَمَا مَاضِي الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَلاَ يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ (٢٠)

لقد كان شاعرنا من طلاب المعالي ، وهذا ما يتجلى عبر قوله :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِى طَلَبِ المَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِى طَلَبِ المَعَاشِ (٢١)

ويتبدى المنحى الفكرى أيضًا له إذ يقول :

عَجِبْتُ لَمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ وَيَنْبُو نَبْوَةَ القَضْبِ الكَهَامِ
وَمَنْ يَجِدْ الطَّرِيقَ إِلَى المَعَالِى فَلاَ يَذَرُ المَطِيَّ بِلاَ سَنَامِ (٢٢)

إنه ليعجب لمن يتوافر لديه البأس والشباب ولا يمضي فى الأمور بفاعلية وحسم فيكون عندئذ شبيهًا بالحسام ذى الفلول وعدم القدرة على البتر، ويعجب كذلك لمن كانت السبيل مهيأة أمامه لمعالي الأمور ويتخاذل ، ولا يبادر إلى قطعها فى همة كي يحقق مبتغاه الذى يقترن بالنَّصَب .

والمتنبى ينشد العز ولو اقترن باقتحام الأهوال والمعاناة ، كما أنه يمقت الهوان ولو كان فى جنان الخلد ، فهو أبي طموح ، يفصح عن كنه موقفه عبر قوله :

فَاطْلُبِ العِزَّ فِى لَظَى وَذَرِ الذ لَّ وَلَوْ كَانَ فِى جِنَانِ الخُلُودِ (٢٣)

وشاعرنا ذو الطموح والاستعلاء لا يتورع عن أن يخاطب ممدوحه سيف الدولة قائلاً :

لَكَ الحَمْدُ فِى الدُّرِّ الذِى لِى لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاظِمُ (٢٤)

إننا لنكاد نستشعر الندية عبر هذه المشاركة التى يتوخى الشاعر إحداثها بيته وبين ممدوحه، وينبغي أن يكون المنطلق فى تفسير هذا الشأن من المنظور النفسي الذى يتغيا الغوص فى أعماق الشاعر – عبر شعره – لسبر أغواره .

وقد حدت بالمتنبى شدة إعجابه بنفسه إلى أن يقول فى عجب مفتون :

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ (٢٥)

إن عجبه منبثق من امرئ عجيب ، لا يرى أحدًا أفضل منه ، أو يتمتع بمزية يبزه بها ، ومن هنا فإنه لا ينظر إلى عجبه على أنه مذكر .

ومع طموح الشاعر واستعلائه – وقد كان لهما مردود جلي على شعر التيار السياسي لديه – فإنه لم ينل ما كان يتغياه ، وكأني به مستشرفًا آفاق المستقبل حين قال :

**مَـا كُـلُّ مَـا يَتَمَنَّـى المَـرْءُ يُدْرِكُـهُ تَجْـرِى الرِّيَـاحُ بِمَـا لاَ تَشْـتَهِي السُّـفُنُ**(٢٦)

لقد تبددت الأماني السياسية الكبرى ، وتحطمت على صخرة واقع أليم غير مواتٍ ، فانعكس هذا بدوره على نفسيته التى أفصحت عن كنهها فـى شعره الذى استوعب فكره ووجدانه ، وترجم عن آماله وآلامه ، فاصطبغ فى بعض الأحيان بالطابع السوداوى ، ومن تمظهرات ذلك قوله ملتاعًا :

**فَمَـالِىَ ولِلـدُّنْيَا طِلاَبِـى نُجُومُهَـا وَمَسْـعَاىَ مِنْهَـا فِـى شُـدُوقِ الأَرَاقِـمِ** (٢٧)

وقوله أيضًا فى نبرة لم تخل من إيحاء بالإخفاق والتحسر واليأس :

**أُرِيـدُ مِـنْ زَمَنِـى ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِـى مَـا لَـيْسَ يَبْلُغُـهُ مِـنْ نَفْسِـهِ الـزَّمَنُ** (٢٨)

وحسب المتنبى أنه قد سعى حثيثًا إلـى إحـراز المجـد السياسـي ، ولا تثريب عليه فى أن يكون ذا همة سامية ، وتطلع إلى الظفر بالإمـارة ، أو المنصب المرموق ، حيث إن ثمة بعض الشعراء المشهورين فى العصر العباسي قد سبقوه إلى تولي بعض المناصب المهمة ، وحسبنا أن نذكر مسلم بن الوليد – صريع الغواني – الذى ولاه ذو الرئاستين – الحسن بن سهل – بريد جرجان ، وفى رواية : المظالم بجرجان (٢٩)وهناك أيضًا أبو تمام الذى ولي بريد الموصل ، وأعانه على ذلك الحسن بن وهب الذى كـان وزيـرًا وشاعرًا .

أما دعبل بن على الخزاعي – الشاعر الهجاء – فقد وفد إلى مصر ، وولاه واليها المطلب ابن عبد الله بن مالك على أسوان ، وكان كلاهما منتميًا إلى خزاعة .

فضلاً عن الوزراء الذين تقلدوا منصـب الـوزارة ، وكـانوا مـن مشهورى الكتاب ، وكان منهم محمد بن عبد الملك الزيات (وقد كان كاتبًـا

وشاعرًا فى العصر العباسي الأول) كما كان هناك الكاتب الوزير ابن العميد الذى عاصره المتنبى ومدحه .

ولا ريب فى أن المتنبى كان على دراية بالأدباء الذين ظفروا بسامى المناصب ، فتاقت نفسه إلى أن يتقيلهم فى هذا المنحى الذى يتسق معه ؛ فهو ذو اتسام بالكبرياء والشموخ والاستعلاء والنزعة العربية الأصيلة ، ولعلنا فى ضوء هذا نستطيع تفسير ما حدث بعد مغادرة المتنبى مصر وتوجهه إلى بغداد – بعد ذهابه إلى الكوفة – " وفى بغداد أراد الوزير المهلبي أن يوليه عملاً فى خدمته ، ولكن المتنبى أبى أن يمدح المهلبى " (٣٠).

فما كان منه إلا أن ألب عليه بعض الشعراء الذين لم يتورعوا عن هجائه ، وكان منهم ابن الحجاج وابن سكرة الهاشمي والحاتمي ، بيد أن المتنبى لم يكترث بهم .

لقد كان شاعرنا ذا طموح سياسي سامٍ ، وانبثاقًا من هذا يتسنى لنا تفسير ما حدث له على يد (لؤلؤ) أمير حمص الذى زج بالمتنبى فى غياهب السجن زهاء عامين بدعوى ادعائه النبوة ، وأرجح أن تكون وراء ذلك بعض الأسباب السياسية ، فلم يعد ما حدث كونه وسيلة للتخلص من أحد الخصوم السياسيين أو بالأحرى أحد الذين يُحتمل تشكيلهم خطرًا سياسيًا ، وهذا يستدعي إلى الذهن ما حدث لأديب مرموق قبله ، وهو عبد الله بن المقفع الذى وصم بالزندقة ، وبها قُتل ، وقد كان من ذوى المواقف والآراء ذات الصلة بالشئون السياسية المنوطة بأسلوب الحكم وإدارة الدولة .

وقد كان المتنبى شاعرًا طموحًا يتطلع إلى الإمارة ، ويحلم بالحكم الذى يلبي لديه حاجة نفسية منوطة بما كان يتوسم فى نفسه من كفاءة قيادية، ولعل ما يعضد ترجيحي الآنف موقفه بعد ذلك من كافور حاكم مصر فى ظل الدولة الإخشيدية ، فقد أمه سعيًا للوصول إلى الولاية ، واستاء منه ، بل فَرَّ صَابًّا عليه جام غضبه – فى شعره – عندما لم يلب رغبته السياسية الطموحة .

**٢- الذات المنتقدة :**

لم يكن المتنبى بالشاعر الذى يصانع الحكام محتميًا خلف (التقية) دائمًا وإنما يعن فى كثير من الأحيان معنيًا بقضايا أمته على نحو واشٍ بتمتعه بالحس القومي ، ويتجلى طامحًا إلى وأد النفوذ الأجنبي أو استئصاله ، وإعادة بناء الدولة العربية بما يبعث المجد العربي التليد ، ويكفل العزة والكرامة ، ويلبي متطلبات المستقبل الزاهر للأمة العربية جمعاء ، وكان يؤثر إحداث التطهير السياسي وإصلاح الأوضاع الفاسدة عبر آلية (الانتقاد) الذى وجه سهامه إلى الحكام والرعية على حد سواء .

وشاعرنا الذى لا يخشى لومة لائم يستجيب لنزعته الانتقادية الحادة عبر قوله :

**سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمِ وَسَادَةُ الْمُسْلِمِيْنَ الأَعْبُدُ القَزَمُ** (٣١)

إنه يرصد واقعًا سياسيًا بغيضًا مؤلمًا ، ويلمح إلى لفظه إياه ، فكيف يستسيغ العربي الأبي المسلم أن يكون حاكمه من غير بني جلدته ، ويؤمر عليه العبيد الأقزام ؟! . وهل انقرض من الأمة السراة الأكفاء ؟!

إنها لمهزلة سياسية كبرى حرية باستثارة السخط والأسى والتمرد لتقويم الأدو السياسي القائم .

ومن تجليات الانتقاد السياسي الساخر الذى يذكي أواره السخط المستكن فى أعماق شاعرنا قوله طارحًا رؤيته السياسية المنوطة بالملوك من العجم :

**وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ**
**لاَ أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلاَ حَسَبٌ وَلاَ عُهُودٌ لَهُمْ وَلا ذِمَمُ**
**بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُهَا أُمَمٌ تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمُ** (٣٢)

إن هذه الرؤية تتبلور فى عدم صلاحية الحاكم الأجنبي للرعية العرب؛ استنادًا إلى حقيقة مؤداها أن الناس بملوكهم ، ويدعم الشاعر رأيه السياسي اللافظ للحكم الأجنبي بإبداء الحيثيات الدامغة التى من شأنها إحراز الإقناع الذهني لدى المتلقى ، فالملك الأعجمي خالٍ من الأدب ، مفتقر إلى

الحسب العريق ، كما أنه لا يقيم وزناً لعهد ، ولا يرعى فى رعيته إلا ولاذمة ، فهو لا يعدو كونه عبدًا يرعى غنمًا ، وإنه من هذا الطرح الرؤيوي الآنف لحاكم طالح ليس بمتسنٍّ التعويل عليه فى قضية سياسية ذات بال ، كتلك التى تتواشج بمصير الأمة ومستقبلها المأمول ، وتحقيق طموحاتها الغالية ، وصناعة التاريخ المجيد لها عبر الإنجازات السياسية المتغياة .

وفى ميمية مدح بها المتنبى المغيث بن العجلي نلقي قوله :

**وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلاَّ مُسْتَحِقٌّ لِرُتْبَتِهِ أَسَامَهُمُ المُسَامُ** (٣٣)

والشاعر المنتقد للوضع السياسي الفاسد ، يقرر هنا أن الإمارة لو كان معيار الظفر بها الكفاءة لاقتضي ذلك تبادل المواقع ليغدو الملوك رعية ، والرعية ملوكًا ، بيد أن الشأن السياسى تحكمه (المفارقة) الفجة .

وبعد عودة المتنبى من رحلته المصرية فارًا من كافور ، نظم لامية جاءت بعض أبياتها مغلفة بالطابع السياسي الذى لم يخل من مسحة الانتقاد ، ولننظر إلى قوله :

**أَنْتَ طُولَ الحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ فَمَتَى الوَعْدُ أَنْ يَكُونَ القُفُولُ**

**وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ**

**... مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ المَنَايَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُولُ** (٣٤)

وخطاب الشاعر هنا موجه إلى سيف الدولة الحمداني ، حيث يبدي إشفاقه عليه ؛ فهو في صراع وارٍ دائب ضد الروم ، وهو إذ لا يكف عن غزوهم فإنه يتغيا المنافحة عن العروبة والإسلام ضد الخصوم السياسيين ، بيد أن مما يبعث على الأسى والقلق أن الروم ليسوا وحدهم مصدر الخطر والتهديد ، ثم يلتفت الشاعر إلى أولئك الحكام اللاهين – فى بغداد – الذين يتقاعسون عن النهوض بتبعتهم نحو رعيتهم ، ويعمد إلى إيغار صدر سيف الدولة ضدهم عبر انتقاد مسلكهم الشائن ، والتعريض بهم بإبراز انشغالهم بشرب المدام والعبث ، فهم غير معنيين بشئون الحكم والنهوض بالأعباء

السياسية الجسيمة كما ينبغي ، ولا مراء فى أن المفاضلة التى عمد المتنبى إليها قد نهضت بإبراز المضمون المقترن بالانتقاد .

وعطفًا على ما سبق نذكر قول المتنبى فى سنة ٣٤٢هـ :

**فَدَتْكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِيًا فَإِنَّكَ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلُ**

**إِذَا كَانَ بَعْضَ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ** (٣٥)

وهنا يخاطب الشاعر سيف الدولة بعد كسره شوكة الروم فى ساحة الوغى ، مبرزًا دوره الإيجابي ، معرضًا فى الآن ذاته بالموقف السلبي لمعز الدولة البويهي الذى اتسم بالتقصير فى النهوض بتبعته فى حرب الروم – خصوم الإسلام والمسلمين – وكان قصارى وكده التعويل على الطبول والأبواق فحسب ، وقد عنت هنا نزعة الشاعر الانتقادية ممتزجة بالتهكم .

**٣- النزعة الثورية :**

لقد عاش المتنبى فى فترة تاريخية عصيبة ، وهذا الشاعر " كأنما عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ليستشعر المحن التى كانت تصب على رءوس الأمة العربية لعصره ، فإذا إمبراطوريتها الضخمة تتصدع وتتفرق دولاً وإمارات شتى ، ويسلب الأعاجم العرب صولجان الحكم ، ويعسفون بالناس عسفًا شديدًا ، ويعيشون فى بغداد للهو والقصف ، بينما البيزنطيون يغيرون فى الشمال ولا مغيث من جيوشهم ولا معين ، وبينما قرامطة البحرين يغيرون على مسقط رأسه الكوفة من حين إلى حين منزلين بها من الكوارث المفجعة ما تشيب له الولدان ، ويبرحها فى مطالع شبابه إلى بغداد ، ويتركها مسرعًا إلى الشام وبواديها ونفسه تجيش بثورة عارمة على حكام بغداد وما يذيقون الشعب من الجور والظلم والعسف ، ولا يخفي ثورته ، بل يعلنها إعلانًا لممدوحيه ، وكأنه يريد أن يستنهضهم معه للقيام بثورة عنيفة " (٣٦).

لقد كانت النزعة الثورية لدى المتنبى ثمرة للتفاعل مع ما كان سائدًا فى عهده من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية ، كما كانت هذه النزعة

أيضًا صدى لإيمانه بفلسفة القوة ، لمواجهة الواقع المعيش وإدراك المطامح ولا سيما السياسية .

وثمة آراء متضاربة حول كون المتنبى قرمطيًا من عدمه ، حيث إن بلاشير ومَنْ لف لفه قد ربطوا بين المتنبى والقرامطة ، بينما ذهب د. شوقى ضيف إلى أن " المتنبى لم يكن يومًا قرمطيًا ولا متأثرًا بالقرامطة " (٣٧).

وهذا الرأى متباين أيضاً مع ما ذهب إليه د. طه حسين (٣٨)وسواه ، وأوثر ما ذهب إليه د. شوقي ضيف ؛ حيث إن ثمة حيثيات عديدة ترجح رأيي ، وسأبينها عما قليل .

ومن المعلوم أن القرامطة فرقة معزوة إلى حمدان قرمط ، وقد بدا نشاطها بالقرب من الكوفة – مسقط رأس المتنبى – عام ٢٧٧هـ ، وبعد نحو تسعة أعوام أقاموا دولة لهم فى منطقة (البحرين) وكانوا مصدر تهديد للدولة العباسية ، ولم تسلم الكوفة من هجومهم ، وتحرت الدولة العباسية التصدى لهم ، وقد اتسم القرامطة بالتمرد والجرأة والخروج على المألوف ، وطال ذلك بعض ما يتواشج بالإسلام والمسلمين ، على نحو ما حدث من قتلهم الحجاج فى مكة سنة ٣١٧هـ (وكان القرامطة آنذاك تحت قيادة أبي طاهر الجنابي) كما قاموا بأخذ الحجر الأسود إلى هجر ، وظل فى البحرين نحو عشرين عامًا (٣٩)ومن المعلوم أيضًا أن ديوان المتنبى لم يخل من إبراز نزعة الشاعر إلى التمرد والثورة التى قد تقترن بالحث على سفك الدماء أو استساغة ذلك ، بيد أن علينا أن نضع ذلك فى إطاره الصحيح ، فقد كان المتنبى من ذوى الهم السياسي ، مستشرفًا آفاق واقعه بوعي ونظرة ثاقبة ، وكان يطمح إلى تولي الحكم ، ويقف من الحكام الأعاجم موقف التنديد والإزدراء والإباء ، ويدعو إلى الإطاحة بهم ولو استدعى ذلك الاستعانة بالقوة الحربية .

وقد أقام المتنبى فى بادية السماوة فترة من حياته ، وكانت تعاليم القرامطة قد تسللت إلى بني كلب هناك ، ومعروف أن المتنبى كانت له علاقة بهؤلاء فى الشام – قبل إقامته فى حلب – بيد أن ذلك ليس مدعاة

أو مبررًا كافيًا لتقرير قرمطية المتنبى أو إثباتها ، وتدعوني إلى نفي قرمطيته حيثيات أبرزها أن ديوانه قد خلا من بث مبادئ القرامطة وأصولهم وتعاليمهم ، وليس به ترويج لمذهبهم وتمجيد لدعاتهم الذين كان منهم عبد الله بن ميمون القداح ، وحمدان قرمط ، وأبو طاهر الجنابي ، كما أن المتنبى كان ذا نزعة عربية وموقف معادٍ للأعاجم ولا سيما الحكام ، ومن المعروف أن الأعاجم كان لهم تأثير بيِّن على القرامطة ، وكان شاعرنا يزدرى النبط ، ويسخر منهم فى بعض شعره [٤٠]وكان معول القرامطة على هؤلاء فى البداية ، وكان المتنبى شانئًا لسيادة الخدم والعبيد ، فى الوقت الذى كان فيه القرامطة يتحرون استقطابهم عبر الدعوة إلى الإعلاء من شأنهم ، كما أن المتنبى لم يحارب مع القرامطة بل كان ضدهم ، حيث شارك فى صد هجومهم على الكوفة بعد إيابه إليها من رحلته المصرية التى باءت بالإخفاق السياسي الذريع ، وطبيعة المتنبى لم تكن متسقة مع توجهات القرامطة التى تقتضي من أتباعهم إبداء الخضوع والطاعة لهم ، وإذا كنا قد أومأنا سلفًا إلى ذلك العدوان الغاشم من قبل القرامطة على الحجاج وسفكهم دماءهم ، فإن علينا أن نلتفت إلى إشادة شاعرنا بسيف الدولة لموقفه الإيجابي نحو الحجاج ، حيث كفل لهم الأمن والحماية بإقصاء تهديد الروم لهم :

**تَبِيتُ بِهَا الحَوَاضِنُ آمِنَاتٍ وَتَسْلَمُ فِى مَسَالِكِهَا الحَجِيجُ** [٤١]

بل إن المتنبى قد قرظ الدور الذى نهض به أبو الهيجاء – والد سيف الدولة – فى جلاد القرامطة :

**ابْنُ المعفِّرِ فِى نَجْدٍ فَوارِسَهَا بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ والحَرَمُ** [٤٢]

لقد كان الحمدانيون خصومًا للقرامطة ، وخاضوا بعض المعارك ضدهم ، فكيف يستقيم أن يلزم المتنبى سيف الدولة – عدو القرامطة – مدة طويلة (من سنة ٣٣٧هـ حتى سنة ٣٤٦هـ) ويمدحه بفرائد قصائده وهو من أتباع القرامطة ؟! .

كما أن استقراء المصادر التراثية لا يقفنا على ما يؤكد صحة كون المتنبى قرمطيًا ، وعلاوة على ما سلف فإن ديوان الشاعر يقفنا على هجائه لضبة بن يزيد العتبي ذى النزعة القرمطية [٤٣] كما أن موقف المتنبى فى قضية (الحكم) كان على نقيض موقف القرامطة الذين ذهبوا إلى حصره فى الأئمة عن طريق الوراثة ، بينما كان المتنبى من دعاة تولية الحكم لذى الكفاءة السياسية .

وانطلاقًا من الأسباب السالفة فإنني أستبعد أن يكون المتنبى قرمطيًا .

واستقراء ديوان هذا الشاعر ينبئ عن إيمانه العميق بفلسفة القوة ، فهي التى تهيئ الظفر بسامي الغايات (ومنها الحكم) فحنكة السنين تبرهن على أهمية أخذ الدنيا غلابًا ، حيث إن حد السيف سبيل إحراز المجد لا القلم، وذلك من منظور شاعرنا القائل :

**حَتَّى رَجَعْتُ وأَقلامِي قَوائِلُ لِي ... المَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ المَجْدُ لِلقَلَمِ**
**اكْتُبْ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الكِتَابِ بِهِ ... فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلأَسْيَافِ كَالخَدَمِ** [٤٤]

لقد كان المتنبى أبيًا ، مناصرًا للعروبة ، واقفًا من خصومها موقف العداء الصراح ، وكان ملبيًا لداعي الثورة المسلحة على خصوم العروبة منذ حداثة سنة ، ولذا فلا غرو أن قال إبان صباه :

**عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وأَنْتَ كَرِيمٌ ... بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ** [٤٥]

إن شاعرنا كان متبرمًا ساخطًا على الأوضاع القائمة ، وترجم شعره ذو الطابع السياسى نزعته الثورية التى شملت الحكام والمجتمع ، وعمد المتنبى إلى تعرية الفساد السائد ، رائيًا أن لا مناص من استئصاله عنوة ، ومن شعره المبرهن على ذلك قوله :

**مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَدًا ... وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ العُرْبِ والعَجَمِ**
**فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمُ ... وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمِ** [٤٦]

وشاعرنا المؤمن بفلسفة القوة [٤٧] غير هياب للردى ، ويحض على الإقدام ، والنأى عن الجبن :

**وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ العَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا** [٤٨]

لقد كان للنزعة الثورية دورها فى انخراط أبي الطيب المتنبى فى المسار السياسى ، وقد وجهت هذه النزعة شعره إلى مناحٍ ومنعطفات بادية فى شعره ، وبدت ملامحها فى باكورة حياته ، فمن قصائده المتواشجة بصباه تلك الميمية التى منها قوله :

**تُنْسِي البِلاَدَ بُرُوقَ الجَوِّ بَارِقَتِي وَتَكْتَفِي بِالدَّمِ الجَارِى عَنِ الدِّيَمِ**

**رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ واتْرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ**

**إِنْ لَمْ أَذُدْكِ عَلَى الأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلاَ دُعِيتُ ابْنَ أُمِّ المَجْدِ وَالكَرَمِ** (٤٩)

ويبدو الشاعر هنا مزهوًا بشجاعته ، فهو فارس مقدام ، ينتضي حسامًا براقًا يبز فى إيماضته برق الغمام ، وتتدفق الدماء من كلوم خصومه لدى النزال مغنية البلاد عن ماء المطر ، ويلوح الشاعر مستنهضًا همته ، دارئًا عن نفسه شبح الفرق ، باثًا فى أعماقه الرغبة فى القتال ، مذكيًا إياها .

وقال المتنبى فى دالية مدح بها على بن إبراهيم التنوخي :

**أُفَكِّرُ فِى مُعَاقَرَةِ المَنَايَا وَقَوْدِ الخَيْلِ مُشْرِفَةَ الهَوَادِي** (٥٠)

**زَعِيمٌ لِلقَنَا الخَطِّيِّ عَزْمِي بِسَفْكِ دَمِ الحَوَاضِرِ والبَوَادِي** (٥١)

ونراه هنا معنيًا بقيادة الخيل من أجل القتال ، زاعمًا أن عزمه يكفل له إراقة دماء الناس قاطبة فى الحواضر والبوادي .

وإن المتنبى ليرى أن الدولة العباسية (دولة الخدم) (٥٢) وهو ذو نظرة خاصة إلى الملوك من حوله ، تتبلور فى أنهم لا يملكون من لقبهم هذا سوى مسماه الأجوف المفرغ من المحتوى الذى يستدعي التقدير والإجلال ، فهم يجسدون الوهن والهوان ، وأناس كهؤلاء لو رأوا المتنبى فى منامهم لجفاهم الكرى ، ويغلو الشاعر حيث يجعلهم يموتون صدى حال رؤيتهم إياه ماء ، فهو مصدر رعب لهم ، ولنستمع إليه قائلاً :

**أَيَمْلِكُ المُلْكَ والأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ**

**مَنْ لَوْ رَآنِي مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِى النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ** (٥٣)

وتتجاوز النزعة الثورية الحكام إلى الرعية السلبيين ، فيراهم المتنبى كالأنعام (٥٤) ويقدحهم أيما قدح ، قاذفًا إياهم بحمم البركان التى تمور فى أعماقه .

وفى أحد النصوص يقرر المتنبى انتفاء الكرام من المجتمع الذى يحيا أفراده على أرض وطن لا تعوزه شتى ما تشتهى الأنفس ، فالأرض ذات كمال ، وذووها ليسوا كذلك ، ويعرب عن تمنيه أن تزايل المثالب هؤلاء ؛ كي يستقيم الأمر بتبدل الحال المعيبة :

**بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفُوتُهَا إِلاَّ الكِرَامُ**
**فَهَلاَّ كَانَ نَقْصُ الأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ** (٥٥)

ويتفاقم السخط فى أعماق شاعرنا المتمرد على نحو يحدو به إلى أن يصب جام غضبه على هذا المجتمع الرديء الذى تستشرى فيه التفاهة والخسة ، والذى لا يسطع فى أفقه سوى نجم التافه الخسيس ، حيث يتبوأ أرفع منزلة ، مما يقود الشاعر إلى انتقاد هذا الوضع المقيت ، إذ يقول :

**وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ** (٥٦)

**٤- النزعة العربية :**

تتجسد نزعة العروبة فى شعر المتنبى على نحو جلى ، ونرى للتطلع القومي تجليات عديدة لديه (٥٧).

" ولعل الشعر العربي لم يعرف شاعرًا فى القديم تعمقه الإحساس بعروبته كما تعمق المتنبي ، حتى لتصبح حياته وحتى ليصبح شعره تعبيرًا قويًا عن هذا الإحساس أشد ما تكون القوة بأسًا وصلابة وضراوة ، وهى ضراوة تبدأ بنفسه أو قل يبدأ لهيبها اللافح بنفسه الفتية ، بل العاتية ، ويمتد منها إلى قومه ، ومن وراء ذلك موارد العروبة التى لا ينضب معينها فى فؤاده وأمجادها فى الفتوح وغير الفتوح " (٥٨).

لقد عاش المتنبى فى ظلال عصر استشرى فيه الفساد السياسى ، وكان التشرزم والانقسام يضربان بجرانهما فيه ، وتغلغلت السيادة الأعجمية بعد انتزاع الأجانب مقاليد الحكم فى جل الأصقاع ، ولم يرق ذلك كله أبا الطيب المتنبي الذى هيمن عليه الشعور بالعروبة ، وتعمقه سلطان التطلع القومي ، والرغبة فى بعث المجد السياسى العربى الذى غدا أثرًا بعد عين ، وكان مردود ذلك الإبداع الشعرى الذى عبر فيه عن غيرته على العروبة ، وتوخيه بعث الوازع العربي وإضرامه فى النفوس ، وبدت النزعة العربية لديه فى مناحٍ شتي ، منها ما هو حربى عبر تلك السيفيات والروميات التى

ألهبت الحماسة ، وسجلت الانتصارات العربية على الخصوم فى إطار تمجيدى رائع ، بدا فيه التوثيق التاريخى متضافرًا مع البراعة الفنية الفائقة ، كما لاح الحس العربي لديه عبر حرصه على مديح القادة والسياسيين ذوى الأرومة العربية ، وإبائه تكريس مدائح للعجم – فى بعض الأحيان – فقد كان ينظر إليهم نظرة احتقار – غالبًا – وكان فى مدائحه للعرب ينشد بث القيم الخلقية الحميدة ، متعانقة مع القيم السياسية الأصيلة ، ويعكس شعره إلحاحه على فكرة العروبة وتمجيدها على نحو يبدو فيه وفيًا لعروبته ، وتجلى توخيه الجمع بين الأصالة والمعاصرة وواقع الأمر أن المتنبى لم يكن أبا عذرة بث الحس القومي العربي فى الشعر ؛ فقد سبقه إلى ذلك بعض الشعراء ، ومنهم أبو تمام والبحترى ، بيد أن مما يُحسب له إلحاحه على تأصيل هذا الاتجاه عبر الغلبة الكمية والفرادة الفنية ، حيث لا ينازعه فى ذلك شاعر آخر ، مما منح شعره السياسي تميزًا لافتًا فى هذه الناحية ، فهو منافح عن العروبة ، ساعٍ إلى استرداد السيادة السياسية العربية المهيبة ، بعدما كان من طغيان السيادة الأعجمية ، وعلو صوت شعراء النزعة الشعوبية ومنهم بشار بن برد وأبو نواس وسواهما من الشعراء الذين سبقوا المتنبي زمنيًا .

لقد تشبع شعر شاعرنا بالحس القومي ، وبلور انتماءه العربي ، وليس أدل على ذلك من موقفه إزاء بعض الممارسات الرعناء المسيئة التى صدرت من بعض القبائل العربية ضد سيف الدولة الحمداني الذى لم يكن يتوانى عن اتباع سياسة الردع – كما حدث مع بني كلاب – وكان شعر المتنبي ينهض بدور إيجابي فى هذا الظرف التاريخي ؛ من أجل تضييق الفجوة بين الطرفين ولم الشمل العربي ، على نحو ما يتجلى فى قوله مخاطبًا سيف الدولة مستعطفًا إياه بشأن من بدرت منهم بعض أعمال الشغب من العرب :

**تَرَفَّقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِى عِتَابُ** (٥٩)

ونراه منحازًا إلى الأصالة العربية فى مضمار الغزل أيضًا ، إذ يتغزل ببعض الأعرابيات(٦٠)لقناعته بأن المقاييس الجمالية المثلى إنما تتوافر

فيهن ، كما أن جمالهن فطرى ، ومن هذا المنطلق الفكرى فإنه فى اتجاهه الوجداني يؤثرهن على الحضريات ذوات الجمال الزائف المستقى من الزينة المصنوعة :

مَا أَوْجُهُ الحَضَرِ المُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ ... كَأَوْجُهِ البَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ

حُسْنُ الحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ ... وَفِي البَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ (٦١)

لقد كان المتنبي مخلصًا لعروبته أيما إخلاص فى كثير من سني مراحل عمره ، فكان ثائرًا فى وجه الحكم الأجنبي المستبد – وإن لم تؤت ثورته ثمارها المنشودة – وكان معليًا من شأن الأصالة العربية ، والقيم النبيلة السامية ، تواقًا لاستعادة العرب لكرامتهم وسيادتهم وعزتهم، ممجدًا لانتصار العرب على خصومهم – وسيبتين لنا ذلك لدى تناول شعر التيار السياسي فى المرحلة الحلبية – ومن ملامح النزعة العربية لديه حرصه على التناص مع التراث العربي فقد كان يمتاح منه بشتى صوره – وسيبرز ذلك فى تناولنا لظاهرة التناص لاحقًا – ومن ملامح هذه النزعة أيضًا حرصه على ذكر سلسلة النسب العربي العريق لممدوحه ، ولنستمع إلى قوله مخاطبًا سيف الدولة الحمداني :

وَأَنْتَ أَبُو الهَيْجَا بنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَهُ ... تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ (٦٢)

وَحَمْدَانُ حَمْدُونٌ وَحَمْدُونُ حَارِثٌ ... وَحَارِثُ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانُ رَاشِدُ

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الخِلاَفَةِ كُلُّهَا ... وَسَائِرُ أَمْلاَكِ البِلاَدِ الزَّوَائِدُ (٦٣)

إننا لنقف على أصالة هذا الممدوح عبر إيراد كنية أبيه وأسماء أجداده الذين اضطلعوا بأدوار حيوية إزاء الخلافة العباسية ، ونهضوا بأعباء جسام، ولم يكونوا كسواهم ، مما حدا بالشاعر إلى جعلهم كالأنياب التى تفترس بها الخلافة خصومها والمعتدين على بيضتها ، أما غيرهم من الملوك فهم كالزوائد وهى تلك الأسنان التى تنبت وراء الأضراس ، وفى هذا إيحاء بأنهم دونهم فى الأهمية والدور الفعال .

والحقيقة أن مدائح الشعراء لسيف الدولة الحمداني قد أبرزت اتسامه بالجود والبأس والإقدام والبطولة ، بيد أنه قد " انفرد عن معاصريه من البويهيين والإخشيديين الأعاجم بمدح الشعراء له بالعروبة وشرف الأصل ، وتلك ميزة تضم إلى مميزات هذا الغرض الشعري فى ظل هذا الأمير الحمداني العربي " (٦٤).

**٥- إعجاب المتنبي بسيف الدولة :**

كان المتنبي ينتقي ممدوحيه فى كثير من الأحيان ، وبرهان ذلك أنه عندما كان ببغداد أنف أن يكرس بعض مديحه للخليفة العباسي (المطيع) انبثاقًا من قناعته بعدم جدارته ، فهو واهن يتلاعب به معز الدولة البويهي ، ويتحكم فيه كما يشاء ، وقد ترفع المتنبي أيضًا عن مديح معز الدولة البويهي(٦٥) صاحب النفوذ الواسع فى العراق ، والذى كان مشهورًا بعداوته لسيف الدولة الحمداني – العربي – وآله ، وكذلك الشأن بالنسبة للوزير المهلبي الذى كان سادرًا فى اللهو والمجون ، حيث أبي المتنبي مدحه فحرض عليه سفهاء بغداد (٦٦).

وترفع المتنبي أيضًا عن تلبية دعوة الصاحب إسماعيل بن عباد – الأديب المشهور – لزيارته بأصبهان ، ولعل هذا ما حدا به إلى تحرى مساوئ شعره (٦٧).

كما ترفع المتنبي عن مديح ابن الفرات وزير كافور إبان رحلته المصرية ، وعلى أية حال فإن اللقاء بين المتنبى وسيف الدولة الحمداني يمثل نقطة تحول فى حياة شاعرنا ومنعطفًا مهمًا ، إذ كان المتنبي طلعة لهذا اللقاء الذى غدا من بعده سيف الدولة ممدوحة الأثير الذى كرس له عيون شعره المدحى ، ولا غرو فى هذا ؛ فقد كان المتنبى شديد الإعجاب بسيف الدولة ، ولعله كان يرى فيه الصورة المثلى التى كان تواقًا لتحققها فى نفسه ، وثمة عوامل عديدة قد تضافرت فأفرزت ذلك التقارب اللافت بينهما ، " ولعل لعربية سيف الدولة وعجمة أمراء عصره جميعًا دخلاً فى إلهاب نفسية الشاعر ، وكذلك فى تمييزه بينهم وبين سيف الدولة الذى ملك عليه قلبه

وأنزله أعلى المنازل ، والمتنبى ثائر على العجم وتملكهم مقاليد المسلمين ، وكم سمعنا تحريضه على انتزاع الأمور من أيديهم " (٦٨) (٦٨).

إن مما أدنى بين المتنبى وسيف الدولة ووثق الوشيجة بينهما قناعة المتنبى بسيف الدولة وشدة إعجابه به من منطلق أنه يمثل البطل القومى المنشود الذى يمتلك القدرة على إخراج حلم الدولة العربية الكبرى الموحدة ذات الحكم العربى إلى حيز الوجود ، هذا الحلم السياسى الذى عنى به المتنبى وطفقت تجلياته – فى فيوضات نصوصه الشعرية – تبوح عن نفسها عبر الاستقراء الدقيق الواعى لها من قبل المتلقى لهذا الشعر ذى الخصوصية والفرادة .

لقد شغل الهم السياسي بال المتنبي ، وفاض شعره بأبعاد فكرية ونفسية ترسخ عنايته بالقضايا السياسية التى تحمل أبعادًا قومية قوية ، وكان المتنبي يرى سيف الدولة من منظور الهم السياسي العربي الذى يمثل قاسمًا مشتركًا بين الشاعر والسياسي المثالي (سيف الدولة) وكان المتنبي يتوسم فى شخصية سيف الدولة صورة (البطل القومي) الذى باستطاعته تحقيق الطموحات السياسية التى كان كل منهما يتغياها ، وفى طليعتها إيجاد الكيان السياسي القومى للعرب على نحو مرموق يكفل لهم إحراز المجد والعزة والحرية والعدل والقوة والتقدم ، فتلك مرتكزات فكرية جمعت بينهما ، وكانت سبيل إدراك ذلك التخلص من القوى السياسية الأجنبية الغاشمة التى تستهدف إخضاع العرب وإذلالهم ، والتحكم فى مقدراتهم السياسية وسواها ، ولم يأت هذا المنحى الفكرى والتوجه السياسى لسيف الدولة من فراغ ؛ فهو سليل أسرة عربية عريقة (من قبيلة تغلب) وشأنه فى هذا موصول بشأن أبيه ، فهو امتداد سياسى له ، وتفصيل ذلك أن أبا الهيجاء (والد سيف الدولة) قد فطن إلى خطر التدخل الأجنبى فى شئون الدولة العباسية ، وحدا به ذلك إلى الإقدام على اقتحام بغداد ، مخلصًا إياها من خطر الترك الذين كانوا يهيمنون على مقاليد الحكم ، فلم يكن الخليفة العباسى آنذاك إلا لقبًا تم تفريغه من محتواه السياسى الفعال على أيدى هؤلاء الترك وسواهم ، وإذا كان أبو

الهيجاء قد توخى استعادة القوة السياسية العربية ، واسترداد الخلافة العباسية هيبتها السياسية المفقودة على أيدي الترك الذين أجلاهم أبو الهيجاء عن بغداد، فإن العجب يثور حينما نعلم أن الخليفة العباسى كان له توجه سياسى مغاير ، ترجم عنه تحالفه مع الخصوم السياسيين بتآمره مع الترك لإقصاء أبي الهيجاء عن بغداد وملاحقته إلى الموصل التى دارت على أرضها رحى حرب ضروس ، أسفرت عن مصرع أبى الهيجاء ، ومهما يكن من أمر فقد رأى المتنبى فى سيف الدولة الصورة التى كان ينشدها ، فإذا كانت ثورة المتنبى قد باءت بالفشل على الرغم من أهدافها السياسية النبيلة التى أبرزها القضاء على الحكم الأجنبى ، واسترداد الهيبة السياسية والسيادة العربيتين ، ولم الشمل العربي تحت مظلة دولة عربية قوية ، أقول : على الرغم من ذلك فإنه قد رأى فى سيف الدولة (تعويضًا نفسيًا) عما افتقده ، فهو حاكم مهيب ، وبطل صنديد ، عربى النزعة ، لا يألو جهدًا فى جلاد خصوم العرب ولا سيما الروم ، وإنزال الهزائم المنكرة بهم على الرغم من قوتهم ، وهم الذين كانوا يمثلون إمبراطورية عظمى آنذاك ، وعلاوة على ما سلف فقد كان سيف الدولة محبًا للشعر ، مقدرًا للشعراء ، مغدقًا العطاء الجزيل عليهم ، كما كان سيف الدولة والمتنبى من الأتراب ، فكلاهما من مواليد عام ٣٠٣هـ ، وكلاهما كان يؤثر الفروسية والبطولة والإقدام والهمة والطموح ، ومن المعلوم أن المتنبي قد غادر طبرية فى نهاية عام ٣٣٦هـ ، ذاهبًا إلى أنطاكية التى كان يحكمها أبو العشائر الحمداني ، ليكون ثمة أول لقاء بين المتنبى وسيف الدولة فى سنة ٣٣٧هـ ، وقد اصطحبه إلى حلب ليكون شاعر بلاطه الأول ، ومكث لديه حتى سنة ٣٤٥هـ ، وشهدت هذه الفترة تميزًا شعريًا كميا وكيفيًا ، فكان حصادها نحو أربعين قصيدة وإحدى وثلاثين مقطعة ، وهذه النصوص الإبداعية تكاد " تكون ديوانًا خاصًا يستقل بنفسه"(٦٩).

وقد كان المتنبي ينظر إلى سيف الدور نظرة إكبار وإجلال فائقين ، حيث يراه (أمير العرب) :

فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبْ فَسَمْعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ العَرَبْ[٧٠]

ويراه أسمي شأوًا من سائر الملوك ، ولا غرو أنهم يقبلون بساطه ؛ لأنهم ليسوا حريين بتقبيل يده وكمه :

تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ المُلُوكِ بِسَاطَهُ وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ[٧١]

ويتبدى سيف الدولة كيسًا ذا حكمة وبصيرة ونظر بعيد ورأى ثاقب ، حيث يرى ما لا يراه سواه ، وفى هذا الشأن يقول المتنبى :

ذَكِيٌّ تَظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ يَرَى قَلْبُهُ فِى يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا[٧٢]

ويلوح سيف الدولة أيضًا جم الحلم والقدرة :

رَأَيْتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ فِى مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الحِلْمُ مِنْكَ المُهَنَّدَا[٧٣]

كما أنه جواد ، يبز فى جوده سائر الملوك ، إذ يقول شاعرنا :

وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ المُلُوكُ مَوَاهِبٌ دَرُّ المُلُوكِ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ[٧٤]

وقد امتاز هذا الممدوح بكثرة الحروب التى خاضها ، حتى إن الرماح مصابة بالملل من كثرة طعنه بها وتكسرها ، كما تسرب السأم إلى السيوف :

وَمَلَّ القَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورَهُ وَمَلَّ حَدِيدُ الهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهْ[٧٥]

ويصور شاعرنا الصناع إبادة سيف الدولة لخصومه الروم ، والتى من شأنها منحه الخلود فيما لو حاز أعمار هؤلاء ، فيثلج ذلك صدر الدنيا ، حيث يقول :

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئْتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ[٧٦]

وتبدو النزعة الابتكارية لدى الشاعر هنا ، مما حدا بابن جنى إلى إبداء إعجابه قائلاً : " لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت لكان قد أبقى فيه وحده ما لا يخلفه الزمان "[٧٧] ولا غرو فى إبداع المتنبي فى مديح سيف الدولة ، فقد كان معجبًا به أيما إعجاب ، وهو حرى بذلك ؛ فهو الفارس العربي الهمام المقدام الطموح ، الذى يحمل تبعة التصدى الحربي لخصوم العرب (الروم) كما أنه ذلك السياسي المحنك المتسم بالوعي الذى يدفعه إلى الوقوف موقف المتمرد على الفساد السياسى الذى أفضى إلى

الوهن الصارخ وتجزئة الدولة العباسية التى آضت دويلات متناحرة ، خاضعة للحكم الأجنبى الذى كان سيف الدولة يأباه ، ويتغيا الخلاص منه ، ولا ريب فى أن أميرًا هذا شأنه السياسى لابد أن يقف منه شاعرنا – الناقم على الحكم الأجنبى للعرب – موقف الصديق الوامق ، المقتنع بكفاءته وسلامة موقفه السياسى ، الذى توخى دعمه عن طريق شعره الذى استحال آلية إعلامية فعالة ، وكأني بالمتنبى كان يستشعر أنه حينما كان يمدح سيف الدولة إنما يمدح نفسه ، فالشخصيتان جمعهما التماهي والتوحد نحو القضية السياسية الكبرى (الدولة العربية الموحدة ذات الحاكم العربى القوى المهيب) ولا غرو فى هذا ؛ فالمتنبي شاعر طموح سياسيًا ، ذو نزعة سياسية قومية ثورية .

لقد كانت الفترة قضاها المتنبي فى كنف سيف الدولة من أخصب فترات حياته الشعرية ، واقترنت بذلك الزخم من الإبداع الشعرى الثر الذى بدا فيه الشاعر نسيج وحده ، وقد لازم المتنبي سيف الدولة بدافع الإعجاب الشديد الممتزج بالمقة ، وعمد الممدوح إلى غمره بإحسانه فكان ذلك كالقيد له :

**وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا**(٧٨)

ومخاطبة الممدوح – مثار الإعجاب – بمثل مخاطبة المحبوب ظاهرة جلية فى شعر المتنبى الذى مداره سيف الدولة الحمداني (ممدوحه الأثير) ومما يبرهن على ذلك قوله :

**مَا لِي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأُمَمُ**
**إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقْتَسِمُ**(٧٩)

وقوله مخاطبًا سيف الدولة فى إحدى مدائحه المكرسة له :

**أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لاَ مَنِي فِيكَ السُّهَى وَالفَرَاقِدُ**(٨٠)

**شعر التيار السياسى قبل المرحلة الحلبية :**

للتيار السياسي تجلياته العديدة فى شعر المتنبى فيما قبل المرحلة الحلبية ، وهو القائل فى نص مترع بالانتقاد السياسي اللاذع :

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ ... وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ
وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِالعَيْشِ فِيهِمْ ... وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ
أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمُ مُلُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ
بِأَجْسَامٍ يَحَارُ القَتْلُ فِيهَا ... وَمَا أَقْرَانُهَا إِلاَّ الطَّعَامُ
وَخَيْلٍ مَا يَخِرُّ لَهَا طَعِينٌ ... كَأَنَّ قَنَا فَوَارِسِهَا ثُمَامُ (٨١)

وهذه أبيات من قصيدة مدح بها المتنبي المغيث بن العجلي ، ويبدو عبر هذه الأبيات متبرمًا ساخطًا على الواقع المعيش ، موجهًا سهام انتقاده إلى صدور الحكام الأعاجم المتسلطين الذين كثرت مثالبهم ومنها الفساد السياسي والوهن والجبن ، وإن الناظر لهؤلاء الحكام ليرى أجسامهم كأجسام البغال بيد أنهم صغار فى أحلامهم ؛ فهم لا يتمتعون بالذكاء السياسي وبعد النظر وسداد الرأى وحكمته ، وما أشبههم بالأرانب ، فهم فى غفلة وإن بدت نواظرهم مفتحة ، والشئون السياسية فى عهدهم تدور ولا تُدار ؛ لأنهم بمنأى عن فن الإدارة ومتطلبات سياسة الرعية بحذق ، وهم متبانيون عن سواهم فإذا كان الفرسان يلقون حتفهم بجسارة فى ساحة الوغى فإن هؤلاء يموتون بسبب شراهتهم والتهامهم لما لذ وطاب من الطعام والشراب فى نهم ، ومع أن لديهم خيولاً ذات كثرة عددية فإن قصارى وكدهم أن يحملوا عليها أعواد الثمام ، فليس ثمة فرسان يمتطون صهواتها حاملين رماحًا تردى خصومهم ، وإن هؤلاء الحكام الذين يفتقرون إلى الجدارة السياسية وحسن الإدارة لينبغي وضعهم فى حجمهم الحقيقي ، فالمظهر لا ينبئ عن المخبر ، وشأنهم جد خادع ، والكيس يعي ذلك ، ففي ساحة القتال يسمو النقع فوق الخميس بيد أن ذلك لا يعني أفضليته عليه ، وشأن هؤلاء الحكام شأن ذرات الغبار المتصاعدة ، فأية خيرية لهم ؟! .

وفى هذا يقول شاعرنا الذى يشعر بالاغتراب النفسي :

وَلَـــوْلَـــمْ يَعْـــلُ إِلاَّ ذُو مَحَـــلٍّ تَعَـــالَى الجَـــيْشُ وانْحَـــطَّ القَتَـــامُ (٨٢)

وقد ضاق المتنبـــي ذرعًـــا بـــالعرب المتخـــاذلين الخـــاملين الـــذين لا يضطلعون بالحراك الإيجابي على مسرح الحياة السياسية لرفع الظلم عنهم ونيل حقوقهم المشروعة ، وانبثاقًا من هذا فقد صب عليهم جام غضبه فـــى دالية مدح بها محمد بن سيار بن مكرم التميمي ، حيث قال :

سَـــأَطْلُبُ حَقِّـــي بِالقَنَـــا وَمَشَـــايِخٍ كَـــأَنَّهُم مِـــنْ طُـــولِ مَـــا التَثَمُـــوا مُـــرْدُ
ثِقَـــالٍ إِذَا لاَ قَـــوْا خِفَـــافٍ إِذا دُعُـــوا كَـــثِيرٍ إِذَا شَـــدُّوا قَلِيـــلٍ إِذَا عُـــدُّوا
وَطَعْـــنٍ كَـــأَنَّ الطَّعْـــنَ لا طَعْـــنَ عِنْـــدَهُ وَضَـــرْبٍ كَـــأَنَّ النَّـــارَ مِـــنْ حَـــرِّهِ بَـــرْدُ
إِذَا شِـــئْتُ حَفَّـــتْ بِـــي عَلَـــى كُـــلِّ سَـــابِحٍ رِجَـــالٌ كَـــأَنَّ المَـــوْتَ فِـــي فَمِهَـــا شَـــهْدُ
أَذُمُّ إِلَـــى هَـــذَا الزَّمَـــانِ أُهَيْلَـــهُ فَـــأَعْلَمُهُمْ فَـــدْمٌ وَأَحْـــزَمُهُمْ وَغْـــدُ
وَأَكْـــرَمُهُمْ كَلْـــبٌ وَأَبْصَـــرُهُمْ عَـــمٍ وَأَسْـــهَدُهُمْ فَهْـــدٌ وَأَشْـــجَعُهُمْ قِـــرْدُ
وَمِـــنْ نَكَـــدِ الـــدُّنْيَا عَلَـــى الحُـــرِّأَنْ يَـــرَى عَـــدُوًّا لَـــهُ مَـــا مِـــنْ صَـــدَاقَتِهِ بُـــدُّ (٨٣)

والنزعة الثورية لائحة فى هذه الأبيات التى يفصح فيها الشاعر عمـــا أزمعه من الظفر بالحق السياسي المسلوب عبر الاستعانة بأناس ذوى دربـــة وحنكة حربية ، ثقال خفاف ، فهم ثقال على خصومهم لشراســـتهم علـــيهم وكثرة حصدهم طلاهم ، بيد أنهم خفاف حال دعوتهم إلى النجدة، وهم قليلو العدد كثيرو الإنجازات فى الهيجاء ، حيث تبرز بســـالتهم ويكـــرون علـــى الخصوم معملين الضرب والطعن فى توالٍ وسرعة على نحو فريد ، فطعنهم يبز طعن البواسل من سواهم ، وحرارة ضربهم يخال المرء معها أن النـــار ذات برودة بالقياس إليها ، وهؤلاء الفرسان المؤازرون للمتنبي فى المعترك السياسي يمتطون صهوات الجياد ، ويستعذبون الردى، ثم ينحـــي الشـــاعر باللائمة على أهل زمانه الذين خذلوه إبان ثورته – ذات الباعث السياسي – ويحقر شأنهم ، واصمًا إياهم بالبلاهة والخسة واللـــؤم والغفلـــة والجـــبن ، ضاربًا المثل فى ذلك ببعض الأنعام ، وكأنهم قد انبتوا عن دنيـــا الإنســـان وزايلوا صفاته الحميدة ، وانسلخوا عن آدميتهم.

وقد قال المتنبي فى أبيات لم تخل من إبداء التبرم والوعيد المتواشجين بخلفية سياسية :

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيْلٍ سَوَاسِيَةٍ ... شَرٌّ عَلَى الحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ
حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُم خَلَقٌ ... تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ
لاَ أَقْتَرِي بَلَداً إِلاَّ عَلَى غَرَرٍ ... وَلاَ أَمُرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنِ
وَلاَ أُعَاشِرُ مِنْ أَملاكِهِمْ أَحَداً ... إِلاَّ أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأسِ مِنْ وَثَنِ
... لاَ يُعْجِبَنَّ مَضِيمًا حُسْنُ بِزَّتِهِ ... وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الكَفَنِ
للهِ حَالٌ أُرَجِّيهَا وَتُخْلِفُنِي ... وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمْطُلُنِي
مَدَحْتُ قَومًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ ... قَصَائِداً مِنْ إِنَاثِ الخَيْلِ وَالحصُنِ (٨٤)

إن الشاعر ليعرى سوءات جيله التى يتمخض عنها إيذاء الحر ، وكأنها أدواء مبرحة الإيلام ، غدا معها الورى كالأنعام ، فهم لا يستثمرون أحجاءهم على نحو صحيح ، بل إن جهلهم قد قادهم لمعاداة ذوى العلم والفضل ومنهم الشاعر الذى غدا خاشيًا ما يحدق به من خطر حساده وخصومه ، وإذا كانت هذه حال الرعية التى استشرت فيها المثالب ، فإن الرعاة فاسدون، وكل حاكم منهم قمين بالقتل ، بل إنه أحق بالإطاحة برأسه من الوثن ، وينتفض الشاعر الثائر مبديًا تعجبه من شأن الرعية الذين لا يأبون الهوان ، ويرضخون للتسلط ، فلا يعنيهم شيء متى كانوا على قدر من سعة العيش ، وهم لا يعدون – من منظوره – أولئك الموتي الذين لا يجديهم حسن أكفانهم شيئًا ، ولم يكتف المتنبي بتعجبه من هؤلاء ، وإنما تعجب أيضًا من الزمن الذى يقف له بالمرصاد حائلاً دون نجاح سعيه الثورى للقضاء المبرم على الحكام الفاسدين الذين لا يراهم أهلاً للمدح ، بل يراهم أهلاً للقدح ، ويتوعدهم بشن حرب ضروس ضدهم فى قادم الأيام، ولا غرو فى هذا ؛ فقد كان المتنبي منذ باكورة حياته مؤمنًا بفلسفة القوة ، وشعره خير واشٍ بذلك ، فقد " قال فى صباه وقد قيل له وهو فى المكتب ما أحسن هذه الوفرة :

**لا تَحْسُنُ الوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى  مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ القِتَالِ**
**عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً  يَعُلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافِى السِّبَالِ** (٨٥)

فهو ذو نزعة إلى الفروسية والإقدام فى ساحة القتال ، ولما كانت الحال السياسية وسائر الأحوال متردية فى عصره فقد توافر لديه الباعث على التمرد والثورة على نحو لم يخل من تبني العنف والرغبة فى إحداث التطهير السياسي باستخدام القوة ، فالثورة لديه ليست (ثورة بيضاء) بل (ثورة حمراء) من منطلق أنها (ثورة مسلحة) وشاعر هذا منحاه الفكرى لا غرو أن نجده يجأر قائلاً إبان صباه :

**إلَى أىِّ حِينٍ أَنْتَ فِى زِىِّ مُحْرِمِ  وَحَتَّى مَتَى فِى شِقْوَةٍ وَإلَى كَمِ**
**وَإلاَّ تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكَرَّمًا  تَمُتْ وَتُقَاسِ الذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ**
**فَثِبْ وَاثِقًا بِاللهِ وَثْبَةَ مَاجِدٍ  يَرَى الموتَ فِى الهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِى الفَمِ** (٨٦)

وكان المتنبي قد ترك العراق ميممًا وجهه شطر بعض بلاد الشام وهو فى سن الثامنة عشرة من عمره ، وثمة هاله تردى الأوضاع ، واضطرمت نزعته الثورية ، وتحرى توعية الناس واستقطابهم لمشايعته هناك من أجل استنقاذهم من ويلات المعاناة تحت نير الحكم الفاسد ، بيد أنه لم يظفر بتأييد عملي كافٍ ، مما أثار حفيظته ، وجعله يصيح موغر الصدر متحسرًا متوعدًا :

**أَرَى أُنَاسًا وَمَحْصُولِى عَلَى غَنَمٍ  وَذِكْرَ جُودٍ وَمَحْصُولِى عَلَى الكَلِمِ**
**سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّى مِثْلَ مَضْرِبِهِ  وَيَنْجَلِى خَبَرِى عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ**
**لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لاتَ مُصْطَبَرٍ  فَالآنَ أُقْحِمُ حَتَّى لاتَ مُقْتَحَمِ**
**لأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ الخَيْلِ سَاهِمَةً  والحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ**
**وَالطَّعْنُ يُحْرِقُهَا والزَّجْرُ يُقْلِقُهَا  حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّمَمِ**
**بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَازَالَ مُنْتَظِرِى  حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الخَدَمِ**
**شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ نَافِلَةً  وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الحُجَّاجِ فِى الحَرَمِ** (٨٧)

إن نفس الشاعر لتمور غيظًا بعد خذلانه من أناس لا يعرفون سوى الطاعة العمياء لحكام يفتقرون إلى الجدارة السياسية والكفاءة الإدارية ، وكأن هؤلاء الورى قد غدوا أنعامًا فتلاشت لديهم فاعلية شعره ولم يلف لدعوته صدى وآذانًا مصغية واعية ، يهب ذووها لإصلاح الأود السياسي القائم ، ومن هذا المنطلق فإن الشاعر قد أزمع شن حرب وارية بعد أن تكلف الصبر ولم يعد ثمة اصطبار ، وسيستعين بفرسان كماة لا يهابون الردى ، متسمين بإيمانهم بالقضية السياسية التى ينازلون من أجلها (إنقاذ العرب من الحكم الأجنبي الغاشم الفاسد المستبد المذل) كما أن هؤلاء الفرسان المغاوير متسمون بالجرأة الفائقة التى تجعلهم يعلون من شأن الغاية على الوسيلة ، فلا يتورعون عن اقتراف الآثام الجسام فى سبيل تحقيق المستهدف سياسيًا ، وهو المبتغى من ورائه المصلحة العامة للأمة العربية التى صارت مغلوبة على أمرها .

وعندما حل المتنبي بقرية نخلة الدانية من بعلبك [٨٨] ووُجهت دعوته بالتخاذل من قبل قبيلة بني كلب ، حز فى نفسه انتفاء إرادة التغيير السياسي القسرى لديهم ، وتملكه الإحساس الحاد بالغربة والأسى العميق ، فصاح قائلاً:

مَا مُقَامِي بِأَرضِ نَخْلَةَ إِلاَّ ... كَمُقَامِ المَسِيحِ بَيْنَ اليَهُودِ
مَفْرَشِي صَهْوَةُ الحِصَانِ وَلَكِنَّ ... قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ
عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ ... بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ
فَاطْلُبِ العِزَّ فِى لَظَى وَذَرِ الذُّ ... لَ وَلَوْ كَانَ فِى جِنَانِ الخُلُودِ
أَنَا فِى أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللَّـ ... ـهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِى ثَمُودِ [٨٩]

إن شاعرنا المغيظ الثائر ليمتطي صهوة جواده متأهبًا للوغى بدرعه ولأمته ؛ فالموت الزؤام – فى عزة وكرامة – خير لديه من حياة موصومة بالهوان ، حتى لو كانت هذه الحياة فى جنان الخلود ، إنه لا يني ينشد التغيير من أجل تحقيق العزة والكرامة والسيادة له ولسواه من العرب ، بيد أنه لم

يلف المؤازرين لدعوته مما جعل الشعور بالغربة يتعمقه دافعًا إياه إلى تشبيه نفسه بالمسيح – عليه السلام – وتشبيه المتخاذلين العرب – الذين تخلوا عنه فى استنكار وحنق – باليهود الذين اضطرمت صدورهم بشنآن عيسى – عليه السلام – وفى البيت الأخير يعمد الشاعر إلى ترسيخ الفكرة نفسها عبر تشبيه هؤلاء بثمود ، وتشبيه نفسه بصالح – عليه السلام – حيث كانت صدورهم تشتعل ضغناً حياله ، والمرتكز الفكرى الذى كان معول الشاعر عليه فيما سلف تقرير رداءة الوسط المحدق به وعدم تجاوبه ، فهو وسط خامل سلبي متحامل أى أنه وسط طالح لا صالح .

وفى عام ٣٣٥هـ قال المتنبي فى مدحة خص بها الحسن بن عبيد الله بن طغج (والى الرملة بفلسطين من قبل عمه الإخشيد حاكم مصر) :

**فَمَالِىَ وللدُّنْيَا طِلاَبِى نُجُومُهَا ... وَمَسْعَاىَ مِنْهَا فِى شُدُوقِ الأَرَاقِمِ**
**وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ مَعْرِفَتِى بِهَا ... وَبِالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ** (٩٠)

ويبدو الشاعر عبر هذين البيتين مشبعًا بالقنوط ، مثقلاً بالتشاؤم – بعد إخفاق ثورته ومعاناته ويلات المحنة السياسية – ويقترن شعوره بالشكوى المريرة ، فهو ينشد من الدنيا سؤددًا فتضن عليه به ، وإن جادت فجودها بالصروف ، أما أهل هذه الدنيا فلا خير يُرتجى منهم ، ولا يستحقون سوى القتل دون أن تأخذ المرء بهم رحمة ، فالعرب خانعون أذلاء متخاذلون ، وسادتهم من العجم لا يتورعون عن ظلمهم وإلحاق الهوان بهم ، وتكدير صفو حياتهم بتسلطهم وصلفهم ، ولعلنا نلحظ فيما سلف أن النظرة السوداوية قد اقترنت بالتبرم والسخط والتمرد وإيثار العنف .

ومهما يكن من أمر فإن المتنبى قد أزمع أن يدع (نخلة) التى لم يلف فى أهلها خيرًا ، ليستقر فى (اللاذقية) مؤلبًا كثيرًا من أهلها الذين تجاوبوا مع دعوته ، مما جعل ولاة الأمور يتوجسون خيفة بعد أن نما إلى علمهم ما حدث عن طريق اليهودى (ابن كروّس) فأسرع لؤلؤ (والى حمص من قبل الإخشيديين) لإخماد ثورة المتنبى واعتقاله والزج به فى غياهب السجن الذى

لم يبرحه طوال عامين ، حتى أتى (ابن كيغلغ) – بعد عزل لؤلؤ – ليطلق سراح المتنبى الثائر المستتاب ، ولم يكن فشل الثورة ليثنى المتنبى عن عزمه بعد ذلك ؛ فهو (صاحب مبدأ سياسي) ينافح عنه متمردًا على ذوى الفساد السياسي من الحكام العجم ، ومن هنا فإنه يهتف قائلاً – فى بائية مدح بها المغيث بن على بن بشر العجلى – :

أَذَاقَنِى زَمَنِى بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا ... لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا

وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ وَالِدَةً ... وَالسَّمْهَرِىَّ أَخًا والمَشْرَفِىَّ أَبَا[٩١]

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِمًا ... حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِى قَتْلِهِ أَرَبَا[٩٢]

إنها النزعة الثورية والإيمان بفلسفة القوة من أجل الإصلاح والتغيير ، وهنا يزعم الشاعر أنه يبز الدهر قوة ، ويؤكد أن كبوته فى ثورته لن تفل عزمه فيما هو آتٍ ، فهو ابن حرب ، قوى الشكيمة ، رابط الجأش ، وسينجز مراده السياسى معضدًا بمغاوير الفرسان الذين يطلبون المنون فى حبور ؛ سعيًا لتحقيق الهدف السياسى المشروع .

ولما نزل المتنبي فى أنطاكية لم يتخل عن حلمه السياسى الكبير ، المتمثل فى قهر خصوم العرب ، واستعادة السيادة العربية ، فظل هذا الحلم يراوده ويداعب خياله ناشدًا تحقيقه على أرض الواقع بالتمرد المقترن بالقوة التى من شأنها إعادة رسم معالم الخريطة السياسية من جديد، وقد قال فى رائية كرسها لعلى بن أحمد الأنطاكي :

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوارِسِهَا الدَّهْرُ ... وَحِيدًا ومَا قَوْلِى كَذَا وَمَعِى الصَّبْرُ

وَأَشْجَعُ مِنِّى كُلَّ يَوْمٍ سَلاَمَتِى ... وَمَا ثَبَتَتْ إِلاَّ وَفِى نَفْسِهَا أَمْرُ

تَمَرَّسْتُ بِالآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا ... تَقُولُ أَمَاتَ المَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ

وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الأَتِىِّ كَأَنَّ لِى ... سِوَى مُهْجَتِى أَوْ كَانَ لِى عِنْدَهَا وِتْرُ

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا ... فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دارُهُمَا العُمْرُ

وَلاَ تَحْسَبَنَّ المَجْدَ زِقًّا وَقَيْنَةً ... فَمَا المَجْدُ إِلاَّ السَّيْفُ والفَتْكَةُ البِكْرُ

وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ المُلُوكِ وَأَنْ تُرَى ... لَكَ الهَبَوَاتُ السُّودُ والعَسْكَرُ المَجْرُ

وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمُلُهُ الْعَشْرُ (٩٣)

إننا بين يدى شاعر ذى طابع خاص ؛ فليس صراعه ضد البشر فحسب ، وإنما تنداح دائرة صراعه لتمتد إلى الدهر ، وهو يخوض غمار هذا الصراع وحيدًا ، حيث لا يستعين سوى بصبره دون كلل أو ملل ، وهو فى هذا الصراع ناجٍ دائمًا ولا يثنيه شىء ، ولا يكترث بالموت ، ولا يتسلل الرعب إلى فؤاده لدى اقتحامه المهالك فى بسالة ، وإنه لمضاءٍ السيل حال إقدامه على الشدائد والأهوال ، فليس ثمة ما يثنيه عن عزمه ولا يضن بمهجته فى سبيل بلوغ هدفه ، فهو يؤثر أن يدع المرء نفسه لتظفر بما تطمح إليه من سلطان وسواه ، وهو يربأ بنفسه عن القصف واللهو ؛ فليس المجد من منظوره – توفرًا على سلاف أو تهافتًا على سماع غناء قيان ، وإنما المجد الحقيقي منحصر فى دائرة الحرب والطعن والبطش بالخصوم ، والإطاحة بالملوك الظالمين الفاسدين والفتك بهم ، مما يستدعي إعداد الجيوش الجرارة التى تثير سنابك خيولها العثير لدى احتدام النزال ، فهذا هو المجد السامي الذى يملأ دويه الأسماع ، ويجعل اسم صاحبه يطبق الآفاق ، مانحًا إياه الخلود فى سجل التاريخ .

وفى موضع آخر من هذه القصيدة يعن المتنبي متوعدًا عبر قوله :

عَلَى لأَهْلِ الجَوْرِ كُلُّ طِمِرَّةٍ عَلَيْهَا غُلاَمٌ مِلْءُ حَيْزُومِهِ غِمْرُ (٩٤)

يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمِ كُؤُوسَ المَنَايَا حَيْثُ لاَ تُشْتَهَى الخَمْرُ

... وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلاَطِينِ مَقْتُهَا وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ (٩٥)

والتهديد الصادر من الشاعر المتمرد موجه هنا إلى أولئك الحكام القاسطين الذين أدمنوا شرب المدام ، فعليهم أن يستبدلوا بذلك شرب كؤوس الموت دهاقًا على أيدي فرسان مغاوير مترعة أفئدتهم – نحوهم – بالحقد والشنآن ، والشاعر إذ يشاطرهم هذا الشعور فإنه يعلن إباءه الدنومن هؤلاء الملوك أو مدحهم ؛ لأنهم خصومه الذين يمقتهم ، ولا يستحقون منه سوى الازدراء والمجابهة الحربية التى يتمخض عنها تقديم جماجمهم غذاء للنسور،

فالشاعر مغيظ متطلع إلى ما يطفئ لهيب غيظه ، وهو لا يخفي سخريته المرة منهم ، ولا ريب فى أن الأبيات السالفة جاءت مغلفة بالطابع النفسي الذى يميط اللثام عن كنه موقف الشاعر وشعوره .

وقد قال المتنبي فى ميمية كرسها لأبي الحسين علي بن أحمد الخراساني الذى كان ثاويًا بجبل جرش بالأردن :

لاَ افْتِخَارَاً إلاَّ لِمَنْ لا يُضَامُ ... مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لاَ يَنَامُ

...وَاحْتِمَالُ الأَذَى ورؤيَةُ جانِيْـ ... ـهِ غِذَاءٌ تَضْوَى بِهِ الأَجْسَامُ

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ ... رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ

... مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ ... مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلاَمُ

...أَقْرَارًا أَلَذَّ فَوْقَ شَرَارٍ ... وَمَرَامًا أَبْغِي وَظُلْمِي يُرَامُ

دُونَ أَنْ يَشْرَقَ الحِجَازُ وَنَجْدٌ ... وَالعِرَاقَانِ بِالقَنَا وَالشَّآمُ (٩٦)

وتقفنا هذه الأبيات على أنه آبٍ الهوان – بعد الفشل الذى مُنيت به ثورته التى كان يعقد عليها جم آماله السياسية – وقد غدا شعوره بالعزة والفخر نائيًا عنه بعد الأذى الذى لاقاه وبرى جسده ، وهو إذ يشعر بالأسى لهذا الإخفاق السياسي فإنه يبدو متماسكًا ، آبيًا العيش فى ضيم ، مؤثرًا عليه الردى ، وينزع إلى بث النخوة والحمية فى نفوس المتلقين عبر إزجاء الحكمة التى يخرج فيها من الإطار الشخصي إلى الإطار الإنساني العام – ببراعة فنية وذكاء – مقررًا أن من رضخ للذل ألفه وهان عليه ، وهو عندئذ لا يتباين عن ذلك الميت الذى لا تؤلمه الكلوم ؛ لأنه لم يعد ذا إحساس ، ويسترد شاعرنا قوته النفسية العاتية مجنبًا تداعيات الواقع الأليم ، وإذا به يجأر فى شجاعة ثورية معلنًا رفض الهوان والحيف ، ويتوعد الخصوم بحرب حامية الوطيس ، يستعين فيها بجيش عرمرم فى شتى الأنحاء ؛ كي يثأر منهم ، وهم الذين لم يذق العربي معهم سوى مرارة الحرمان والبؤس والذل ، ولم ينعم بعدل أو حياة آمنة كريمة عزيزة .

**شعر التيار السياسى فى المرحلة الحلبية :**

**١- مردود الموقف السياسي تجاه التمرد :**

لم يتخلف شعر المتنبي عن رصد حركات التمرد والعصيان الداخلية ، التى كان ينجم عنها القمع باستخدام القوة الحربية ؛ نشداناً لاستتباب الأمن وتحقيق الاستقرار السياسي ، وسجل لنا شعر المتنبى جهود سيف الدولة الحمداني فى هذا المضمار ، وفى عام ٣٤٣هـ تمرد بنو كلاب وشقوا عصا الطاعة ، مما استدعى ردعهم حربيًا ، بغية إخضاعهم ، ليكون ذلك مدعاة لعودتهم إلى الانضواء تحت مظلة طاعة سيف الدولة الذى صفح عنهم بعد ذلك ، وعني المتنبي بهذا الحدث السياسي المقترن بالحراك الحربي عبر بائيته التى مطلعها :

**بِغَيْرِكَ رَاعِيًا عَبِثَ الذِّئَابُ وَغَيْرَكَ صَارِمًا ثَلِمَ الضِّرَابُ** (٩٧)

ومؤدى هذا البيت أن سيف الدولة مضطلع بحفظ رعيته ، ولا يتسنى لأحد النيل منهم فى ظل حمايته ورعايته لهم ؛ فهو كالحسام الذى لا يكسره الضرب.

وقد نهد سيف الدولة إلى متمردى بني كلاب بجيش جرار ، متأهب للنزال بكثرة عدده وعدته ، فما كان لهم أن يثبتوا أمامه ، فنزل بهم الهوان ، وغدت رجالهم كنسائهم ، وانقلبت حياتهم رأسًا على عقب :

**رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِى البرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ**

**فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُم حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُم تُرَابُ**

**وَمَنْ فِى كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِى كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ** (٩٨)

وكان معول الشاعر على توظيف بنية (المفارقة) سعيًا إلى إبراز طرحه الفكرى على نحو جلى .

وحين لاذ رجال بني كلاب بالفرار لم يكن من شأن سيف الدولة سوى صيانة نسائهم من السبى ، ولا عجب فى ذلك ؛ فهو من ربيعة ، وبنو كلاب من مضر ، وربيعة ومضر من أبناء نزار بن معد :

فَقَاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِمِ وَفَرُّوا نَدَى كَفَّيْكَ وَالنَّسَبُ القُرَابُ

وَحِفْظُكَ فِيهِمِ سَلَفِي مَعَدٌّ وَأَنَّهُمُ العَشَائِرُ وَالصِّحَابُ (٩٩)

وكف سيف الدولة الرماح عنهم ، بعد أن غدت طرق الجبال مترعة بنسائهم :

تُكَفْكِفُ عَنْهُمُ صُمَّ العَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمِ الشِّعَابُ (١٠٠)

وكان المتنبي حصيفًا فى رصد هذا الحدث وتحليله ، حيث التمس تحقيق (الخروج الآمن) للمتمردين من هذه الأزمة عبر استعطافه سيف الدولة ، وتذكيره بمنزلة هؤلاء الذين نفخ الشيطان فى معاطسهم ، وإبرازه جدواهم لدى الخطوب المدلهمة ، فضلاً عما يتواشجون به من نسب ، ويضرب المتنبى على الوتر الحساس عبر إبدائهم راضخين لسيادة ممدوحه وسلطانه ، ويشيد بمناقبهم ، فهم أجواد ، ذوو كفاءة إبان الشدائد ، حيث يقهرون الولاة الآخرين فيما لو اقتضت الحاجة ، وفى تقديرى أن الشاعر كان موفقًا فى إرضاء الطرفين ، فلبى حاجة بني كلاب إلى العفو الذى لا ينال من كرامتهم وعزتهم ، ولبي حاجة ممدوحة الحاكم المهيب ، منوهًا ببأسه وبسالته وسيادته السياسية ، وهو إذ يستعطف ممدوحه فإنه يستعين بالإقناع الذهنى له كي يلبي رغبته ، فهو يعول على الركيزتين : النفسية والعقلية ، إذ يقول :

تَرَفَّقْ أَيُّهَا المَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالجَانِي عِتَابُ

وَإِنَّهُمْ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدْعُو لِحَادِثَةٍ أَجَابُوا

وَعَـــيْنُ المخْطِـــئِينَ هُـــمُ وَلَيْسُـــوا  بِـــأَوَّلِ مَعْشَـــرٍ خَطِئُـــوا فَتَـــابُوا

وَأَنْـــتَ حَيَـــاتُهُمْ غَضِـــبَتْ عَلَـــيهِمْ  وَهَجْـــرُ حَيَـــاتِهِمْ لَهُـــمُ عِقَـــابُ (١٠١)

والبيت الأخير يرهص بحذق الشاعر الذى خاطب ممدوحه السياسي المحنك من منظور نفسي كفيل بإحراز المستهدف .

ويتوخى استعطاف سيف الدولة على بني كلاب أيضًا لدى قوله :

وَكَيْـــفَ يَـــتِمُّ بَأسُـــكَ فِـــى أُنَـــاسٍ  تُصِـــيبُهُم فَيُؤلِـــمُكَ المُصَـــابُ (١٠٢)

إنهم نسيج واحد ، والمشاركة الوجدانية أمر لا سبيل إلـى إنكـاره ، فمصابهم فيه إيلام لسيف الدولة .

وحسب هذا الممدوح أنه لم يحل بينه وبين مراده حائل وهـو غـاز لديارهم ليلاً :

وَلَكِـــنْ رَبُّهُـــمْ أَسْـــرَى إِلَـــيْهِمْ  فَمَـــا نَفَـــعَ الوُقُـــوفُ ولاَ الـــذَّهَابُ (١٠٣)

وَلاَ لَيْـــلٌ أَجَـــنَّ وَلا نَهَـــارٌ  وَلاَ خَيْـــلٌ حَمَلْـــنَ ولاَ رِكَـــابُ (١٠٤)

ومع تسليم المتنبي بهزيمة بني كلاب فإنه يتحـرى تقـريظهم عبـر قوله :

وَلَـــوْ غَيْـــرُ الأَمِـــيرِ غَـــزَا كِلاَبًـــا  ثَنَـــاهُ عَـــنْ شُمُوسِـــهِمِ ضَـــبَابُ

وَلاَقَـــى دُونَ ثَـــايِهِم طِعَانًـــا  يُلاَقِـــي عِنْـــدَهُ الـــذِّئْبَ الغُـــرَابُ

وَخَـــيْلاً تَغْتَـــذِى رِيـــحَ المَـــوَامِي  وَيَكْفِيهَـــا مِـــنَ المَـــاءِ السَّـــرَابُ (١٠٥)

حيث تقفنا هذه الأبيات على أنهم بواسل ، ولو أن أحدًا سوى سـيف الدولة هو الذى غزاهم لرده ضعافهم عن كبرائهم ، ولحال بينه وبين بلـوغ مراده طعان مقترن بكثرة القتلى الذين يغدون طعامًا للذئاب والغربان ، كما أن لديهم الخيل العراب ، وبادٍ هنا أن الشاعر ينشد إيجـاد الاتسـاق بـين

عاطفتين متقابلتين : الحب لسيف الدولة الذى يقتضيه إطراء جهوده فى قمع المناوئين ، والشفقة على هؤلاء المناوئين الذين ينتمون إلى إحدى القبائل العربية ، وهو يحاول جاهدًا إحراز رضا الطرفين وهو شأن تكتنفه الصعوبة، فشاعرنا يمضي مبرزًا ما لسيف الدولة من أياد بيضاء على بني كلاب الذين كثروا فى عهده :

**وَإِنْ يَكُ سَيْفُ دَوْلَةِ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ**
**وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثُّوا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا** (١٠٦)

ثم يبين أنهم من قبل قد انضووا تحت لوائه وعضدوه فى نزال الخصوم ، ودان لهم من العرب الشموس :

**وَتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبُوا الأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ العَرَبِ الصِّعَابُ** (١٠٧)

وجلي أن الشاعر إبان تدبيج يراعه أبيات هذه البائية كان يعاني من صراع داخلي نفسي عاتٍ ، بدا فيه تياران : أولهما – الرغبة فى تمجيد سيف الدولة (الظافر) وثانيهما – الرغبة فى مساعدة بني كلاب انسياقًا مع تداعيات نزعة العروبة لديه ، وعلينا ألا ننسى كون المتنبي ذا وشيجة سالفة ببني كلاب ، تعود إلى مرحلة صباه ، حيث نزل فيهم ومدح بعض ساداتهم وأحسنوا معاملته ، فحمل لهم الوفاء والود، وآثر رد ما لهم من فضل عليه .

وقد توخى الشاعر التعريض بمن أضرموا نار الفتنة ، وسعوا لإثارة القلاقل ، مستهدفين زعزعة استقرار الدولة ، حيث قال :

**وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ العَذَابُ** (١٠٨)

وينحو هنا – كديدنه – إلى إزجاء الحكمة المنبثقة من الموقف المصوَّر ، بيد أنها تتجاوزه إلى الإطار الإنساني العام ، مما يشي ببراعة الشاعر ورحابة أفقه الإبداعي .

ومن مظاهر عناية المتنبى بالأحداث السياسية على الصعيد الداخلى للدولة الحمدانية تلك القافية المتواشجة بعام ٣٤٤هـ ، الذى شهد تمردًا قبليًا من أناس قبائل شتى منها قيس وبنو عقيل وقشير وعجلان ، فما كان من

سيف الدولة – وهو رأس هذه الدولة – سوى الإقدام على ردعهم ، وقتل بعضهم ، ثم العفو عن بعضهم الآخر بعد إيابهم إلى السبيل المستقيمة التي تقتضي الانصياع لما كان يتطلبه الأمر آنذاك من وحدة الصف العربي ، وكان المتنبى معنيًا بما حدث فى قصيدته التى مطلعها :

**تَذكَّرتُ ما بَينَ العُذيبِ وبارقِ مَجرَّ عَوالينا ومَجرَى السَّوابقِ** (١٠٩)

وكان من أبيات هذه القافية قوله :

**بِرَأى مَن انقادتْ عُقيلٌ إلى الرَّدَى وإشماتِ مَخلوقٍ وإسخاطِ خالقِ**

**أَرادوا عليًّا بالَّذى يُعجِزُ الورَى ويُوسِعُ قَتلَ الجحفَلِ المتَضايقِ** (١١٠)

إن قبيلة بنى عقيل قد سعت إلى رداها بما صنعت ، كما أشمتت سواها فيها ، وباءت بغضب الله تعالى ، فعصيان سيف الدولة ليس بالأمر الهين ، وليس له من جزاء رادع سوى البطش والردى .

ونرى الشاعر معنيًا بقبيلة أخرى متمردة ، حيث يقول :

**ولمَّا كسا كعبًا ثيابًا طَغَوا بِها رَمَى كُلَّ ثَوبٍ من سِنانٍ بخارقِ** (١١١)

وهنا يتجلى سيف الدولة المفضال كاسيًا قبيلة كعب ثياب نعمته ، بيد أنها جنحت إلى عصيانه ، فكانت قمينة بمبادرته إلى سلب آلائه السابغة عليها ، بل قمينة بإخضاعها عبر نزالها.

ثم يقول أبو الطيب المتنبي :

**فَليتَ أَبا الهَيجا يَرى خَلفَ تَدمُرٍ طِوالَ العَوالى فى طِوالِ السَّمالقِ** (١١٢)

**وسَوقَ عَلىٍّ مِن مَعَدٍّ وغَيرِها قَبائلَ لا تُعطِى القُفىَّ لِسائقِ**

**قُشَيرٌ وبلعَجلانِ فيها خَفيَّةٌ كَراءينِ فى أَلفاظِ أَثغَ ناطقِ**

**تُخلِّيهم النِّسوانُ غَيرَ فَوارِكٍ وهُمْ خلَّوا النِّسوانَ غَيرَ طَوالقِ**

**يُفرِّقُ ما بَينَ الكُماةِ وبينَها بِضربٍ يُسَلِّى حرُّه كُلَّ عاشقِ** (١١٣)

يتمنى الشاعر هنا أن يكون أبو الهيجاء – أبو سيف الدولة – على قيد الحياة ؛ كي يرى ما فعل ابنه الذى ساق أمامه رجالاً من معد وسواها من

القبائل التى لا تولى قفاها لسائق سواه ، ثم يخص الشاعر بالذكر قبيلتي بني قشير وبني العجلان اللتين توارتا بين القبائل كتوارى رائين فى لفظ ألثغ حال تكرار النطق (ويشي هذا التصوير بنزعة الشاعر الابتكارية) وإن نساء هاتين القبيلتين قد بانت كل واحدة منهن عن زوجها ، لا لأنها تبغضه ، وإنما لكونه مشتتاً فى شتى الأرجاء ، فكان الترك بلا طلاق ، وقد فرق سيف الدولة بين الرجال المتمردين ونسائهم بكره وطعنه .

وإذا كان المتنبي معنيًا برصد الحدث فى إطار فني فإنه يجنح إلى طرح رؤيته للموقف المتناول ، والجمع بين ذكر الجزاء وتعليله على نحو يكفل الإقناع الذهني للمتلقي الذى لا يدعه الشاعر حتى يكون على ثقة من سلامة الموقف السياسي لسيف الدولة ، ولنستمع إلى قول المتنبي :

**وكَانوا يَرُعونَ الملوكَ بأَنْ بَدَوا ... وأَنْ نبتتْ فى الماءِ نبتَ الغَلافقِ** (١١٤)

**فهاجُوكَ أهدى فى الفَلا من نجومهِ ... وأَبدَى بيوتًا من أَداحِى النَّقانقِ** (١١٥)

**وأَصبرَ عَن أمواهِهِ من ضِبابِه ... وآلفَ منها مُقلةً للودائقِ** (١١٦)

**وكانَ هديراً من فحولٍ تَركتَها ... مُهلبةَ الأذنابِ خُرسَ الشَّقاشقِ** (١١٧)

**فما حَرموا بالركضِ خيلَكَ راحةً ... ولكنْ كَفاها البرُّ قَطعَ الشَّواهقِ**

**ولا شَغلوا صُمَّ القَنا بِقلوبِهم ... عَن الرَّكزِ لكنْ عَن قلوبِ الدَّماسقِ** (١١٨)

إنهم قد اتخذوا البادية مثواهم ، وهم يضاهون الطحالب التى تعلو الماء الآسن ، وقد أثاروا حاكمهم – سيف الدولة – بعصيانهم فانطلق لردعهم ، وكان فى انطلاقه أهدى من النجم فى البيداء ، وأجلى من بيض النعام ، واجتاز الصعاب فى سبيل إخضاعهم قسرًا ، ليقاسوا بعد ذلك مرارة الهوان وشر الردى المستطير ، وهم حريون بما نالهم ؛ فقد آثاروا الفتن والاضطرابات ، وشغلوا أميرهم عن المواجهة الحربية ضد الخصم المشترك (الروم) .

والبيت الأخير يبرز أن المتنبي كان معنيًا بما يتواشج بالسياسة الداخلية لممدوحه وفى الآن ذاته كان معنيًا أيضًا بتداعيات ذلك على السياسة

الخارجية ، ومن هذا المنطلق فقد عرج على تبيان مردود الحرب الداخلية التى صرفت سيف الدولة – عندئذ – عن المضى قدمًا نحو حرب الروم خصوم العرب الألداء الذين لا يتوانون عن السعي الدائب لتقويض حكمهم ، وتهديد أراضيهم ، والنيل من استقرارهم .

وإذا كان سيف الدولة قد نجح فى قمع الثائرين ضده ، فإن المتنبي قد سلط الضوء على ما كان بعد ذلك من خضوع وطاعة – ولا سيما ما كان من قبيلة نمير – مبرزًا مردود ذلك على سيف الدولة :

**لَـوَفَـدُ نُمَـيرٍ كَـانَ أرشَـدَ مِـنهمُ وقَـد طَـردوا الأَظعـانَ طَـردَ الوَسـائقِ** (١١٩)

**أَعَـدُّ رِماحًـا مِـن خُضُـوعَ فَطـاعَنُوا بِهـا الجَـيشَ حتَّـى ردَّ غَـربَ الفَيـالقِ**

**فلـمْ أَرَ أَرْمَـى مِنـه غَـيرَ مُخاتـلٍ وأَسـرَى إلى الأَعـداءِ غَـيرَ مُسـارقِ**

**تُصـيبُ المجـانيقُ العِظـامُ بِكفِّـهِ دقـائقَ قـدْ أَعيـتْ قِسـيَّ البَنـادقِ** (١٢٠)

وتبدو الإشادة هنا ببني نمير الذين اتخذوا موقفًا إيجابيًا ، إذ بادروا إلى طرد نساء عصاتهم المتمردين الهاربين طرد الإبل ، وأعلنوا الخضوع ، مصغين لصوت العقل ، ملبين لما تقتضيه المصلحة العامة ، فكفوا أنفسهم شر القتال ضد حاكم كنه أمره أنه لا يخاتل ولا يسارق مع كثرة سيره إلى الخصوم ورميه إياهم .

وثمة قصيدة أخرى تعكس اهتمام المتنبي بما حدث آنفًا ، تلك هى الرائية التى مطلعها :

**طِـوَالُ قَنًـا تُطاعِنُهـا قِصـارُ وقَطُـركَ فـى نَـدىً ووَغـىً بِحـارُ** (١٢١)

وكان من أبيات هذه القصيدة قوله :

**وأَجفلَ بِالفُراتِ بنو نُمَيرٍ ... وزأرهُمُ الذى زَأروا خُوارُ**

**فَهُمْ حِزَقٌ علَى الخابورِ صَرْعَى ... بِهِمْ مِنْ شُربِ غَيرِهِم خُمارُ**

**فَلمْ يَسرحْ لهمْ فى الصُّبحِ مالٌ ... ولمْ تُوقَدْ لهمْ بالليلِ نَارُ** (١٢٢)

لقد حلت الهزيمة ببني نمير على نحو حثيث ، فولوا الأدبار ، ولكن هيهات ذلك ، حيث لحق بهم سيف الدولة ، ليكون منهم الصرعى الذين انتشرت جثثهم على ضفاف نهر الخابور – وهو نهر عند الفرات – وانقلبت حياة هذه القبيلة المتمردة إلى النقيض ، وهذا جزاء المروق وعصيان الحاكم.

ويوجه المتنبي خطابه إلى ممدوحه قائلاً :

**وفيكَ إذا جَنَى الجُناةُ أناةٌ ... تُظَنُّ كَرامةً وهيَ احتقارُ**

**وأَخذٌ للحواضرِ والبَوَادِى ... بِضبطٍ لم تُعَوده نِزارُ** (١٢٣)

ونقف هنا على أن سيف الدولة سياسي ذو حنكة ، فهو متسم بالحلم ، بيد أن ذلك لا يحول دون أخذه أهل الحواضر والبوادى بالضبط والحزم على نسق لم تألفه العرب فى مضمار السياسة .

ويتحرى شاعرنا تجميل الصورة عبر قوله :

**تُفرِّقُهم وإيَّاهُ السَّجايا ... ويَجمعهمْ وإيَّاهُ النِّجارُ** (١٢٤)

ومرتكز المضمون هنا على (المفارقة) التي جاء المعول فيها على التفريق والتجميع ، فهؤلاء الذين انزلقوا إلى مستنقع التمرد يتباينون عن سيف الدولة من حيث الطباع ، بيد أن ثمة أصلاً واحدًا يجمعهم وإياه ، وهنا تتبلور نزعة العروبة التى حدت بالشاعر إلى أن يقول بعد البيت السالف :

**بَنُو كَعبٍ وما أَثَّرتَ فِيهِمْ ... يَدٌ لمْ يُدمِها إلا السِّوارُ**

**بِها مِنْ قَطعِهِ ألمٌ ونَقْصٌ ... وفِيها مِنْ جَلالتِهِ افتخارُ**

**لَهمْ حَقٌ بِشركِكَ فِى نِزارٍ ... وأَدنَى الشِّركِ فِى أَصلٍ جِوَارُ**

**لَعلَّ بَنِيهِم لِبنيكَ جُندٌ ... فَأَولُ قُرَّحِ الخَيلِ المِهارُ** (١٢٥)

**وأَنتَ أَبرُّ مَنْ لو عُقَّ أفنَى　　وأَعفَى مِنْ عُقوبتِهِ البَوارُ**
**وأَقدرُ مَنْ يُهيجُه انتصارٌ　　وأَحلمُ مَنْ يُحلِّمُه اقتدارُ**
**وما فِي سَطوةِ الأَربابِ عَيبٌ　　ولا فِي ذِلَّةِ العُبدانِ عَارُ** (١٢٦)

إن ما ألحقه سيف الدولة ببني كعب من قتل وهوان لمضاءٍ ليد أدماها السوار الذى هو حلية حرية بالزهو وإن اقترنت بالإيلام ، والشاعر هنا يتحرى التهوين على بني كعب الذين منوا بالهزيمة المنكرة حين جابههم سيف الدولة حربيًا ، وإن هؤلاء لهم حق الجوار ، حيث يلتقون فى نسبهم إلى نزار ، ثم إن بنيهم قد يكونون جندًا معضدين لبنيه بعد ذلك ، وهكذا ينحو الشاعر إلى استعطاف ممدوحه عليهم ، وهو المتسم بالبر والعفو والبأس والحلم ، وجميل أن يكون منه العفو عند المقدرة ، وإبراز سطوته – وهو ولى الأمر – ليس بعاب كما أن إبداء هؤلاء الخضوع والامتثال لطاعته ليس بعار يشينهم ؛ فهو مولاهم ، وهم يعيشون تحت مظلة دولته ، ولم ينس الشاعر فى هذه الرائية أيضًا أن يومئ إلى أن هذه القلاقل الداخلية قد شغلت سيف الدولة عن التفرغ لحرب الروم ، فكان لها مردود سلبي على الصعيد السياسي العربي .

**٢- تداعيات الموقف السياسي حيال الروم :**

على نحو ما عني المتنبى فى شعره ذى الطابع السياسى بشئون السياسة الداخلية لسيف الدولة ، عنى بما يتواشج بالسياسة الخارجية ، وهذا أدعى إلى استيفاء معالم الصورة لدى المتلقى .

ولا ريب فى أنه قد " كان للروم حضور كثيف فى شعر المتنبى ، فاستحضرهم ملوكًا وقوادًا وجيوشًا وجنودًا وسبايا وسفراء ورهبانًا وبطارق ومدنًا وقلاعًا وثغورًا وأنهارًا وجسد صراع العرب والروم فى أدق تفاصيله وصوره ، ونظم قصائد رائعة تتغنى بانتصار العرب وهزائم الروم " (١٢٧).

ومما يحسب للمتنبي أنه " كان يشهد الحروب بنفسه مع سيف الدولة ، ومن ثم جاء وصفه للحروب متميزًا عن وصف غيره من الشعراء لممارسته وخبرته للحروب ومعايشته واحتكاكه بأحداثها "(١٢٨) .

ومن الحروب العديدة التى خاض المتنبى غمارها تحت لواء جيش سيف الدولة : سمندو – فى مرتين – ومرعش وآلس وطرسوس والسنبوس والحدث .

وفضلاً عن المعايشة عن كثب والحنكة فإن المتنبي مصور صناع ، يمتلك أدواته الفنية ، ويوظفها بمهارة فائقة لا يملك المتلقى معها سوى التفاعل الحميم مع إبداعه الشعرى الفذ ، فهو ينقل الحروب إلى المتلقى ، وينقل المتلقى إلى ساحاتها .

وكان المتنبى على دراية بكون الحروب الرومية ليست فى كنه أمرها سوى (استراتيجية سياسية) ذات أبعاد عميقة ومستهدفات شتى ، وإذا كان المتنبى قد عني أيما عناية بتقريظ الجهود الحربية لممدوحه السياسي سيف الدولة ، فإن ذلك يحمل الدلالة على وعيه السياسى وقيمة شعره " وكانت أول قصيدة له عند لقائه فى حربه الروم ، وآخر قصيدة له عند فراقه (فى حربه للروم) وأكثر شعره خلالهما قد قاله فى هذه الحرب ، وإن هذه القصائد فوق ما حوته من قيمة أدبية وسحربيان وتحليق فى فن المعانى والأسلوب وسمو فى الصنعة ، فإنها تجمع فى أبياتها قيمة تاريخية وجغرافية عالية القدر ، وتعد وثائق فى غاية الخطورة لكتابة التاريخ السياسى والتحقيق الأدبي عن عصر سيف الدولة "(١٢٩).

لقد كانت حروب سيف الدولة ضد الروم انعكاسًا لسياسته الخارجية التى تستهدف حماية الدولة من خطر الخصوم ، وقد تعانق فى شعر المتنبي المتواشج بهذا المنحى الصدقان : الواقعى والفنى ، وتماهت فيه القيمتان : التاريخية والفنية ، وكما عنى بانتصار سيف الدولة عني بانكساره ، بيد أن جل التركيز انصرف إلى تسجيل الظفر وتمجيده على نحو مذكٍ لنزعة العروبة.

وتمثل معركة (خرشنة) – سنة ٣٣٩هـ – باكورة اهتمام المتنبي برصد أبعاد الصراع الحربي المحتدم بين العرب والروم مع تحليله وطرح رؤاه الخاصة حياله ، وله في هذه المعركة عينية مطلعها :

**غَيرِي بِأَكثرِ هَذا النَّاسِ يَنخدِعُ ... إنْ قَاتلوا جَبُنوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُعوا** (١٣٠)

وهذا المطلع – في تقديري – مفتاح الولوج إلى كنه الموقف الذي أثار حفيظة الشاعر في هذه القصيدة ، حيث إن سيف الدولة في هذه الموقعة قد أحرز النصر المبين في البداية وواصل تقدمه في بلاد الروم ، بيد أن تخاذلاً قد حدث بين بعض مقاتلي جيشه في إثر تضييق الروم الخناق عليهم فحلت الهزيمة بجيش سيف الدولة الذي آب منسحبًا إلى حلب ، ومن أبيات هذه القصيدة التي تبرز الفعاليات الإيجابية التي واكبت مستهل هذه المعركة :

**قَادَ المَقانِبَ أَقصَى شُربِها نَهَلٌ ... عَلَى الشَّكيمِ وأَدنَى سَيرِها سِرَعُ**

**لا يَعتَقِي بَلَدٌ مَسراهُ عَنْ بلدٍ ... كَالموتِ لَيسَ لَهُ رِيٌّ ولا شِبَعُ**

**حَتَّى أَقامَ عَلَى أَربَاضِ خَرْشَنَةٍ ... تَشقَى بِهِ الرُّومُ والصُّلبانُ والبِيَعُ** (١٣١)

**لِلسَّبي ما نَكحوا والقَتلِ ما وَلَدُوا ... والنَّهبِ ما جَمَعُوا والنَّارِ ما زَرَعُوا**

**مُخلىً لَهُ المَرجُ مَنصوبًا بِصارخَةٍ ... لَهُ المَنابرُ مَشهودًا بِها الجُمَعُ**

**يُطمِّعُ الطَّيرَ فِيهم طُولُ أَكلِهِم ... حَتَّى تَكادَ عَلَى أَحيائِهِمْ تَقَعُ** (١٣٢)

لقد قاد سيف الدولة خيول جيشه التي يمتطي صهواتها الفرسان ، وهي تعدو نحو الخصوم حتى بلغت خرشنة – في بلاد الروم – فاستشرى القتل والسبي وإضرام النيران التي أتت على الزروع والبيع والصلبان ، وغنم جيش سيف الدولة أموال الروم ، وبعد هذه الأحداث التي توالت عاصفة لم يكن أمامهم سوى التقهقر بعد فقدان خرشنة والمرج وصارخة على نحو متوالٍ، لترفرف راية الإسلام على تلك الربوع ، وتقام الصلوات ، أما جثث صرعى الجيش الرومي فقد غدت غذاء للطير .

وقد التفت المتنبي إلى (الدمستق) (١٣٣) الذي قاد الجيش الرومي فصوره على نحو ساخر عبر قوله :

**ذَمَّ الدُّمستقُ عَينيهِ وقدْ طَلعتْ — سُودُ الغَمامِ فَظنُّوا أنَّها قَزَعُ**
**فِيهَا الكُماةُ التّي مَفطومُهَا رَجُلٌ — عَلى الجِيَادِ التَّي حَوليُّهَا جَذَعُ** (١٣٤)

لقد أخطأ هذا القائد تقدير جيش سيف الدولة ، فتوهمه قليل العدد ، بيد أن الواقع قد تجلى إزاءه عندما كرت عليه الجحافل كالغمام الأسود ، فلام عينيه لأنهما أوهمتاه بغير الحقيقة فيما يتواشج بهذا الجيش الجرار الذى يبدو فيه الصغير كالكبير .

وكما اهتم المتنبي بإبراز انتصار جيش سيف الدولة عندما دارت رحى حرب (خرشنة) فإننا نراه مهتمًا كذلك بإيضاح ما طرأ فيها من تحول ، حيث رجحت كفة الروم فى الجولة الأخيرة ، يقول شاعرنا :

**قُلْ للدُّمستقِ إنَّ المسلمينَ لَكُمْ — خَانُوا الأَميرَ فَجازاهمْ بِمَا صَنَعُوا**
**وَجدتُموهُمْ نيامًا فِى دِمَائِكُم — كَأَنَّ قَتلاكمُ إيَّاهُم فَجَعُوا**
**ضَعْفَى تَعِفُّ الأَيادِى عَنْ مِثالِهم — مِنَ الأَعادِى وإنْ هَمُّوا بِهمْ نَزعُوا**
**لا تَحسَبُوا مَنْ أَسرتُمْ كانَ ذا رَمقٍ — فَليسَ يأكلُ إلاَّ المَيِّتَ الضَّبُعُ** (١٣٥)

وفى هذا المشهد الذى تغيرت فيه دفة الأمور ، نرى المتنبي يحمل على أولئك الذين سقطوا أسرى فى قبضة الروم ، متهمًا إياهم بخيانة أميرهم وقائدهم ، فكان جزاؤهم من جنس عملهم ، وليس أسر هؤلاء إنجازًا حريًا بالزهو ؛ حيث تجسد فيهم الوهن والجبن والهوان ، وليس أدل على ذلك من تحريهم إيهام الروم بكونهم قتلى ، إذ زجوا بأنفسهم بين قتلاهم ، وهم يضاهون الموتى ، وتأسيسًا على ذلك فإن أجسامهم العفنة قمينة بنهش الضباع ، وكان لهذا الموقف السلبى مردوده البين على نفسية الشاعر وشعوره وشعره ، ولعل مما يشى بذلك أننا نراه يربأ بنفسه عن توجيه الخطاب إلى الدمستق على نحو مباشر؛ إيحاء باشمئزازه ونفوره منه وبغضه له ؛ فهو خصم سياسى لدود ، يسعى إلى النيل من دولة العرب حربيًا ، وليس جديرًا بتقدير أو احترام من قبل العرب ولا سيما الشاعر الذى تتجلى نزعة العروبة فى شعره كثيرًا ، وفى معارض شتى .

ولا جرم أن هذه النزعة قد شكلت موقف المتنبي حيال الروم ، حيث يقف منهم موقفًا سلبيًا بل معاديًا فى بعض نصوص شعره الأخرى ، فالشقاء مقترن بهم :

**وأشقَى بِلادِ اللهِ ما الرُّومُ أَهلُها بِهَذا وما فِيهَا لمجدِكَ جَاحِدُ** (١٣٦)

وعندما أزمع سيف الدولة حرب الروم فى (السنبوس) وكان ذلك فى عام ٣٤٠هـ ، نظم المتنبي قصيدة من أبياتها قوله :

**وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقيونَ أَنَّنا إذا ما تركْنا أرضَهْم خَلْفَنا عُدْنَا** (١٣٧)

وفى نص آخر يراهم طغاة – وعلى رأسهم ملكهم – ومن هذا المنطلق فإن مآلهم إلى الردى :

**يَشُقُّ بِلاَدَ الرُّومِ والنَّقْعُ أَبْلَقٌ بِأَسيافِهِ والجَوُّ بِالنَّقعِ أدهَمُ**
**إلَى الملكِ الطَّاغِى فَكَمْ مِنْ كَتيبةٍ تُسايرُ مِنْهُ حَتفَها وَهْى تَعْلَمُ** (١٣٨)

وثمة موقعة أخرى ، تلك هى (مرعش) التى ألحق فيها سيف الدولة بجيش الروم هزيمة منكرة ، وكان ذلك سنة ٣٤١هـ ، وقد حرص المتنبى على تقريظ جهود سيف الدولة فى بناء حصن مرعش الذى خربه الروم من قبل – فى سنة ٣٣٧هـ – وشرع سيف الدولة فى إعادة البناء ، وأخفق الدمستق فى الحيلولة دون ذلك ، وفر هاربًا بعد تصدى سيف الدولة وجيشه له ولجنود جيشه ، فتغني شاعرنا بهذا الإنجاز فى بائية منها قوله مشيدًا بالجهود التى يبذلها سيف الدولة فى سبيل دولته :

**إذَا الدَّولةُ استَكفتْ بِهِ فِى مُلمَّةٍ كَفَاها فَكانَ السَّيفَ والكَفَّ والقَلْبَا** (١٣٩)

ويخاطب ممدوحه مبينًا ما ينهض به من دور فعال حيال أهل الثغر ، إذ يقول :

**فَيومًا بِخَيلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُ وَيومًا بِجُودٍ تَطْرُدُ الفَقْرَ والجَدْبَا** (١٤٠)

إنه ليضطلع بتبعته نحوهم فى الحرب والسلم على حد سواء ، حيث يذود عنهم خطر الروم الداهم ، ويدرء عنهم شبح الفاقة والجدب أيضًا .

ولا يني يخاطب ممدوحه القائد المظفر قائلاً فيها :

**سَـرَاياكَ تَتْـرَى والدُّمسـتُقُ هَـارِبٌ وَأَصـحابُه قَتْلَـى وَأَموالُـهُ نُهْبَـى**

**أَتَـى مَرْعَشًـا يَسـتقرِبُ البُعْـدَ مُقْـبِلاً وَأَدبـرَ إِذْ أَقبلْـتَ يَسْـتبعِدُ القُرْبَـا** (١٤١)

إن ملك الروم – الدمستق – الذى جاء إلى حصن مرعش – من أعمال ملطية – يعقد الآمال على إحراز الظفر ، لم يسعه سوى الفرار بعد رؤيته سرايا جيش سيف الدولة تجتاح متتابعة ، فهاله ما رأى ، وحلت به الهزيمة التى تمخضت عنها خسائر فادحة أبرزها كثرة القتلى فى صفوف جيشه ، وضياع أمواله ، وقد وظف المتنبى بنية المفارقة على نحو يثير التهكم ، فالدمستق عندما أتى إلى مرعش كان التفاؤل والسرور يغمرانه ، فكان القصى عليه دانيًا لنشاطه ، ولما حدث النزال ومني بالهزيمة انقلبت الحال رأسًا على عقب ، فغدا القريب نائيًا بعد أن استبد به الخوف .

ومن أبيات هذه القصيدة أيضًا قول المتنبي :

**مَضَـى بَعـدما التـفَّ الرِّماحَـانِ سَـاعةً كَمـا يَتلقَّـى الهُـدْبُ فِـى الرَّقْـدَةِ الهُـدْبَا**

**ولكنَّـهُ ولَّـى ولِلطَعْـنِ سَـوْرةٌ إِذَا ذَكَرتْهـا نَفْسُـهُ لمـسَ الجُنْبَـا**

**وَخَلَّـى العَـذَارَى والبَطـارِيقَ والقُـرَى وشُـعثَ النَّصـارَى والقَـرابِينَ والصُّـلْبَا** (١٤٢)

لقد نزلت الهزيمة بجيش الروم على نحو جد سريع ، فهو مضاهٍ التقاء أهداب العين لدى إغماضها حال النوم ، ويسخر الشاعر من القائد المهزوم الذى استشرى الطعن فى أفراد جيشه ، فإذا به يلمس جنبه – لدى تذكره ما حدث – للتأكد من عدم إصابته ، وكأنه لا يصدق ما كان من هول المفاجأة ، وقد جمع بين رذيلتين : الوهن والجبن ، ومن ثم لاذ بالفرار لينجو بحياته غير آبه بتركه العذارى والبطاريق والقرى الرومية بعد أن أفزعه ما رأى من سيف الدولة المغوار وجيشه ، وليس بخافٍ أن هذا التصوير – المعني بالجانب النفسي للخصم – قد بدت فيه المعالجة على نسق يستهدف الإعلاء

من شأن الممدوح – السياسى – المنتصر ، فى مقابل الحط من شأن عـــدوه والازراء به ، وهو من كان يمثل إمبراطورية عظمى آنذاك .

وورد فى هذه البائية قول المتنبي :

**كَفَــى عَجَبًــا أَنْ يَعْجَــبَ النَّــاسُ أَنَّــهُ بَنَــى مَرْعَشًــا تَبًّــا لآرائِهِــم تَبَّــا**

**ومَــا الفَــرْقُ بَــيْنَ الأَنَــامِ وبينَــهُ إِذَا حَــذِرَ المحـذورَ واستصـعبَ الصَّـعْبَا** (١٤٣)

إن الشاعر ليحمل هنا على أولئك الذين استولى عليهم العجب من إقدام ممدوحه على بناء حصن مرعش ، ولم يعوا قدرته على تحقيق ما يرمي إليه ، فهو ينفرد عن سواه بعدم استصعاب الصعب أو خشيته .

وفى عام ٣٤٢هـــ حقق سيف الدولة النصر على الـــروم ، فانتشـــى المتنبى وكرس لهذا الحدث الجلل قصيدتين ، إحداهما لامية ، ومطلعها :

**لَيَــالِيَّ بَعْــدَ الظَّــاعِنِينَ شُــكُولُ طِــوَالٌ ولَيــلُ العَاشِــقِينَ طَوِيــلُ**(١٤٤)

والأخرى دالية ، جاء مطلعها واشيًا ببطولة سيف الدولة :

**لِكُــلِّ امــرِئٍ مِــنْ دَهــرِهِ مَــا تَعَــوَّدَا وعَــاداتُ سَيفِ الدَّولَـةِ الطَّعنُ فِـى العِـدَا**(١٤٥)

وفيها يخاطب سيف الدولة قائلاً :

**سَــرَيْتَ إِلَــى جَيْحَــانَ مِــنْ أَرضِ آمِــدٍ ثَلاثًــا لَقَــدْ أَدنــاكَ رَكْــضٌ وأَبْعَــدَا** (١٤٦)

لقد هيأت همة سيف الدولة العالية له أن يبلغ يبلغ نهر جيحان بـــبلاد الروم– بعد انطلاقه من آمد وهى بلد بالثغور – فى ليالٍ ثلاث ، على الرغم من بعد المسافة ، وتعذر قطعها فى هذه المدة القياسية ، فـــالركض الـــدائب أعان على إدنائه الحثيث من جيحان فى إثر مغادرة آمد .

ومن أبيات هذه الدالية أيضًا قول المتنبي فى إطـــار لـــم يخـــل مـــن السخرية اللاذعة :

**لِــذلِكَ سَــمَّى ابــنُ الدُّمســتُقِ يَومَــهُ مَمَاتًــا وسَــمَّاهُ الدُّمُســتُقَ مَولِــدَا**

...فَـولَّى وأَعطـاكَ ابنَـهُ وجُيوشَـهُ جَميعًـا ولمْ يُعْـطِ الجَميـعَ لِيُحْمَـدَا
عَرَضْـتَ لَـهُ دُونَ الحَيـاةِ وطَرْفِـهِ وأَبْصَـرَ سَـيفَ اللهِ مِنْـكَ مُجَـرَّدَا
ومَـا طَلَبَـتْ زُرقُ الأَسِـنَّةِ غَيْـرَهُ ولَكِـنَّ قُسـطنطِينَ كَـانَ لَـهُ الفِـدَا (١٤٧)

وتبرز بنية المفارقة هنا متواشجة بموقف شهدته ساحة الكريهة ، فالدمستق قائد الروم الذين خاضوا غمار صراع حربي – ذى خلفية سياسية – ضد سيف الدولة وأتباعه ، قد لاذ بالفرار غير مكترث بأن يدع ابنه (قسطنطين) أسيرًا بعد أن أسلمه لرماح خصومه ، ولا ريب فى أن هذا الموقف يشي بجبن الدمستق وأنانيته ، وهذا الفرار ذو بعدين :

إذ إن يومه يقترن فى ذهن قسطنطين بالموت ، حيث انبت رجاؤه من الحياة ، وفى مقابل ذلك يرى الدمستق هذا اليوم مولدًا له ؛ حيث نجا بنفسه من براثن الردى بفضل فراره ، وإذا كان فرار الدمستق قد اقترن بترك ابنه وجيشه أسرى فى قبضة سيف الدولة وجيشه فإن ذلك لم يأت تفضلاً من الدمستق وإنما كان اضطرارًا ، وهو دليل قهره وعجزه عقب هزيمته ، وقد خذلته حواسه وكأنه ميت بعد أن رأى بطش سيف الدولة وعظمته ، فشغله ذلك عن كل شىء ، وبدت الحيلولة بينه وبين الحياة تروعه ، وغدا موقنًا بالهلاك ، فسيف الدولة إنما هو سيف الله المشهور عليه ، كما أن الرماح لم تكن تطلب سواه ، بيد أنه فر بعد انشغال سيف الدولة وجيشه بأسر قسطنطين وسواه ، فكان الابن فداء لأبيه فى هذا الموقف المقترن بشدة المعاناة .

وقد ساءت حال الدمستق بعد ذلك اليوم العصيب ، واهتم المتنبي بتبيانها عبر قوله :

فَأَصْـبحَ يَجتـابُ المُسُـوحَ مَخَافَـةً وقَـدْ كَـانَ يَجتـابُ الـدِّلاصَ المُسَـرَّدَا
ويَمشِـي بِـهِ العُكَّـازُ فِـى الـدَّيرِ تَائِبًـا ومَـا كَـانَ يَرضَـى مَشْـيَ أَشْـقَرَ أَجْـرَدَا
ومَـا تَـابَ حَتَّـى غَـادَرَ الكَـرُّ وَجْهَـهُ جَرِيحًـا وخَلَّـى جَفْنَـهُ النَّقْـعُ أَرْمَـدَا (١٤٨)

إن هذا القائد الرومي الذى كان من قبل ذا كبرياء وزهو واستعلاء وصلف ، وكان يلبس الدروع فى الهيجاء ، قد حالت حاله ، وها نحن أولاء نراه – عبر هذه الأبيات – فرقًا مؤثرًا أن يستبدل بها المسوح – وهى ثياب من الشعر – فقد غدا زاهدًا فى الحياة ، ونزع إلى الترهبن والتوبة ، واستبدل بالبلاط السلطوى الدير ، وتسلل إليه الوهن ، فها هو ذا يمشي به العكاز ، فهو غير قادر على تحريكه ، وهو الذى كان من قبل مترفعًا عن مشي الجياد الشقر الحثيثة ، وإذا كان قد أبدى توبته فإنه لم يتب عن الوغى إلا بعد مردودها السلبي عليه ، ويتجلى ذلك على وجهه المكلوم ، وجفنه الذى ألم به ألم الرمد الناجم عن نقع ساحة القتال ، ولا ريب فى أن الشاعر كان حاذقًا فى إبراز تدهور حال الدمستق عبر التذرع بالبنية السردية المرتكزة على المفارقة التى تحمل فى طياتها طابع التهكم ، وتشف عن التشفي .

وباستقراء (روميات المتنبى) يتبدى أن سبايا الروم كان لهن حضور لافت فيها ، ومما يمثل ذلك قوله فى دالية كان معنيًا فيها بإبراز الإنجازات الحربية لسيف الدولة فى (اللقان) و(هنريط) و(الصفصاف) و(سابور) :

**فَلَمْ يَبقَ إِلاَّ مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا لَمَى شَفَتَيْهَا والثُّدِيُّ النَّواهِدُ**
**تُبَكِّى عَلَيهِنَّ البَطَارِيقُ فِى الدُّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلقَيَاتٌ كَواسِدُ**(١٤٩)

لقد حلت الهزيمة بالروم ، وحصد القتل مقاتليهم ، أما النساء فقد وقعن فى شرك الأسر ، فكان بكاء البطاريق وذويهن عليهن مرًا ، بيد أن العرب كانوا لا يعيرونهن اكتراثًا .

وقد استولى الروم على قلعة الحدث فى عام ٣٣٧هـ ، وأزمع سيف الدولة استردادها وإعادة بنائها ، وتأهب لذلك جيدًا ، وانطلق بجيشه فى سنة ٣٤٣هـ ليلحق بالروم هزيمة ساحقة، حيث قتل منهم نحو ثلاثة آلاف ، كان منهم صهر القائد الحربي الرومي برداس فوكاس وابن بنته ، كما وقع عدد كبير من الروم أسرى ، وتسنى لسيف الدولة إعادة بناء هذه القلعة ، وكان

لما حدث مردود قوى على المتنبي الذى اهتزت شاعريته ، وجادت قريحته بميمية رائعة ، من أبياتها قوله :

هَـلِ الحَـدَثُ الحَمْـراءُ تَعـرِفُ لَونَهـا وتَعْلَـمُ أَيُّ السَّـاقِيَيْنِ الغَمَـائِمُ

سَـقَتْهَا الغَمَـامُ الغُـرُّ قَبْـلَ نُزولِـهِ فَلَمَّـا دَنَـا مِنْهَـا سَـقَتْهَا الجَمَـاجِمُ

بَنَاهَـا فَـأَعْلَى والقَنَـا تَقْـرَعُ القَنَـا ومَـوجُ المنايَـا حَوْلَهَـا مُـتَلاطِمُ (١٥٠)

لقد أصبحت قلعة الحدث حمراء ؛ لكثرة الدماء الرومية التى تلطخت بها بعد استشراء القتل فى هذه الشاتية التى سبقها هطول أمطار السحب البيضاء عليها ، وتطرد سقايتها ، فغب ماء المطر كانت ثمة دماء قتلى الروم التى سقتها مرة أخرى ، وإذا كان الروم قد فرضوا سيطرتهم على هذه القلعة من قبل ، وتحصنوا بها ، فقد انتزعها منهم جيش سيف الدولة عنوة ، ليتم بناؤها من جديد .

ولعلنا نستشف ما حمله السياق التعبيرى من تشفٍ ، حيث يبدو شعر التيار السياسي المتواشج بالروميات – لدى المتنبي – مقترناً بهذه الظاهرة النفسية فى غير قليل من الأحيان ، وكأننا إزاء شاعر (سادى النزعة) نحو الخصوم ، ولعله فى ذلك يعبر عن الشعور الجمعي العربي .

وتشي بعض أبيات القصيدة المتواشجة بموقعة الحدث بأن الروم قد استعانوا بسواهم :

وكَيْـفَ تُرجِّـى الـرُّومُ والـرُّوسُ هَـدمَهَا وذَا الطَّعْـنُ آسـاسٌ لهَـا ودَعـائِمُ (١٥١)

ولم يكن إحراز الظفر على الخصوم بالأمر اليسير فى هذه الحرب ، حيث يقول الشاعر :

أَتَـوْكَ يَجُـرُّونَ الحَديـدَ كَأَنَّمَـا سَـرَوْا بِجِيـادٍ مَـا لَهُـنَّ قَـوَائِمُ

إِذَا بَرَقُـوا لَـمْ تُعْـرَفِ البِـيْضُ مِـنْهُمُ ثِيَـابُهُمُ مِـنْ مِثْلِهَـا والعَمَـائِمُ

خَمِـيْسٌ بِشَـرْقِ الأَرْضِ والغَـرْبِ زَحْفُـهُ وَفِـي أُذُنِ الجَـوْزَاءِ مِنْـهُ زَمَـازِمُ

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إِلاَّ التَّرَاجِمُ
فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الغِشَّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ
تَقَطَّعَ مَا لا يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالقَنَا وَفَرَّ مِنَ الأَبْطَالِ مَنْ لا يُصَادِمُ (١٥٢)

لقد كان جيش الروم جرارًا ، وكان المجيء ليلاً على جياد توارت قوائمها تحت الجواشن ، وكانت ثياب مقاتلي الروم مغطاة بالدروع ، كما كانت رءوسهم مغطاة بالخوذ ، وكل ذلك من حديد كما هى الحال بالنسبة لسيوفهم ، وكان الجيش الكثيف(١٥٣) يزحف فى حركته ، وقد بلغت أصوات جنوده عنان السماء حتى وصلت إلى مسمع الجوزاء ، وكانت هذه الأصوات قوية متداخلة ، تستدعي إلى ذهن سامعها صوت الرعد ، واتسم جنود هذا الجيش بتعدد جنسياتهم ولغاتهم – وكأنها حرب عالمية – وكان التفاهم بينهم متعذرًا إلا عبر المترجمين ، وقد ذوبت نار الوغى الضارية الذى لا خير فيه من المقاتلين والأسلحة ، فاستبانت الحقيقة حين لم يبق سوى المقاتل الباسل ، والحسام الأصيل الباتر .

ثم يلتفت المتنبي إلى سيف الدولة السياسي صاحب هذا الإنجاز الرائع، الذى يذود عن ثغور دولته ويقهر خصومها ، مخاطبًا إياه فى حبور وزهو عبر قوله :

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ
تَجَاوَزتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالغَيْبِ عَالِمُ
ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى القَلْبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الخَوَافِى تَحْتَهَا وَالقَوَادِمُ
بِضَرْبٍ أَتَى الهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ
حَقَرْتَ الرُّدَينِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيفَ لِلرُّمحِ شَاتِمُ
وَمَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ البِيضُ الخِفَافُ الصَّوَارِمُ
نَثَرْتَهُمُ فَوقَ الأُحَيْدِبِ كُلِّهِ كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ
تَدُوسُ بِكَ الخَيْلُ الوُكُورَ عَلَى الذُّرَى وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الوُكُورِ المَطَاعِمُ
تَظُنُّ فِرَاخُ الفَتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا بِأُمَّاتِهَا وَهْىَ العِتَاقُ الصَّلادِمُ (١٥٤)

إنه يرسم صورة مشرقة مشرفة للقائد العربى الفذ ، مبرزًا شجاعته وتألق وجهه ، وتهلله لثقته بالنصر ، ونراه مبتسمًا فى ساحة الوغى على الرغم من إحداق الخطر به ، وكأن الردى غافل عنه بالنوم ، وقد سلم فى وقت استحرت فيه الكلوم ، ولاحت فى أفق المعركة إرهاصات هزيمة خصومه الأبطال الذين ولوا أدبارهم ، وقد جمع سيف الدولة بين الشجاعة والذكاء الحربي – فضلاً عن الذكاء السياسي – على نحو فذ جعل بعض الورى يظنون علمه بالغيب ، وبعد هذه المبالغة البينة ينحو الشاعر إلى إبراز الخطة الحربية التى كان عليها معول ممدوحه ، وهى متمحورة حول ضم جناحى الجيش الرومى – الميمنة والميسرة – على وسطه ضمة شديدة ، مع التعويل على الضرب الذى كان جد عظيم ، وبدا فيه دور السيوف جليًا ، حيث تمخض عن ذلك انتشار جثث قتلى الروم فوق جبل الأحيدب ، لتصير طعامًا للطير ، وفى المشهد الذى رسمته الأبيات السالفة تعن أيضًا خيل جيش سيف الدولة منطلقة كالعقبان فى سرعتها وشدتها ، ومن اللافت فى البيت قبل الأخير بروز مظاهر الفرح المقترن بالقتل ، إبداء لجم التشفى ، حيث استدعى انتشار القتل إلى ذهن الشاعر صورة الدراهم المنثورة فوق العروس ، وكأني بالشاعر قد تغيا الإيماء إلى المفارقة الصارخة التى ترتكز على كون الروم فى أسى ومأتم من جراء الهزيمة وكثرة القتلى ، والعرب فى عرس بهيج ؛ احتفاء بالنصر المبين ، ولعل الفرحة العارمة التى غمرت العرب غب الظفر فى موقعة الحدث مردها إلى الأهمية القصوى لهذه المنطقة ، فهم يدركون أنها " باب الطريق إلى القسطنطينية " (١٥٥) .

وكان المتنبي يعي شدة جدواها أيضًا انبثاقًا من أنه كان يقاتل مع سيف الدولة فى بعض معاركه (١٥٦) .

وهذا يضفي على شعره المصداقية ، لتسجيله ما رآه عن كثب فى إطار فني موصول بالحقيقة التاريخية .

ولم يفت أبا الطيب فى هذه القصيدة أن يمارس ديدنه ، حيث يسخر من القائد الرومي المهزوم ، فيقول :

مَضَى يَشْكُر الأَصحابَ فِى فَوْتِهِ الظُّبَى ... بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُم والمعاصِمُ
ويَفهمُ صَوْتَ المشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ ... عَلَى أَنَّ أَصَواتَ السُّيوفِ أَعاجِمُ
يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لا عَنْ جَهَالَةٍ ... ولكنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ(١٥٧)

ومدار هذه الأبيات فرار الدمستق الرعديد الذى لم يأس على ما غنمه خصومه من أسلحة جيشه وأمواله ، ولم يغضب لقتل أصحابه وأسرهم ، واستبدل بالأسى والغضب الحبور والشكر لأصحابه ؛ لأنهم لو لم يلقوا رداهم أو يقعوا فى حبائل الأسر لما تسنى له الهرب ، حيث انشغل بهم جيش سيف الدولة عنه ، وكأن هؤلاء قد افتدوه وأنقذوه من مصير مجهول مقيت .

ولم تنته محاولات الروم – بعد ذلك – للاستيلاء على هذا الموقع الحيوى ، ففى جمادى الأولى من عام ٣٤٤هـ سعوا جاهدين لتحقيق ذلك ، بيد أن سيف الدولة قد نهض منطلقًا لمجابهتهم فى حسم ، ونجح فى التصدى لهم ، والمنافحة عن قلعة الحدث ، وللمتنبى لامية ترصد مجريات هذا الصراع الوارى ، ومنها قوله :

لا أَلُومُ ابْنَ لاونٍ مَلِكَ الرُّو ... مِ وإنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالاَ
أَقْلَقَتْهُ بَنِيَّةٌ بَيْنَ أُذْنَيْـ ... ـهِ وبَانٍ بَغَى السَّماءَ فَنَالا
كُلَّما رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ البَنْـ ... ـيُ فَغَطَّى جَبِينَهُ والقَذَالا
يَجْمَعُ الرَّومَ والصَّقالِبَ والبلْـ ... ـغَرَ فِيهَا وتَجمَعُ الآجَالا
وتُوافِيهم بِهَا فِى القَنَا السُّمْـ ... ـرِ كَمَا وَافَتِ العِطَاشُ الصِّلالاَ (١٥٨)
قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوهُ ... وَأَتَوْا كَىْ يُقَصِّرُوهُ فَطَالا
وَاسْتَجَرُّوا مَكَايِدَ الحَرْبِ حَتَّى ... تَرَكُوهَا لَهَا عَلَيهِمْ وَبَالا
رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لا تَحْمَدُ الفُعَّا ... لَ فِيهِ وتَحْمَدُ الأَفْعَالا(١٥٩)

لقد استهدف ملك الروم – ابن ليون – قلعة الحدث ذات القيمة الاستراتيجية الكبيرة ، بيد أن أمنيته فى الاستحواذ عليها قد ذهبت أدراج الرياح ، فهي كالمستحيل ، ولم تجده شيئًا تلك الحشود الغفيرة التى انضوت تحت لواء جيشه من الروم والصقالب والبلغار ، وهذه القلعة المنيعة الشماء

قد باءت محاولات الخصوم لنقضها بالإخفاق الذريع ، على الرغم من تأهبهم لإنجاز هذه المهمة بآلات الحرب العديدة ، وكانت هذه المغــامرة الحربيــة وبالاً عليهم ، وحدت بسيف الدولة إلى تدعيم سور القلعة ، وزيادة الطول ؛ كي يستعصي على الخصوم النيل منها بعد ذلك ، وقد حمد أتباع سيف الدولة فعل الروم المتواشج بترك آلاتهم الحربية ، وإن كانوا لا يحمدون أشخاصهم؛ من منطلق كونهم خصومًا لهم .

ومن شعر المتنبي المنوط بالصراع الحربي بين سيف الدولة والــروم تلك النونية التى يرجع تاريخها إلى سنة ٣٤٥هـــ ، ومطلعها :

**الــرَّأىُ قَبْــلَ شَــجَاعةِ الشُّــجعانِ ... هُــوَ أولٌ وهِــىَ المحَــلُّ الثَّــانى** (١٦٠)

ويبرز فيها جهود ممدوحه الذى وصل بجيشه إلى حصن (الران) فى بلاد خصومه ، حيث كان عبور نهر (أرسناس) وخــوض حــرب حاميــة الوطيس ، أفرزت تحقيق النصر الذى اقترن بكثرة صرعى الروم وسباياهم.

وفى العام نفسه نظم المتنبي ميميته المرتبطة بموقعة (الدرب) التــى تعد " آخر معركة وصفها المتنبي لسيف الدولة مع الروم "(١٦١).

وكان مطلع هذه القصيدة :

**عُقْبَى اليَمِينِ عَلَى عُقْبَى الوَغَى نَدَمُ ... مَــاذَا يَزِيــدُكَ فِــى إِقْــدَامِكَ القَسَــمُ** (١٦٢)

وهذا المطلع متسق مع الخلفية التاريخية ، حيــث إن البطريــق(١٦٣) شميشيق قد تعهد لدى ملك الروم بمعارضة سيف الدولة وكســره حربيًــا ، وأقسم على ذلك ، سائلاً ملكه توفير الدعم الحربي الملائم ، وقد كان ، بيــد أن سيف الدولة – ابن الحرب وثعلب السياسة – قد ألحق به هزيمة ساحقة ، وغمرت النشوة المتنبي فانبرى لرصد ذلك عبر ميمية منها قوله :

**آلَــى الفَتَــى ابْــنُ شُمُشْــقِيقٍ فَأَحْنَثَــهُ ... فَتــىً مِــنَ الضَّــرْبِ تُنْسَــى عِنْــدَهُ الكَلِــمُ**

**وفَاعِــلٌ مــا اشْــتَهَى يُغْنِيــهِ عَــنْ حَلِــفٍ ... عَلَــى الفِعَــالِ حُضُــورُ الفِعْــلِ والكَــرَمُ**

**كُــلُّ السُّــيوفِ إذَا طَــالَ الضِّــرَابُ بِهَــا ... يَمَسُّــها غَيْــرَ سَــيْفِ الدَّوْلَــةِ السَّــأَمُ**

لَـوْ كَلَّـتِ الخَيْـلُ حَتَّـى لا تَحَمَّلَـهُ تَحَمَّلْتَـهُ إِلَـى أَعْدائِـهِ الهِمَـمُ
أَيْـنَ البَطَـارِيقُ والحَلَـفُ الـذِى حَلَفُـوا بِمَفْـرَقِ المَلْـكِ والـزَّعْمُ الـذِى زَعَمُـوا
وَلَّـى صَـوَارِمَهُ إِكْـذَابَ قَـوْلِهِمِ فَهُـنَّ أَلْسِـنَةٌ أَفْواهُهَـا القِمَـمُ
نَوَاطِـقُ مُخْبِـرَاتٌ فِـى جَمَـاجِمِهِمْ عَنْـهُ بِمَـا جَهِلُـوا مِنْـهُ ومَـا عَلِمُـوا (١٦٤)

وبعد تبيان إحناث سيف الدولة حلف خصمه الذى قهره فى ساحة الكريهة ، وأعمل القتل فى جيشه ، نرى المتنبى جانحًا إلى تقريظ جهود سيف الدولة الحربية التى شهدتها أصقاع عديدة من بلاد الروم ، ولم يفته التهكم على البطريق الرومى فى تشفٍ جلى ، أذكاه إيثاره الفرار ، مما يشى بكونه رعديدًا واهنًا(١٦٥).

لقد كانت الحروب الرومية انعكاسًا للسياسة الخارجية ، وأماطت اللثام عن الدور الإيجابي الذى نهض به سيف الدولة فى سبيل الدفاع عن العروبة والإسلام ، فى الوقت الذى تقاعس فيه سواه عن الاضطلاع بالتبعات ، ولعل مما يبرهن على أهمية دوره فى هذا الشأن عدد الحروب التى خاض غمارها ضد الروم .

ومما يحسب له أنه لم يكتف بالمنافحة إبان غزوهم ، وإنما كان فى بعض الأحيان يأخذ زمام المبادرة لغزوهم ، لا بغرض احتلال أراضيهم ، وإنما كان يتغيا تأمين الثغور وفرض الهيبة السياسية لدولته على الروم ، حيث إن الهجوم خير وسيلة للدفاع والتأمين ، وكان شعر المتنبى مواكبًا للأحداث الحربية ذات الخلفية السياسية ، حريصًا على رصدها وتحليلها بوعيى وبراعة فائقة ، فهو " إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن أن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا " (١٦٦).

وعلى هذا النحو جسد شعر التيار السياسى عناية المتنبى بتتبع الصراع الحربي بين سيف الدولة والروم ، وهو ما يمثل تغايرًا فى الموقف السياسي للطرفين ، بيد أن من الحرى بنا قبل أن ندع تناول هذا الشأن أن

نرصد اهتمام الشاعر بما كان فى أعقاب الحروب من طلب الهدنة ، وتبادل الأسرى .

عنى بعض ملوك الروم بإيفاد بعض الرسل والسفراء إلى سيف الدولة الذى كان يستقبلهم فى بلاطه ، وكانت مهمتهم منحصرة فى دائرة نشدان الهدنة وافتداء الأسرى ، ولم يفت المتنبي أن يعنى بذلك فى شعره المدحى المكرس لسيف الدولة السياسي المحنك المظفر ، على نحو بدت فيه بعض ملامح النزعة الواقعية ، ومما يمثل ذلك تلك القافية التى منها قوله :

**رَأَىَ مَلِكُ الرُّومِ ارتياحَكَ لِلنَّدَى ... فَقَامَ مَقَامَ المجتَدِى المتملِّقِ**
**وكَاتَبَ مِنْ أَرضٍ بَعيدٍ مَرَامُهَا ... قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ**
**وقَد سَارَ فِى مَسراكَ مِنها رسولُهُ ... فَمَا سَارَ إلاَّ فَوقَ هَامٍ مُفَلَّقِ**(١٦٧)

إن مبعوث ملك الروم قد يمم وجهه شطر حلب – غب موقعة خرشنة – متملقًا مستجديًا ، وكان فى سبيله يسير فوق هام صرعى جنود الروم .

واهتم المتنبي بتصوير حال هذا الرسول النفسية ، فقد هيمن عليه الفرق :

**وأَقبلَ يَمشِى فِى البِسَاطِ فَمَا دَرَى ... إلَى البَحرِ يَمشِى أَم إلى البَدرِ يَرتَقِى**(١٦٨)

وقد شهد عام ٣٤٣هـ إيفاد المبعوث (رودس) إلى سيف الدولة من قبل ملك الروم قسطنطين السابع ؛ لإطلاق سراح ابنه الذى نجح سيف الدولة فى أسره ، وبدا اهتمام المتنبى بتسجيل هذا الحدث السياسي ذى الخلفية الحربية ، وذلك عبر لاميته التى ورد فيها قوله :

**دُروعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هَذِى الرَّسَائِلُ ... يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ**
**هِىَ الزَّرَدُ الضَّافِى عَلَيْهِ ولَفْظُهَا ... عَلَيكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وفَضَائِلُ**(١٦٩)

إن هذه الرسائل التى بعثها ملك الروم إلى سيف الدولة ، وحملها رسوله ، ليست فى كنه الأمر سوى دروع تكفل له الوقاية من حرب سيف الدولة التى لا قبل له بها ، وهى برهان على إذعان هذا الملك واستسلامه بعد عجزه عن مجاراة سيف الدولة حربيًا ، ونلفى المتنبى فى هذه القصيدة معنيًا – كديدنه – بإبراز كثرة قتلى الروم ، وما أبرع هذه الصورة ذات

البعد النفسى ، التى رسمها الشاعر لرسول ملك الروم ، قائلاً فى خطاب موجه إلى سيف الدولة :

أَتاكَ يَكادُ الرَّأسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وتَنقَدُّ تَحتَ الذُّعرِ مِنْهُ المفاصِلُ
يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّماطَيْنِ مَشْيَهُ إليْكَ إذَا مَا عَوَّجَتْهُ الأَفَاكِلُ
فَقَاسَمَكَ العَيْنَينِ مِنْهُ ولَحْظَهُ سَمِيُّكَ والخِلُّ الذِى لا يُزَايِلُ
وأَبصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ والرِّزْقُ مُطْمِعٌ وأَبْصَرَ مِنْهُ المَوتَ والمَوتُ هَائِلُ (١٧٠)

إننا بين يدى سفير يفترسه الرعب ، وترتعد فرائصه ، وكأنه قد تخيل الحسام مستلاً فوق رأسه ، فانبت الرأس عن الجيد ، وها هو ذا يمضي وئيدًا بين صفين من جنود سيف الدولة ، ناظرًا بإحدى عينيه إلى هذا السياسي المهيب ، وبالأخرى إلى حسامه البتار ، فيتمخض عن ذلك تمزق نفسي رهيب ، وتأرجح بين الأمل فى الحياة والخوف من الردى .

وينحو المتنبي إلى تسجيل فعاليات الاستقبال إذ يقول :

وقَبَّلَ كُمَّا قَبَّلَ التُّربَ قَبْلَهُ وكُلَّ كَمِىٍّ واقِفٌ مُتَضَائِلُ
وأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وأَظْفَرُ طَالِبٍ هُمَامٌ إلى تَقبِيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ
مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ ودُونَهُ صُدُورُ المَذَاكِى والرِّمَاحُ الذَّوابِلُ
فَمَا بَلَّغَتْهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةً عَلَيْكَ ولكِنْ لمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ (١٧١)

وهنا يبدو رسول ملك الروم مقبلاً الأرض أمام سيف الدولة ، مردفًا ذلك بتقبيل كمه بين حشد من فرسانه الذين سيطرت عليهم هيبته ، وهيمن عليهم إجلاله ، وإذا كان هذا قد حدث من قبل السفير الرومي فإنه قد ظفر بشرف سامٍ يغبطه عليه سواه ، وهو لم ينله إلا بفضل تفضل الممدوح ، وتعطفه عليه .

ولا يني المتنبي واصفًا مراسم هذا الاستقبال ذى الطابع السياسي ، حيث يقول :

وأَكبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعثَتْ بِهِ إليكَ العِدَى واسْتَنْظَرتْهُ الجَحَافِلُ
فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ وعَادَ إلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ (١٧٢)

إن هذا السفير الذى أوفده ملك الروم لإنجاز مراده ، قد حظي بجـم تقدير بني قومه ، ولم لا وقد جنبهم ويلات الحرب فى مسعاه السياسي ؟! .

وكان أفراد الجيش الرومي وقواده فى شوق ولهفة طاغيـة للوقـوف على ما ستسفر عنه مباحثات هذا السفير ، والأمل حادٍ لهم فى تلبية سـيف الدولة لنزعتهم إلى تحقيق الهدنة والفداء ، ومثار العجب أن هذا السفير الذى تم إيفاده إلى سيف الدولة – محملاً بالرسائل المعبرة عن رغبة الروم – قـد آب إليهم منحيًا باللائمة عليهم ؛ لقتالهم سيف الدولة ، وعدم إذعانهم له فيما سلف ، أى أن موقفه قد آض إلى النقيض بانحيازه إلى سيف الدولة لا إلـى قومه .

وفى العام نفسه – ٣٤٣هـ – نظم المتنبي رائيه انصرفت عنايته فيها إلى تناول إحدى السفارات الرومية ، جانحًا إلى تبيان مردودها عبر قوله :

**اليَـومَ يَرفَـعُ مَلْـكُ الـرُّومِ نَـاظِرَهُ ... لأَنَّ عَفْـوَكَ عَنْـدَهُ ظَفَـرُ**

**وإنْ أَجَبْـتَ بِشَـيءٍ عَـنْ رَسَـائِلِهِ ... فَمَـا يَـزَالُ عَلَـى الأَمْـلاَكِ يَفْتَخِـرُ**

**قَـدِ اسْـتَراحَتْ إِلَـى وَقْـتٍ رِقَـابُهُمُ ... مِـنَ السُّـيوفِ وبَـاقِي القَـومِ يَنْتَظِـرُ**(١٧٣)

لقد غمر ملك الروم الحبور بعد الظفر بعفو سيف الدولة ، الذى يعـد انتصارًا سياسيًا ، يتيح له أن يزايله الخزى والفزع ، ويهيىء له رفع هامته التى كانت منكسة من قبل ، ويجعله مزهوًا بين سائر الملـوك ؛ لاسـتجابة سيف الدولة لمطلب الهدنة ، وقبوله الصلح معه ، وهو ما يـنجم عنـه أن يرفرف الأمن على الروم ، فتستريح طلاهم من تهديد سيوف سيف الدولـة وجيشه لهم ، فى الوقت الذى يترقب فيه خصوم سيف الدولة ما سيصدر عنه من قرار إما بالحرب أو إبرام الصلح .

وفى عام ٣٤٤هـ دبج يراع المتنبي ميمية مدارها سـفارة رومية أخرى ، ومطلعها :

**أَراعَ كَـذَا كُـلَّ المُلـوكِ هُمَـامُ ... وَسَـحَّ لَـهُ رُسْـلَ المُلـوكِ غَمَـامُ**(١٧٤)

ويلفت النظر فى هذه القصيدة قوله ، معولاً على بنية المفارقة :

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمنًا وغِبطةً وأَجفانُ رَبِّ الرُّسْلِ لَيسَ تَنَامُ
حِذَارًا لمعرورِى الجِيَادِ فجَاءةً إلى الطَّعنِ قُبْلاً ما لهُنَّ لِجَامُ (١٧٥)

وعبر هذين البيتين يتبدى أن رسل ملك الروم تنعم بالأمن والرعاية والسرور ، بيد أن ملكهم الذى أوفدهم يعوزه الشعور بالأمن ، ويشعر أن الكرى قد جفاه ؛ لعدم اطمئنانه إلى كرجيش سيف الدولة عليه على حين غرة .

ويخاطب المتنبي سيف الدولة خطابًا سياسيًا موصولاً بهذه السفارة الرومية ، فيقول :

إلى كَمْ تَردُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوا لَهُ كَأَنَّهُم فِيما وَهبْتَ مَلامُ
وإن كُنتَ لا تُعطِى الذِّمامَ طَواعةً فَعَوذُ الأَعادِي بالكَرِيمِ ذِمَامُ
وإنَّ نُفوسًا أممتْكَ مَنيعةٌ وإنَّ دِمَاءً أَملتْكَ حَرَامُ
إذا خَافَ ملْكٌ مِنْ مَليكٍ أَجرتَهُ وسَيفَكَ خَافُوا والجِوَارَ تُسَامُ
لَهمْ عَنْكَ بالبِيضِ الخِفَافِ تَفَرُّقٌ وحَولَكَ بِالكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ
تَغُرُّ حَلاواتُ النُّفوسِ قُلوبَهَا فَتختارُ بَعضَ العَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ (١٧٦)

إن مؤدى هذه الأبيات أن سيف الدولة (سيد قراره السياسي) فهو إذا شاء أبى الهدنة ، وإذا شاء أبدى الموافقة عليها ، وإذا قدم إليه رسول خصمه فإن الكرم العربي لديه يعلن عن نفسه جليًا ؛ فهو يراه ذا ذمة ، ويحسن معاملته ، ولا تسول له نفسه سفك دماء الرسل الذين قصدوه مؤملين الصفح والهدنة ؛ ليقينهم بأن قومهم متى خاضوا غمار الحرب ضده فمآلهم إلى الهزيمة المنكرة ، ومن هذا المنطلق فإنهم لم يكن أمامهم من سبيل آمنة سوى طلب الصلح الذى يكفل لهم النجاة من الردى ، وإن كان هذا الطلب مقترنًا بالهوان والضعف ، حيث نقف على ذلك عبر قول المتنبي فى موضع آخر من هذه الميمية :

فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لمْ يَكنْ بِشَفاعةٍ ولَكنَّهُ ذُلٌّ لهمْ وغَرَامُ
ومَنٌّ لِفرسَانِ الثُّغورِ عَلَيْهِمِ بِتَبليغِهِمْ مَا لا يَكَادُ يُرَامُ

كَتائِبُ جَاءُوا خَاضِعينَ فَأَقْدَمُوا ولَوْ لمْ يَكُونُوا خَاضِعينَ لَخَامُوا (١٧٧)

فالمستخلص من هذه الأبيات أن رسل ملك الروم لم تتوافر لديهم الشجاعة التى تؤهلهم لطلب الصلح من سيف الدولة على نحو مباشر ، فكان استشفاعهم بفرسان الثغور الذين نهضوا بالوساطة بين الطرفين ، ومنوا عليهم بهذا الدور تفضلاً .

وكان المتنبي معنيًا بإبراز الشرط المقترن بتحقيق الهدنة وحقن الدماء، حيث قال :

مَتَى عَاوَدَ الجَالُونَ عَاودتَ أَرضَهمْ وفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيوفِ وهَامُ

وربَّوا لَكَ الأَولادَ حتَّى تُصِيبَهَا وقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وشَبَّ غُلاَمُ (١٧٨)

لقد كان هذا الصلح رهنًا بجلاء الروم عن بعض الأراضي ، فمتي التزموا بذلك نعموا بالنجاة والأمان ، ومتى انتهكوا هذا الشرط حصدت سيوف سيف الدولة طلاهم ، ومَن لم يُقتل منهم كان حظه السبى ، فهم بين أمرين كلاهما مر ، ولا تثريب على سيف الدولة فى ذلك ؛ لأن الجزاء لديه من جنس العمل .

**شعر التيار السياسي فيما بعد المرحلة الحلبية :**

**١- شعر التيار السياسي فى مصر :**

أتى المتنبى إلى مصر يحدوه الأمل السياسى الكبير (الولاية) وقد مكث فى أرض الكنانة عدة سنوات وبدت فى شعر التيار السياسى لديه إبان هذه المرحلة المحاور التالية :

**أ- إبراز شئون السياسة الداخلية :**

حيث عني المتنبى برصد بعض الشئون السياسية الداخلية فى مصر ، واقترن تسجيله إياها بالتحليل الذى ينم عن وعيه ، وفى بائية مدح بها كافورًا سنة ٣٤٦هـ ، نراه معظمًا شأنه إذ يخاطبه قائلاً :

يَا أَيُّهَا الملِكُ الغَانِى بِتَسمِيةٍ فِى الشَّرقِ والغَربِ عَنْ وَصفٍ وتَلقِيبِ (١٧٩)

إن حسبه ذكر اسمه مجردًا من وصف أو لقب فقد استغنى بسياسته الرشيدة عن ذلك ، وهو من طبقت شهرته الآفاق ، وهو حرى بقول الشاعر:

تَرَعْرَعَ المِلكُ الأُستَاذُ مكتهِلاً ... قَبْلَ اكتهَالٍ أَديبًا قَبْلَ تَأديبِ
مُجَرَّبًا فَهِمًا مِنْ قَبْلِ تَجرِبَةٍ ... مُهذَّبًا كَرمًا مِنْ غَيرِ تَهذِيبِ
حتَّى أَصابَ مِنَ الدُّنيا نِهايتَها ... وهَمُّهُ فِي ابتِداآتٍ وتَشْبِيبِ
يُدبِّرُ المُلكَ مِنْ مِصْرٍ إلى عَدَنٍ ... إلى العِرَاقِ فَأَرضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ
إذا أَتتهَا الرِّياحُ النُّكبُ مِنْ بَلَدٍ ... فَمَا تَهُبُّ بِهَا إلاَّ بِتَرتِيبِ
ولا تُجاوِزهَا شَمْسٌ إذا شَرَقتْ ... إلاَّ ومِنهُ لَهَا إذنٌ بِتغرِيبِ
يُصَرِّفُ الأَمرَ فِيهَا طِيْنُ خَاتَمِهِ ... ولَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكتُوبِ (١٨٠)

إننا بين يدى ممدوح ملك (ملقب بالأستاذ) أعانه طبعه على التفوق فغذا سابقًا لمرحلته العمرية ، ودليل ذلك أنه متمتع بحلم الكهول وهو الذى لم يبلغ مرحلة الكهولة ، ولم يؤدَّب بيد أنه قد حاز الأدب بفطرته السليمة دون اكتساب ذلك من ملابسات محيطة به ، وهو أيضًا ذو حنكة لم يكتسبها بخوض تجارب سالفة ، وإنما استرفدها من طبعه وفطنته ، كما أنه مطبوع على الجود فلا غرو أن يكون مهذبًا فى معاملته ، وهو إذ تولى مقاليد الحكم فإنه قد بلغ غايته القصوى فى الحياة ، ولا تني همته كأنها فى مستهلها حيث لم يداهمها فتور ، وقد انبسط سلطان كافور ، فملكه مترامي الأطراف ، وشملت هيمنته السياسية مساحات شاسعة فقد انضوت تحت لوائها مصر والحجاز وبعض بلاد الشام ، ولم يعقه انبساط رقعة مملكته عن تدبير شئون الملك بحذق ، وكفاءته السياسية تمنحه القدرة على تحقيق الاستقرار ، فهو محنك ، ذو دهاء سياسي ، وحزم وحسم وقوة شكيمة ، ويحظى بالهيبة والطاعة ، وهيبة هذا الملك ليست مقتصرة على الرعية ، وإنما امتدت إلى الرياح التى تمر ببلاده متسقة وهى التى لم تكن كذلك من قبل ، وإذا كانت الرياح تهابه وتجله وترضخ له – وهى ليست عاقلة – فما بالنا بالورى العقلاء ؟! .

لقد تجنب الأنام الخلاف فى عهده ، ونأوا عن دواعي الفتنة ؛ إجلالاً لهذا الحاكم الذى شملت مهابته الشمس أيضًا ، فهي راضخة له ، ولا تغرب إلا بإذنه ، وهو الذى يصرف شئون الحكم فى البلاد بطين خاتمه الذى يمهر به الكتب الصادرة ، ورؤية هذا الخاتم كافية لتمثل المضمون فيها حتى لو تلاشى ذلك النقش المكتوب فيه .

وما سلف يرسم صورة لكافور تجعلنا نراه حاكمًا فذًا ، حاز الفضائل، وأجاد إدارة شئون الحكم بوعي سياسي وحنكة ، مما أهله لأن يكون مهيبًا لدى رعيته وسواهم ، حاظيًا بالتقدير والإجلال المكافئين لكفاءته ، وفى تقديرى أن المتنبي كان كلفًا بالمبالغة فى بعض ما سبق إيراده – ولا سيما ما يتواشج بطاعة الرياح والشمس لكافور – وهذه المبالغة غير مستساغة ؛ فهي تنال من الصدقين الواقعى والفنى لشعره ، وإذا كان ثمة ما يبرر غلو الشاعر فهو استهدافه إحداث التهيئة النفسية لممدوحه ليحثه على الاستجابة الحثيثة لمطلبه السياسي (الولاية) .

وفى عام ٣٤٧هـ شاب التوتر الحاد العلاقة بين قطبي السياسة فى مصر آنذاك (كافور وأنوجور ابن مولاه الإخشيد) حيث سعى الوشاة والحساد بينهما فأفضى ذلك إلى تردى الأوضاع إلى حد جعل مصر شبه مهددة بنشوب حرب داخلية ، بيد أن كافورًا نجح فى احتواء هذا الموقف بما اتسم به من حنكة سياسية ودهاء وحلم وحزم ، فخيم الصفاء على أفق الحياة السياسية فى أرض الكنانة ، وقد عنى المتنبى بما حدث فى قصيدتين إحداهما بائية والأخرى دالية ، ومن أبيات البائية قوله :

يُرِيدُ بِكَ الحُسَّادُ مَا اللهُ دَافِعٌ ... وسُمْرُ العَوَالى والحَدِيدُ المُذَرَّبُ

ودونَ الذِى يَبغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا ... إلى المَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ والطِّفْلُ أَشْيَبُ

إذا طَلَبُوا جَدواكَ أُعطُوا وحُكِّمُوا ... وإنْ طَلَبُوا الفَضْلَ الذِى فِيكَ خُيِّبُوا

ولَوْ جَازَ أَنْ يَحْوَوا عُلاكَ وهبتَهَا ... ولكِنْ مِنَ الأَشْيَاءِ مَا لا يُوهَبُ

وأَظلَمُ أَهلِ الظُّلمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا ... لِمَنْ بَاتَ فِى نَعْمائِهِ يَتَقَلَّبُ

**وأَنتَ الذِى رَبَّيتَ ذَا المُلْكِ مُرْضَعًا ... ولَيسَ لَهُ أُمٌّ هناكَ ولا أَبُ**

**وكُنتَ لَهُ لَيثَ العَرِينِ لِشِبْلِهِ ... ومَالَكَ إِلاَّ الهِنْدُوانىَّ مِخْلَبُ**

**لَقِيتَ القَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمةٍ ... إلى الموتِ فِى الهَيْجَا مِنَ العَارِ تَهْرَبُ**(١٨١)

والملاحظ عبر أبيات هذه القصيدة مشايعة المتنبى لكافور ؛ فهو مؤيد من الله الذى يدفع عنه مكر حساده ، كما أنه متمع بالقوة الحربية ، وذو مآثر غدا الملك معها مديناً له بسلامته وبقائه ، وقد ظل بمنأى عن خطر الخصوم الذين يتربصون به الدوائر ، ولم يكن كافور فى قيادته السياسية المظفرة سوى أب رءوم ، وتجلت جدارته السياسية على الصعيدين الخارجى والداخلى ، حيث إنه قد نافح عن دولته حربيًا ضد أعدائها رادًا إياهم على أعقابهم مدحورين ، أما فيما يتواشج بالسياسة الداخلية فقد حسن تدبيره وعنَّت كفاءته الإدارية وسماحته ، وتأسيسًا على ذلك فإن من يدبرون له المكائد ويتطلعون إلى أقصائه عن منصبه السياسي المرموق– وهو شأن دونه الموت – إنما هم أناس حاسدون طاغون جاحدون ، وليس رائدهم الإنصاف أو مراعاة المصلحة العامة للبلاد .

وقد توخى الشاعر إزجاء الحكمة البليغة فى البيت الخامس ، وهذا المنحى يطرد فى شعره مما جعل بعض الباحثين يولونه عناية خاصة(١٨٢) وتتجلى براعة المتنبى فى الخروج بالحكمة من الإطار الخاص إلى الإطار العام ذى الأفق الرحب .

واللافت أن الشاعر لم يصرف عنايته فى هذه القصيدة إلى استعراض التفاصيل الدقيقة المنوطة بالخلاف السياسى الذى كان ناشبًا بين كافور وأنوجور.

أما القصيدة الأخرى فقد اهتم فيها بإبراز ما كان من توحد الرأى السياسي من دوائر اتخاذ القرار التى اجتمع رأيها على ضرورة الصلح الذى هو خير لهما وللرعية ؛ فقد رأب الصدع ، ومحا الفرقة السياسية ، واستبدل بها الصفاء والمودة والألفة فى حسم ، حيث قال المتنبى :

**حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الأَعادِى ... وَأَذاعَتْهُ أَلسُنُ الحُسَّادِ**

**وَأَرادتْهُ أَنْفُسٌ حَالَ تَدْبِيـ ... ـرُكَ مَا بينَهَا وبَينَ المُرَادِ**

صَـــارَ مَـــا أَوضَـــعَ المخبُّـــونَ فِيْـــهِ مِـــنْ عِتَـــابٍ زِيَـــادَةً فِـــى الـــوِدادِ
وكَـــلامُ الوشَـــاةِ لَـــيْسَ عَلَـــى الأَحْـــ ـــبَابِ ،سُـــلطانُهُ عَلَـــى الأَضْـــدَادِ
إِنَّمَـــا تُـــنجِحُ المقالَـــةَ فِـــى المـــرْ ءِ إِذا صَـــادفتْ هَـــوىً فِـــى الفُـــؤادِ(١٨٣)

ما أجدى هذا الصلح السياسى الذى أخمد نار الفتنة ، وفـوت علـى الخصوم والحساد ومرادهم المتمثل فى إضرام نار الشقاق ، وإن هذا الصلح ليكمن خلفه حسن التدبير ، وإذا كان ثمة عتاب فإن مردوده قد أتى إيجابيًـا حيث أثمر زيادة الود ، وباءت جهود الوشاة بالإخفاق الذريع ؛ لأنـه لـيس لكلامهم تأثير فعال على الأحباب ، وإنما يكون سلطانه إذا صادف هوى لدى سامعه ، وليس أنوجور بمن يكترث بهذا الكلام المغرض .

ثم يقول المتنبى :

مَنَـــعَ الـــوُدُّ والرِّعايَـــةُ والسُّـــؤ ددُ أَنْ تَبلغَـــا إِلَـــى الأَحقَـــادِ
وحُقُـــوقٌ تُرفِّـــقُ القَلْـــبَ لِلقَلْـــ ـــبِ ولَـــوْ ضُـــمِّنَتْ قُلُـــوبَ الجَمَـــادِ
فَغَـــدا الملـــكُ بَـــاهِرًا مِـــنْ رآهُ شَـــاكِرًا مَـــا أَتيتُمَـــا مِـــنْ سَـــدَادِ (١٨٤)

والشاعر هنا يربأ بكافور وأنوجور عن أن تكون بينهمـا أحقـاد أو عداوة ؛ إذ يحول دون ذلك ما يتسمان به من الود والسيادة والعناية بالحقوق ، حيث إن كافورًا هو من تولى أمر أنوجور وغمره برعايته طفـلاً ، فمـا بينهما من حقوق لو كانت بين كائنات من الجماد لاسترقت أفئدتها ، فما بالنا بكونها بين بشر ذوى قيادة سياسية ومكانة مرموقة ! .

وقد استعاد الملك رونقه وبهاءه الباهر بفضل ما كـان مـن صـلح وتصافٍ ، ولو كان متمتعًا بالقدرة على الكلام لما توانى عن إزجـاء جـم شكره لهما ؛ لسديد صنيعهما .

ثم نلفى قول المتنبى :

فَبِهـــذَا ومِثلِـــهِ سُـــدْتَ يَـــا كَـــا فُـــورِ وافَتَـــدْتَ كُـــلَّ صَـــعْبِ القِيَـــادِ
وأَطـــاعَ الـــذِى أَطاعَـــكَ والطَّـــا عَـــةُ لَيْسَـــتْ خَلائِـــقَ الأَسَـــادِ
إِنَّمَـــا أَنْـــتَ والـــدٌ والأَبُ القَـــا طِـــعُ أَحنَـــى مِـــنْ واصِـــلِ الأَولادِ

لاَ عَـدا الشَّـرُّ مِـنْ بغَـا لَكُمـا الشَّـر ... وخَـصَّ الفَسَـادُ أَهْـلَ الفَسَـادِ
أَنتُمـا مـا اتفقْتُمَـا الجِسْـمُ والـرُّو ... حُ فَـلا احتجتُمَـا إلى العُـوَّادِ
وإذا كَـانَ فِـى الأَنابِيـبِ خُلْـفٌ ... وَقَـعَ الطَّـيْشُ فِـى صُـدورِ الصِّـعَادِ (١٨٥)
... فيـهِ أَيـديكُما عَلَـى الظَّفـرِ الحُلْـ ... ـوِ وأَيـدِى قَـومٍ عَلَـى الأَكبـادِ
هَـذِهِ دَولَـةُ المكَـارِمِ والـرَّأ ... فَـةِ والمجـدِ والنَّـدَى والأَيَـادِى
كَسَـفَتْ سَـاعةً كَمَـا تَكْسِـفُ الشَّمْـ ... ـسُ ، وعَـادتْ ونُورهـا فِـى ازديَـادِ (١٨٦)

وهنا نرى الشاعر مفصحًا عن تأييده لكافور الذى حاز السيادة السياسية ، وأطاعه الأنام ؛ لسداد رأيه وحكمته وجدارته ، والذين انقادوا لطاعته كالأسود فى بأسهم وإقدامهم ، وإنه لعطوف كالأب الحاني ، وقد تجلى هذا فى تربيته لابن الإخشيد – أنوجور – فقد كانله كالوالد ، وقد بزحنو كافور على أنوجور حنو الولد البار بأبيه ، ولم يفت الشاعر أن يلتفت إلى تلك الشرزمة الباغية التى سول لها الشيطان السعي بينهما بالفتنة والفساد ، داعيًا أن تثمر مساعيهم شرًا يحيق بهم ، فيرتد كيدهم فى نحرهم .

وجميل من المتنبي أن يصور كنه الوشيجة بين كافور وأنوجور – حال اتفاقهما سياسيًا – جاعلاً العلاقة بينهما حميمة كعلاقة الجسم بالروح ، فهي علاقة تلازم وتكامل ، ولا غني لأحدهما عن الآخر ، وإن التباين بين كافور وأنوجور لشبيه بالداء الذى يستدعي عيادة الأطباء ؛ تحاشيًا لاختلال شأن البدن ، وانتفاء التباين يجعل العيادة منتفية ، فليسا فى حاجة إلى قدوم سفراء أومشيرين عليهما ، ولا يني المتنبي يعمد إلى استيفاء المضمون عبر التذرع بالتصوير الفني المستجاد ، الذى يتمحور حول كنه العلاقة السياسية بين الطرفين وأبعادها ومردودها ، فنراه جانحًا إلى ضرب المثل بأنابيب الرمح – وهى ما بين كل عقدتين فيه – فإنها إذا تباينت نجم عن ذلك اضطراب صدره لدى الطعن به لعدم استقامته ، وانتفت جدواه ، وهكذا الشأن بالنسبة للعلاقة بين السادة وأتباعهم ، فمتى شجر الخلاف بين الأتباع أو الخدم (امتدت تداعيات ذلك إلى الرؤساء ليقع بينهم النزاع ، وجهود

الصلح التى كُللت بالنجاح تشي بسداد الرأى ، وترهص بالظفر الحلو المجرد من سفك الدماء ، وهذا ما يأسى له الحساد ، فيضعون أيديهم على أكبادهم متألمين ؛ لإخفاق ما كانوا يحيكون من مؤامرات سياسية دنيئة ، ويصف الشاعر حال الدولة مبرزًا ما فيها من مكارم ومجد وآلاء وجود ورأفة ، ويراها شبيهة بالشمس التى داهمها الكسوف برهة ثم زايلها فبدت للناظرين أبهى مما كانت عليه ، وما الكسوف سوى ما اعترى العلاقة بين كافور وأنوجور من وحشة قصيرة ، آلت إلى نهاية أثلجت الصدور .

ولعلنا مما سلف نضع أيدينا على أن شعر المتنبي ذا الطابع السياسي كان بعضه مواكبًا للأحداث الجارية ، مسجلاً لها ومحللاً إياها فى حينها ، مما يمنح شعره قيمة مضاعفة ، ففيه الفن والتاريخ (السياسي) اللذان ينصهران فى بوتقة هذا الشعر ببراعة بادية .

ويجدر بنا أن نومئ إلى أن وفاة الإخشيد قد جاءت فى عام ٣٣٤هـ ، ليغدو كافور وصيًا على ابنه وولى عهده من بعده (أنوجور) وواقع الأمر أن كافورًا كان هو الحاكم الفعلى ، وإن كان ظاهر الأمر موهمًا أن الوصاية له فحسب .

**ب- نشدان المتنبي الولاية :**

كان المتنبي شانئًا لدولة الخدم ، آبيًا سلطان العجم ، فألقت به رياح طموحه السياسى على أرض مصر ، تقوده رغبته الجامحة فى الظفر بالولاية ، ولو أتى ذلك على جسر مديحه لعجمى كان عبدًا (كافور) فالغاية السياسية تبرر الوسيلة هنا ، وترجم شعره على أرض الكنانة عن اتجاهيه الفكرى والوجداني ، وأماط اللثام عن كنه نفسيته عبر تلك الشحنات الانفعالية التى زخر بها شعر هذه المرحلة التى علا فيها صوت الذات ، فلم يخفِ المتنبي حرصه على الظفر بالحكم ، وبدا ذلك فى شعره منذ وقت مبكر – بعد مجيئه إلى مصر – وجاء هذا الشعر فى باكورته مقترنًا بالرجاء ، وقد ورد فى أول قصيدة مدح بها المتنبي كافورًا (فى جمادى الثانية عام ٣٤٦هـ) قوله :

إذا كَسَبَ النَّاسُ المعَالِى بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعطِى فِى نَدَاكَ المعَالِيَا
وغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيرجِعَ مَلكًا لِلعِرَاقَيْنِ وَالِيَا (١٨٧)
فَقَدْ تَهَبُ الجَيْشَ الذِى جَاءَ غَازِيًا لِسَائِلكَ الفَرْدِ الذِى جَاءَ عَافِيَا (١٨٨)

وهذه الأبيات تمثل خطابًا شعريًا ذا طابع سياسي ؛ فهي تتمحور حول طلب الولاية ، وقد قيل : إن كافورًا حلف ليبلغنه ما فى نفسه (١٨٩).

وبعد مضي نحو شهر على هذه القصيدة ينشئ المتنبي قصيدة أخرى يعزف فيها على قيثارة هذه الأمنية السياسية العذبة المشتهاة ، وفيها يقول مخاطبًا كافورًا :

يَا رَجَاءَ العُيُونِ فِى كُلِّ أَرضٍ لمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِ
ولَقَدْ أَفنَتِ المَفَاوِزُ خَيلِى قَبْلَ أَنْ نَلتَقِى وَزَادِى ومَائِى
فَارْمِ بِى مَا أَردتَ مِنِّى فَإِنِّى أَسَدُ القَلْبِ آدَمِىُّ الرُّوَاءِ
وفُؤَادِى مِنَ المُلُوكِ وإِنْ كَا نَ لِسَانِى يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ (١٩٠)

واللافت فى البيت الأخير إقحام الشاعر نفسه فى عداد الملوك ، وإن احترس فجعل ذلك فى دائرة الفؤاد ، وأرى أن هذا البيت مفتاح شخصية المتنبى ، وفى ضوئه يتسنى لنا الوقوف على كنه المنحيين : الفكرى والنفسى لديه ، فهو يختزل القضية .

والواقع أن ثمة نظرتين متباينتين أدتا إلى صدام بيِّن : نظرة المتنبى إلى نفسه ، ونظرة ممدوحيه إليه ، فهو إنما كان يرى نفسه من منظور استعلائي ، جاعلاً إياها فى منزلة ملوكية ، أما الممدوحون ذوو السلطان الفعلي فلم تكد نظرتهم إليه تتجاوز كونه أحد الشعراء المبرزين ، وقد أفضى تباين النظرتين إلى إيجاد فجوة نفسية هائلة ، حيث إن المتنبي كان يحمل نفسية ملك وهمته ولسان شاعر وقلبه (١٩١)، وكان يطمح إلى أن يراه الممدوحون كما يرى نفسه ، بيد أن ذلك لم يتحقق ، لتستفحل نقمته ونزعته الثورية على الملوك متوعدًا إياهم محقرًا شأنهم فى بعض سني مسيرته الشعرية .

وبعد مجيء المتنبى إلى أرض الكنانة بنحو خمسة أشهر لاينى أمل الولاية يداعب خياله ، فيستعين بشعره لتفعيله على أرض الواقع السياسى ، فنجد قوله فى بائية مدح بها كافورًا عازفًا على الوتر نفسه :

قَالُوا هَجَرْتَ إِليهِ الغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ ... إِلى غُيُوثٍ يَدَيْهِ والشَّآبِيبِ(١٩٢)

إِلَى الذِى تَهَبُ الدَّولاتِ رَاحَتُهُ ... ولا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوهُوبِ(١٩٣)

ويتجلى الإلحاح على تحقيق هذه الأمنية بعد ذلك أيضًا ، ففي العام نفسه – أى العام الأول له فى مصر – وفى شهر ذى الحجة على وجه التحديد ، يمدح المتنبى كافورًا بقصيدة أخرى ، ونراه فيها محفزًا إياه على منحه الولاية ؛ فهو حرى بها ، والتجربة خير برهان ، حيث يقول شاعرنا :

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَّلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا ... شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ

وَوعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لأَنَّهُ ... نَظِيْرُ فَعَالِ الصَّادِقِ القَوْلِ وَعْدُهُ

فَكُنْ فِى اصْطِنَاعِى مُحسِنًا كَمُجَرِّبٍ ... يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الجَوَادِ وشَدُّهُ

إِذَا كُنْتَ فِى شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَابْلُهُ ... فَإِمَّا تُنَفِّيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ(١٩٤)

وفيها يقول أيضًا مخاطبًا كافورًا :

وَإِنِّى لَفِى بَحْرٍ مِنَ الخَيْرِ أَصْلُهُ ... عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا وَهْىَ مَدُّهُ

وَمَا رَغْبَتِى فِى عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ... ولكِنَّهَا فِى مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ(١٩٥)

ومما يجدر ذكره أن أبا العلاء المعرى قد فسر هذا المفخر هنا على أنه الولاية(١٩٦)وأشايعه فى ذلك ؛ انبثاقًا من أن المتنبي قد كان هدفه الأسمى الظفر بها ، حيث إنها تلبي مطلبًا نفسيًا ملحًا فى أعماقه ، والحقيقة التى لا يرقى إليها الريب أن كافورًا لم يضن عليه بالمال والعسجد ، وقد خلع عليه الخلع (١٩٧) بيد أن شاعرنا الطموح لم يأت إلى مصر من أجل هذا فحسب ، فقد كانت الولاية شغله الشاغل الذى يحدد مساره وتوجهاته ، وتسنى له فى شعره أن يترجم عن هويته السياسية ، حيث طرح فى إطاره رؤاه ، وبلور أبعادها وكنهها ومناحيها وأهدافها .

وفى غير موضع من شعر المتنبى يتجلى إلحاحه على استنجاز كافور ما سلف أن وعده إياه ، وكأنى به يستجدى الولاية استجداء وهو مَنْ كان

عهدنا به من قبل ذا أنفة وكبرياء وشمم وعزة نفس ، ولكنها السياسة التى تبيح فيها الضرورات المحظورات .

وإذا كان العام الأول لإقامة المتنبى فى مصر قد اقترن بتطلعه السياسى المشبوب الذى يحدوه الرجاء ، فإن نار هذا التطلع لم تخمد فى العام الثاني – ٣٤٧هـ – بيد أنها قد خفتت ، فتوارى الحماس الدافق لدى المتنبى وإن ظل متمسكًا بأهداب الأمل فى الظفر بالولاية بعد أن تسلل اليأس إلى نفسه رويدًا رويدًا ، وفى ظلال العام الثاني للمرحلة المصرية توخى المتنبى أيضًا من كافور إنجاز وعده ، ومما يشي بذلك تلك القصيدة التى نظمها فى شهر ربيع الثانى من هذا العام ، وكان من أبياتها قوله :

أَبَا المِسْكِ أَرجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى العِدَا ... وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ البِيْضَ بِالدَّمِ
وَيَومًا يَغِيظُ الحَاسِدِيْنَ وحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعُّمِ
ولَمْ أَرجُ إلاَّ أَهْلَ ذَاكَ ومَنْ يُرِدْ ... مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يَظْلِمِ
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِى مِصْرَ مَا سِرْتُ نَحْوَهَا ... بِقَلْبِ المُشُوقِ المُسْتَهَامِ المتَيَّمِ
... ولَوْ كُنْتُ أَدرِى كَمْ حَيَاتِى قَسَمْتُهَا ... وصَيَّرتُ ثُلْثَيْهَا انتِظَارَكَ فَاعْلَمِ
ولَكِنَّ مَا يَمْضِى مِنَ العُمرِ فَائِتٌ ... فَجُدْ لِى بِحَظِّ البَادِرِ المتغَنِّمِ
رَضِيْتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِى مَحَبَّةً ... وقُدْتُ إِلَيكَ النَّفْسَ قَوْدَ المسَلَّمِ
ومِثْلُكَ مِنْ كَانَ الوَسِيطَ فُؤادُهُ ... فَكَلِّمْهُ عَنِّى ولَمْ أَتكَلَّمِ[١٩٨]

لقد دبج يراع شاعرنا – الذى طال انتظاره لبلوغ مطمحه السياسى – الأبيات الآنفة التى لم تخل من (طلب الولاية) وإن بدت النبرة فيها خافتة أو أدنى من تلك النبرة التى كنا نسمعها فى قصائد العام الأول من شعره المتواشج بالمرحلة المصرية ، وقد لف المتنبى طلبه فى رداء الرجاء المقترن بالنصر على خصومه وإغاظة حاسديه ، واقترن الطلب (المهذب) بخضوعه وخشوعه ولينه بعد استشعاره نأى تحقيق أمل الولاية عنه ، وهو الذى كان قبل قدومه إلى مصر يبدى الترفع والكبرياء ، ويبرز السخط والتمرد والنزعة الثورية على الحكام الأعاجم .

وفى شهر شوال من العام الثانى لإقامة المتنبي فى مصر عمد إلى نظم بائية ، ورد فيها قوله بعد أن ضاق ذرعًا بطول الانتظار دون إرهاصات فعلية بتحقيق مأموله السياسي (الحكم) :

أَبا المسكِ هَلْ فِى الكَأسِ فَضْلٌ أَنالُهُ ... فَإِنِّى أُغَنِّى مُنْذُ حِينٍ وتَشْرَبُ

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْ زَمانِنَا ... ونَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ

إِذَا لَمْ تُنِطْ بِي ضَيْعَةً أو وِلاَيَةً ... فَجُودُكَ يَكْسُونِي وشُغْلُكَ يَسْلُبُ (١٩٩)

ولا يني الشاعر هنا يطلب الولاية بعد مماطلة كافور إياه من قبل ، فالملك هو مبتغاه الرئيس لا المال ، فإذا ظفر به تحققت أمنية حياته الكبرى ، وإن لم يجبه كافور إلى ذلك فما شأنه سوى شأن من لم يعط شيئًا وإن كثرت لهاه للشاعر الذى امتزج لديه هنا الرجاء بشيء من اليأس ، ولعلنا نستشف ذلك عبر السؤال الوارد فى البيت الأول الذى نرى فيه كافورًا فى صورة شارب ريان ، كما يبدو المتنبى فى هيئة مغنٍ ظمآن ، والتصوير هنا يحمل بعدًا نفسيًا مهمًا ، فهو يقفنا على دخيلة نفس الشاعر المتبرم بعد موقف داهية السياسة – كافور – من منحه الولاية ، حيث يشعر شعور المحروم الذى تمضى الأيام عليه ثقيلة ممضة ، شديدة الوطأة على نفسه ، بعد الإحساس بعدم جدوى الانتظار لوفاء حاكم مخاتل مماطل بوعد سياسى سالف (٢٠٠).

إن المتنبى إنما وفد إلى مصر طامحًا فى الظفر بالحكم ، ولعله كان فى الآن ذاته يستهدف الكيد لسيف الدولة الذى لم ينصفه حيال شانئيه وحاسديه فى بلاطه ، وكأني به كانت تراود ذهنه فكرة الإيهام بالمساواة بين ممدوحه الأثير – سيف الدولة – وذلك العبد التخصي – كافور – الذى كان يتربص به فى مصر ، والنصوص التى تعكس (طلب الولاية) من الكثرة بمكان – فى ديوان المتنبي – ومنها فضلاً عما سلف إيراده قوله :

وفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وفِيكَ فَطَانَةٌ ... سُكُوتِى بَيَانٌ عِنْدَهَا وخِطَابُ

ومَا أَنَا بِالبَاغِى عَلَى الحُبِّ رِشْوَةً ... ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ

**ومَـــا شِـــئْتُ إلاَّ أَنْ أَدُلَّ عَـــوَاذِلِي عَلَـــى أَنَّ رَأيـــي فِـــي هَـــوَاكَ صَـــوَابُ**
**وَأُعلِـــمَ قَومًـــا خَـــالفُونِي فَشَـــرَّقُوا وغرَّبـــتُ أَنِّـــي قَـــدْ ظَفِـــرتُ وخَـــابُوا**(٢٠١)

وفى البيت الأول يلمح الشاعر لمخاطبه – كافور – ببغيته السياسية – وهى الولاية – متوخيًا استمالة فؤاده – وتهيئته نفسيًا عبر التصريح بحبه له ، وينشد بعد ذلك تبرير بغيته ذاكرًا أنه يستهدف إغاظة عاذليه على انتجاع كافور وإذلالهم بظفره – السياسي – لديه ، وواقع الأمر أن المتنبي لم يغـظ بصنيعه سوى نفسه ، فقد مناه كافور وماطله حتى تسرب اليأس إليه وهيمن عليه بعد أن فرض عليه كافور (الإقامة الجبرية) لإحساسه بخطره ، فما كان من شاعرنا إلا أن ضاق ذرعًا بتحديد إقامته ، وتاقت نفسه إلى تجاوز هـذه (الأزمة السياسية) المتولدة عن (طلب الولاية) فأزمع الهرب ، وقـد كـان فراره من مصر يوم عرفة سنة ٣٥٠هـ وهو يتجـرع مـرارة الإخفـاق السياسي فى الظفر بالحكم ، هذا الإخفاق الذى قال عباس محمود العقاد فـى شأنه:

" لحسن حظ المتنبى أن رياحه أتت بما لا تشتهيه سفنه ، ولحسن حظ العرب أن هذه السفن جنحت بالمتنبى إلى البر الذى استقر عليه ، وإلا فماذا كان يفيدهم أن تصل به إلى سلم العرش أو ساحل الغنى ؟ أفكان يضيرهم أن ينقص ملوكهم ملكًا أو يحذف من سجل فرسانهم اسم فارس ؟ كلا .

ولكن قد كان يضير آدابهم – ولا جدال – أن يسقط من بينها ديـوان المتنبى ، وأن ينقص من عداد شعرائهم هذا الشاعر العظيم القليـل النظيـر "(٢٠٢)

وأنا مع العقاد فيما ذهب إليه ، وأرى أنه إذا كان المتنبي قد أخفق فى الظفر بالإمارة – على الصعيد السياسي – فإنه قد ظفر بها فى عالم الشعر ، فهو (أمير الشعر العربي) قديمًا .

ومهما يكن من أمر فإن شعر المتنبي يبرهن على كلفه بطلب الولاية ، ومن عجب أن نلفي مَنْ يشكك فى طلبه للولاية(٢٠٣)وهى القضية السياسـية

التى تآزر غير قليل من المصادر والمراجع المعتبرة فى تأكيد حقيقتها وصوابها[٢٠٤] ومن هذا المنطلق فإن الموضوعية تقتضينا أن نتبنى الرأى الصائب الذى لا يميل صاحبه مع هواه الشخص ، ويمارى دون سند مقنع أو براهين متواترة يعضد بعضها بعضًا .

**جـ- تداعيات إخفاق المتنبي السياسي :**

لقد جاء المتنبي إلى الفسطاط فى عام ٣٤٦هـ مؤملاً الولاية لدى كافور الذى استدرجه بعض أعوانه للقدوم إلى مصر ومدحه توطئة لتحقيق مراده السياسي ، ولعله فى هذا المنحى كان يترسم خطى بعض الشعراء السالفين الذين تقلدوا بعض المناصب ، ومضى المتنبي فى مديح كافور الذى حمل بعضه ما يتواشج بهدفه السياسى ، وكان الأمل حاديًا له فى نيل الولاية، وقد شهدت سنة ٣٤٨هـ تبدل حال الشاعر الذى أصابه القنوط من إدراك مبتغاه ، وتركت هذه الحال النفسية تداعياتها على شعره ، ففى هذه السنة اندلعت ثورة فى بعض مناطق الشام ، وتزعمها شبيب بن جرير العقيلي الذى شايعه كثير من البدو ، وتصاعدت حدة التوتر والأحداث الملتهبة فى إثر خروج شبيب الذى حاصر مدينة دمشق بيد أن المنية قد وافته دون أن يجهز عليه أحد خصومه ، وسجل المتنبي هذا الحدث السياسي فى نونية من المفترض أنها مكرسة لمديح كافور ، وكان من أبياتها قوله :

**بَرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ ... وكَانَا عَلَى العِلاَّتِ يَصْطَحِبَانِ**
**كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ ... رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وأَنْتَ يَمَانِ**
**فَإِنْ يَكُ إِنسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ ... فَإِنَّ المنايَا غَايَةُ الحَيَوَانِ**
**وَمَا كَانَ إِلاَّ النَّارَ فِى كُلِّ مَوْضِعٍ ... تُثِيرُ غُبَارًا فِى مَكَانٍ دُخَانِ**
**فَنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيها عَدُوُّهُ ... وَمَوتًا يُشَهِّي المَوْتَ كُلَّ جَبَانِ**
**... أَتَتْهُ المنايَا فِى طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ ... عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَولَهُ وعِيَانِ**
**وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلاَحِ لَرَدَّهَا ... بِطُولِ يَمِينٍ واتِّسَاعِ جَنَانِ**(٢٠٥)

ومؤدى هذه الأبيات أن هذا الثائر لم يكن موته مجلبة للعار ، حيث نفد أجله ففارق حسامه ، وهو الذى كان كنار على خصومه الذين يغبطونه على هذه الميتة الهادئة ، وكان كافور بمنأى عن تبعة رداه ، حيث ناب عنه الموت فى ذلك متسللاً إليه خلسة فى موضع وضيع ، ولو كانت مجابهة شبح

الموت فى ساحة الوغى عن طريق السلاح لتسنى لشبيب أن يدرأه ؛ نظـرًا لبسالته وبأسه ورباطة جأشه .

وكان المتنبي حاذقًا فى الصورة الفنية التى تضمنها البيـت الثـاني ، والتى ذهب فيها إلى أن الفراق لم يأتِ بين شبيب وحسامه إلا بعد استشراء القتل ، وكأن الرقاب التى تخشى تقطيعها قد نجحت فـى الإيقـاع بينهمـا بدعوى أن السيف قيسي وشبيب يماني ، فلا ينبغي أن تكون بينهما صحبة ، وتوخى المتنبي إثراء المضمون بإزجاء الحكمة – وهو من لا يُشق له غبار فى هذا المضمار – ومدار الحكمة هنا أن الموت نهاية كل حـى ، وهـذه الحكمة يتجلى فيها التناص الديني(٢٠٦).

وعلى الرغم من أن هذه القصيدة مزجاة إلى كافور ، ومن المفترض أنها مكرسة للإشادة به ودعم موقفه السياسي فى هذه الأزمة ، أقول : علـى الرغم من ذلك فإننا نقف على إشادة الشاعر بمناقب شبيب ، وكأنه لا يروم تقريظ كافور بل رثاء المتمرد الخارج عليه الذى لم يتسن له الظفـر بـه ، وذلك على نحو تبدو فيه حرارة الانفعال وجيشان العاطفة نحو خصم كافور الحاكم الذى ضن عليه بالولاية لاستشعاره خطره الداهم ، وكأني بـالمتنبي هنا يعمد إلى تصفية حساب سياسي كرد فعل لمماطلة كافور إياه فى وعـده السياسي المنوط بالولاية .

ومن القصائد التى تحمل ظلالاً سياسية وتأخذ البعد السـالف قصـيدة المتنبي التى مدح بها رجلاً اسمه (فاتك) وكنيته (أبو شجاع) ولقبه (المجنون) وذلك نظرًا لاتسامه بالتهور ، وكان فاتك – أحد غلمان الإخشيد – منافسًـا لكافور ، كما كان متسمًا بالبأس والهمة والإقدام والجود ، وكان من أصـل رومي ، وبعد وفاة الإخشيد ووصول كافور إلى سدة الحكم آثر فاتك أن ينأى بنفسه عن حومة السياسة فى الفسطاط ، جاعلاً سكنه فى الفيـوم ، بيـد أن مرضًا ألم به فأتي إلى الفسطاط ، وراسله شاعرنا ثم التقى به ، وأرسل فاتك إلى المتنبي هدية قيمتها ألف دينار(٢٠٧) فى ظل ملابسـات مشـوبة بتكـدر العلاقة بين الشاعر وكافور وحدوث القطعية بينهما من جراء عـدم تلبيـة

كافور لرغبة المتنبي فى الولاية ، وقد استأذن المتنبي كافورًا فى مدح فاتك وأذن له على الرغم مما يكنه لفاتك من الشنآن والحقد – وكان ذلك متبادلاً بينهما – بيد أن الدهاء السياسي هو ما حدا بكافور إلى قبول مديح المتنبي له ، وكانت الفرصة سانحة أمام الشاعر ليضرب عصفورين بحجر واحد ، فمن ناحية يشبع هذا المديح رغبة المتنبي فى تقدير فاتك الجواد عبر الإشادة به ، ومن ناحية أخرى يلبي هذا المديح حاجة نفسية لدى المتنبي وهى الكيد لكافور ، فهو إن جاز لنا هذا التعبير (مديح كيدى) ولعل هذا ما يستبين من بداية القصيدة ، فالشاعر يقول:

**لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيها ولاَ مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لمْ تُسْعِدِ الحَالُ**

**واجْزِ الأَمِيرَ الذِى نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ**(٢٠٨)

وهنا يتجاوز المتنبي إسباغ صفة الجود على فاتك إلى التعريض بكافور الذى نعماه (أقوال) لا تأخذ سبيلها إلى حيز التفعيل .

ومما ورد فى هذه اللامية من مديح المتنبي لفاتك قوله :

**غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُظَّارِ مَوْقِعُهُ أَنَّ الغُيُوثَ بِمَا تَأتِيهِ جُهَّالُ**

**لا يُدرِكُ المجْدَ إلاَّ سَيِّدٌ فَطِنٌ لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّاداتِ فَعَّالُ**

**لا وارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ ولا كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَئَّالُ**

**قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلاً فَأَفْهَمَهُ إنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإمْسَاكِ عَذَّالُ**

**تَدْرِى القَنَاةُ إذا اهتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وأَبْطَالُ**(٢٠٩)

وهنا يقرر الشاعر خيرية ممدوحه على الغيوث ؛ فهو يحسن وضع الإحسان فى موضعه الصحيح ، أما هى فقد يشمل جودها التربة الصالحة ، وقد يشمل التربة الطالحة ، وهذا الممدوح الكيس السرى الذى حاز المجد يضطلع بما يصعب على السراة فعله ، وهو من لم يرث مالاً عن أبيه لكونه لم يضن بماله على الآخرين فهو وهوب ، وليس بكسوب ولا سئال بدون الحسام ، فهو فارس مقدام ، ورمحه مبعث الشقاء للأبطال والخيل فى ساحة الكريهة .

ولا يخفى على المتلقي الفطن ما يغلف هذه القصيدة من جو نفسي ، وما يقترن بها من منحى وجدانى يكشف عن رغبة الشاعر فى إجلال فاتك والتعريض بخصمه كافور الذى يحمل إزاءه شعورًا سلبيًا ذا خلفية سياسية محضة ، ولم يكتف المتنبى بمديح فاتك بل رثاه غب موته (فى شهر شوال سنة ٣٥٠هـ) بمرثية مؤثرة [٢١٠] وكانت هذه المرثية بعد فرار الشاعر من مصر – دليلاً على وفائه لخصم كافور .

ولما كان المتنبي لم ينل مبتغاه السياسي (الولاية) من كافور بن عبد الله الإخشيدى بعد أن مناه ، ودبج يراعه غرر القصائد فيه ، فإن شاعرنا المادح – بدافع سياسي – لم يتورع عن هجاء هذا الممدوح – بدافع سياسي أيضًا – بعد أن ما طله حتى نفد صبره وآثر (الخروج الآمن) من مصر ، ولكنه قبل فراره من مصر بليلة واحدة (أى فى التاسع من شهر ذى الحجة سنة ٣٥٠هـ) جادت قريحته بدالية هجا فيها كافورًا ، وعرَّض بالمصريين الذين ركنوا إلى حكمه ، وكان مما ورد فى هذه (الأهجية السياسية) قوله :

مَاذَا لَقِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا وأَعْجَبُهُ ... أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

أَمْسَيْتُ أَروحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا ... أَنَا الغَنِيُّ وأَمْوَالِي المَوَاعِيدُ

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ، ضَيْفُهُمْ ... عَنِ القِرَى وعَنِ التَّرحَالِ مَحْدُودُ

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيدِى ، وَجُودُهمُ ... مِنَ اللِّسَانِ ، فَلاَ كَانُوا ولاَ الجُودُ

مَا يَقْبِضُ المَوتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمِ ... إلاَّ وفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ

مِنْ كُلِّ رِخْوٍ وِكَاءِ البَطْنِ مُنْفَتِقٍ ... لا فِي الرِّجَالِ ولاَ النِّسْوَانِ مَعْدُودُ

أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ ... أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ

صَارَ الخَصِيُّ إِمَامَ الآبِقِينَ بِهَا ... فَالحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالعَبْدُ مَعْبُودُ

نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا ... فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى العَنَاقِيدُ

العَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ ... لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الحُرِّ مَولُودُ

لاَ تَشْتَرِ العَبْدَ إلاَّ والعَصَا مَعَهُ ... إِنَّ العَبِيدَ لأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ ... يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ [٢١١]

وهذه الأبيات المكرسة لهجاء شخصية سياسية مرموقة ، نراها مطعمة بالمفارقة ، مغلفة بالمبالغة والتهكم اللذين يذيكهما فشل الشاعر سياسيًا ، وقد أفضى به ذلك إلى التماس الكيد لمن حال دون بلوغ أربه (الحكم) وهو كافور ، فليس بخافٍ أننا بين يدى أبيات دافعها تصفية (الحساب السياسي) والذريعة فى ذلك تشويه الصورة ومسخها ، حيث يعن كافور فيها أبخل البخلاء ، فجوده مزيف ؛ لأنه لا يتعدى الكلام إلى الفعل ، وهو غير مكتفٍ بعدم الوفاء بسالف الوعد – السياسي – وإنما يتجاوز ذلك إلى عدم السماح للشاعر بالرحيل ، فهو اللؤم مجسدًا ، وهو وأضرابه مجمع القذارة ، ودليل ذلك استعانة الموت بعود ؛ كي يقبض أرواحهم المنتنة ، وقد غدت الرجولة بمنأى عن كافور وخصيانه المحيطين به ، فهم ذوو خنث وجلود مترهلة وبطون متدلية ، ولا يتسنى لرائيهم تعيين كنههم وتحديد كونهم رجالاً أو نساء ، ولا يكتفى المتنبي بهذا القدح الشائن ، وإنما يصم كافورًا بتهمة (الاغتيال السياسي) زاعمًا أنه قاتل سيده الإخشيد بغية الاستيلاء على الحكم من بعده ، فهو خائن ، ومن عجب أن المصريين كان موقفهم إزاءه سلبيًا ، فلم يتمردوا على كافور الآبق ويخلعوه من القيادة السياسية لهم ، وإنما كانت منهم توطئة السبيل له ، لتكون البلاد مركز استقطاب للمتمردين على أسيادهم ، الغادرين بهم ، مما يبرهن على ما تسرب إلى منظومة القيم السياسية من خلل جسيم ، غدا معه العبد سيدًا بل (معبودًا) والحر عبدًا ذليلاً ، وما هيأ الفرصة لاختلال المعايير القيمية وانقلاب الأمور رأسًا على عقب إنما هو موقف سادات مصر الأحرار وذوى الفكر والرأى من المصريين ، فهم (نواطير) لم يقفوا بالمرصاد لهذا الحاكم غير القمين بالحكم ، واتسم موقفهم بالسلبية تجاه هيمنة العبيد (الثعالب) على مقاليد الحكم وإمعانهم فى نهب خيرات مصر ، بقيادة زعيمهم كافور ، ذلك العبد الجبس الذى يغلب طبعه تطبعه ، ولا تصلح معه معاملة الأحرار – وإن عاش بينهم – فلا يستقيم شأنه إلا بقرعه بالعصا وإهانته ، ويستولى على شاعرنا التعجب من

صيرورته فى كنف هذا العبد أو بالأحرى (الكلب) الذى يلقى التقريظ حال إساءته إليه ، ثم يستأنف حملته الشعواء قائلاً :

وَلا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا ... وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي البَيْضَاءِ مَوْجُودُ
وأَنَّ ذَا الأَسْوَدَ المَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ ... تُطِيعُهُ ذِي العَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ
جَوْعَانُ يَأكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي ... لِكَيْ يُقَالَ عَظِيمُ القَدْرِ مَقْصُودُ
إِنَّ امْرَأً أَمَةً حُبْلَى تُدَبِّرُهُ ... لمُسْتَضَامٌ سَخِينُ العَيْنِ مَفْئُودُ
وَيْلُمِّهَا خُطَّةً وَيْلُمِّ قَابِلِهَا ... لِمِثْلِهَا خُلِقَ المَهْرِيَّةُ القُودُ
وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ المَوْتِ شَارِبُهُ ... إِنَّ المَنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْدِيدُ (٢١٢)
مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ... أَقَوْمُهُ البِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيدُ ؟
أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً ... أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ ؟
أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ ... فِي كُلِّ لُؤمٍ وبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ
وَذَاكَ أَنَّ الفُحُولَ البِيضَ عَاجِزَةٌ ... عَنِ الجَمِيلِ ،فَكَيفَ الخِصْيَةُ السُّودُ (٢١٣)

إن المتنبى لم يدر بخلده قط تسلل (الفراغ السياسى) إلى أرض الكنانة ؛ فخلوها من الساسة الأكفاء أمر يستعصى على التوهم ، وأعجب العجب استئثار كافور – أبي البيضاء – بالشأن السلطوي دون سواه ؛ فهو لا يعدو كونه عبدًا أسود مثقوب المشفر ، أعانه على التسلق إلى الحكم شرزمة من الأخساء الأوباش ، فاستتب الأمر لهذا الكويفير الشره الذى يلتهم طعام الشاعر ، ويصر على الحيلولة بينه وبين الرحيل ؛ زهوًا بكونه لديه ، والتماسًا لإيهام الآخرين بأنه جواد يؤمه شاعر مرموق ويثوى لديه ، ولما كان ابن الإخشيد الحاكم الشرعى تحت وصاية كافور الذى انفرد بالحكم دونه ، فإن المتنبي – الناقم – لا يسعه سوى إيغار صدره ضد كافور ، وتحريضه عليه ؛ لكى يأبى تدبير أمره من قبل كافور ، لما يمثله ذلك من مهانة كبرى تأباها الكرامة ؛ فكافور ليس إلا عبدًا خصيًا ، يضارع الأمة الحامل نظرًا لترهل بطنه ، فالردى خير من إذعان الحاكم الشرعي – ابن الإخشيد – لكافور المتسلط الذى لا تتوافر فيه أهلية الحكم ؛ فهو عبد أسود خصى وضيع الأرومة ، رسخت فيه ملابسات حياته السالفة صفات مقيتة

أبرزها اللؤم والخسة ، فقد عانى هوان النخاسة ، وطالما أدمت يد النخاس أذنه ، وهو زهيد الثمن فحسبه فلسان ؛ لأنه مزهود فيه ، وإذا كان السراة الأحرار بمنأى عن المروءة وإسداء الأيادى البيضاء ، فلا غرو أن يبدو هذا الكويفير نموذجًا للوضاعة والخسة ، فماذا يُنتظر منه ؟! .

إن الأبيات الآنفة لتقفنا على ملامح صورة حاكم مصر – كافور – وكنه شخصيته من منظور شاعرنا الساخط الذى شايعه آخرون من أهل الأدب والمعنيين به ، بيد أن المسألة ذات بعد آخر ، حيث إن " صورة كافور التى نعرفها له فى كتب التاريخ السياسي غير تلك الصورة التى نعرفها له لدى كثير من رواة الأدب ومؤرخيه ، فمن هؤلاء من نقل إلينا صورته على جانب كبير من القبح والسخف الجديرين بالازدراء متأثرين فى ذلك بما لطخه به أبو الطيب من نقائص أودعها نقمته وغضبه ، ولذا كان من الحق ومن الواجب علينا أن نبحث عن صورته الحقيقية وأن نجليها حتى لا ننكر عليه مكانته وفطنته وكفايته فلا يتأثر حكمنا بما أملته دوافع البغضاء لدى شاعرنا ... وليس أدل على كفاية هذا الرجل وامتيازه من بروزه على مسرح الأحداث ليصبح أهم شخصية فى تاريخ الدولة الإخشيدية لا نستثني من ذلك الإخشيد نفسه فقد زاد ملكه على ملكه وضم إلى ولايته ما لم يكن فى حوزة مولاه "[٢١٤] .

إن البون شاسع هنا بين المنحيين : الأدبى – الخاضع للدافع النفسى السلبى – والتاريخى فيما يتواشج بكافور بن عبد الله الإخشيدى الذى اشتراه أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد بثمانية عشر دينارًا[٢١٥] والذى قيل إنه حبشى الأصل[٢١٦] بيد أنه أعتقه وأدناه منه تقديرًا لفطنته ودهائه وحكمته وحسن تدبيره وحزمه وهمته وبسالته وبأسه وسوى ذلك من الصفات الحميدة التى كفلت له أن يكون أحد كبار القادة فى ظلال الدولة الإخشيدية ، وحسبه إحراز الظفر على سيف الدولة الحمداني[٢١٧] كما أن مصر قد شهدت تحت حكمه ازدهارًا ملموسًا فى مناحٍ شتى ، وقد قيل : إنه كان جوادًا[٢١٨] مثقفًا [٢١٩] راعيًا للعلم والأدب[٢٢٠] وقد خول له دهاؤه السياسي مصانعة العباسيين ، والفاطميين الذين لم يتسن لهم غزو مصر إلا غب وفاته ، وقد حكم الدولة

الإخشيدية زهاء اثنتين وعشرين سنة[٢٢١] وشمل نفوذه مناطق شاسعة فقد دانت لحكمه مصر والحجاز وبعض بلاد الشام [٢٢٢].

ولا يستقيم هذا أو يتسق مع الزعم بغبائه أو غفلته أو جبنه أو وهنه أو افتقاره إلى (الكفاءة السياسية) والوثائق التاريخية تبرهن على عدم اغتيال الإخشيد ، بما يعني أن اتهام المتنبي لكافور لا أساس له من الصحة .

وعلى الرغم من بروز ذلك التناقض الحاد بين المعطيات الشعرية والمعطيات التاريخية المرتكزة على الروايات الواقعية والحقائق ، أقول : على الرغم من ذلك فإننا نلفى مَن تبنى فكرة تحويل مديح المتنبى لكافور إلى هجاء ، وسعى جاهدًا إلى تفعيلها فى إطار تطبيقى[٢٢٣] مشايعة لإيعاز المتنبي بذلك ، وما أراه أن قلب المديح إلى هجاء إن صح مع بعض هذا المديح فإنه لا يصح مع سائره ، وإلا لكان هذا الصنيع مجسدًا للتعسف والتحامل والنأى عن الموضوعية فى المعالجة التحليلية للنص الشعرى ، وثمة سؤال يطرح نفسه : إذا فاتت هذه الألاعيب الشعرية المفترضة على كافور – وليس ثمة ما يرجح ذلك – فهل خدعت مَنْ كانوا بمصر من أدباء ونقاد ؟! .

والإجابة على ذلك بالنفي ، فهذا شأن مستبعد تمامًا .

**٢- شعر التيار السياسي فى العراق :**

غادر المتنبي مصر – هاربًا – يوم وقفة عرفة عام ٣٥٠هـ ويمم وجهه شطر مسقط رأسه – الكوفة – التى وصل إليها فى شهر ربيع الأول من عام ٣٥١هـ ، وكانت العراق آنذاك خاضعة لحكم البويهيين حيث استولى معز الدولة البويهى على بغداد فى سنة ٣٣٤هـ ، وتلاعب البويهيون بالخليفة العباسى فى تحول سياسي يمثل منعطفًا خطيرًا مقترنًا بتبدد هيبة الخليفة العباسى ، وزوال نفوذه السياسي ، ولا ريب فى أن ما حدث قد ترك مردودًا سلبيًا بل جرحًا غائرًا فى أعماق نفس المتنبي الشاعر ذى النزعة العربية ، ولعل هذا ما يفسر لنا عزوفه عن مديح الخليفة العباسي والوزير المهلبى عندما ذهب إلى بغداد وظل بها نحو سنة (وقد تركها فى شعبان سنة ٣٥٢هـ) قافلاً إلى الكوفة ، ولم يختف الحراك ذو الطابع السياسى لدى المتنبى الذى شارك فى صد هجوم القرامطة على الكوفة ، وفى عام ٣٥٣هـ توثقت صلته بدلير بن لشكروز – وكان أحد القادة الحربيين – ومدحه بلامية ، أشاد فيها بدوره فى إخماد الفتن فى العراقين (عراق العرب وعراق العجم) إذ قال :

**فَلاَ عَدِمَتْ أَرضُ العِرَاقَيْنِ فِتْنَةً ... دَعَتْكَ إِليها كَاشِفَ البَأسِ والمحْلِ** (٢٢٤)

وقد حاولت قبيلة بني كلاب اقتحام الكوفة عنوة ، فتم التصدى لها ودحرها ، ومن هذا المنطلق فإن شاعرنا – فى هذه القصيدة – يحمل على هذه القبيلة متهكمًا على نحو لاذع ، مقرظًا دور دلير :

**أَرادتْ كِلاَبٌ أَنْ تَفُوزَ بِدَوْلَةٍ ... لِمَنْ تَرَكَتْ رَعْىَ الشُّويهاتِ والإِبْلِ**
**أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الوَحْشَ وَحْدَهَا ... وأَنْ يُؤمِنَ الضَّبَّ الخَبِيثَ مِنَ الأَكْلِ**
**وقَادَ لَهَا دِلَّيْرُ كُلَّ طِمِرَّةٍ ... تُنِيفُ بِخَدَّيها سَحُوقٌ مِنَ النَّخْلِ** (٢٢٥)
**وَكُلَّ جَوَادٍ تَلْطِمُ الأَرْضَ كَفُّهُ ... بِأَغْنَى عَنِ النَّعْلِ الحَدِيدِ مِنَ النَّعْلِ**
**فَوَلَّتْ تُرِيغُ الغَيْثَ والغَيْثَ خَلَّفَتْ ... وتَطلبُ ما قَدْ كَانَ فِى اليَدِ بِالرِّجْلِ** (٢٢٦)

إن قبيلة بني كلاب لواهنة من المنظور السياسي ، فهى إنما تصلح لرعي الإبل والغنم وصيد الضب ، أما طلب الحكم فشأن لا يتأتى لها ، وقد ولت مدحورة فى إثر التصدى الحاسم لها ، وعادت إلى أدراجها .

وقد يثور السؤال الآتي : ألا يتعارض موقف المتنبى هنا مع ما شُهر عنه من نزعة العروبة ؟!.

وللإجابة على هذا السؤال أقول : لا ريب فى أن طبيعة الموقف تقتضي توجهًا معينًا من الشاعر ، فمع التسليم بأن هذه القبيلة عربية الأرومة فإننا نلفي أنها شرعت فى العدوان على بلد الشاعر (العربي) لغرض سياسي تضمره ، فانتفض ثائرًا عليها متهكمًا عبر شعره ذى السيرورة ، وفى تقديرى أن له العذر فى هذا المنحى ؛ فحب الوطن من الإيمان ، والمنافحة عنه واجب محتم تقتضيه (المواطنة) وانبثاقًا من ذلك فإن ما سلف لا يعني التناقض مع نزعة العروبة.

وقد جنح المتنبي فى هذه القصيدة ذات البعد السياسي إلى إبراز سمو منزلة دلير ودوره الحيوى فى حفظ الاستقرار واستتباب الأمن :

**فَتَمْلِيكُ دِلَّيرٍ وتَعْظِيمُ قَدْرِهِ شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ والعَدْلِ**

**وَمَا دَامَ دِلَّيرٌ يَهُزُّ حُسَامَهُ فَلا نَابَ فِى الدُّنيا لِلَيثٍ ولاَ شِبْلِ**(٢٢٧)

**٣- شعر التيار السياسى فى فارس :**

يمثل شعر المتنبى ضربًا من التمرد على السلطة السياسية الأعجمية ، والازراء بها عبر الانتقاد الحاد والتهكم اللاذع ، فى مقابل الإعلاء من شأن الحكم العربى والانتصار له عن قناعة صادرة عن موقف سياسى صائب ، باعثه الاعتزاز بالعروبة ، والرغبة الصادقة فى استعادة المجد العربي العريق ، بيد أن ذلك قد أتى على نحو نسبى ، فمع تسليمنا بأن الموضوعية تقتضينا أن نسلم بتوافر نزعة العروبة لدى المتنبى الذى كان فى عهده شاعر القومية العربية – إن جاز لنا هذا التعبير – أقول : مع تسليمنا بذلك فإنه لا يتسنى لنا أن نتغافل عن تلك التحولات المغايرة لموقفه السالف غب رحيله

عن سيف الدولة ، حيث لم يتورع شاعرنا عن مديح العجم ، ومنهم كافور ودلير وعضد الدولة ، حيث حل المتنبى ببلاط البويهيين الديالمة فى مدينة شيراز[٢٢٨] [٢٢٨] ببلاد فارس ، ومعلوم أن البويهيين قد بسطوا نفوذهم – فى العصر العباسى – على جنوب فارس والعراق ، واستمر حكمهم أكثر من قرن من الزمان (من سنة ٣٢٠هـ حتى سنة ٤٤٧هـ) وكان مؤسسو الدولة البويهية ثلاثة هم : على (الملقب بعماد الدولة) وحسن (الملقب بركن الدولة) وأحمد (الملقب بمعز الدولة) وكان الاستيلاء على بغداد فى ظل أجواء سياسية مهيأة ، حيث كان الخليفة العباسى يعصف به الوهن ، أما الأمراء والقادة الترك فقد كانوا منقسمين على أنفسهم ، وكان الخلاف يشتجر بينهم ، وبعد أن دانت بغداد للبويهيين دانت لهم سائر أرجاء العراق ليكون الشأن السياسى للخلافة العباسية مزريًا ، فالخليفة مجرد رمز يفتقر إلى النفوذ الفعلى والفاعلية السياسية التى تدعم شرعية حكمه ، وقد تولى مقاليد الحكم عضد الدولة (ابن ركن الدولة) خلفًا لعمه (عماد الدولة) واستمر حكمه مدة طويلة (من سنة ٣٣٨هـ حتى سنة ٣٧٣هـ) وقد اضمحل نفوذ هذه الدولة فى إثر وفاته فلم تعد ممثلة – فى الخريطة السياسية – إلا فى العراق ، وإذا كان مما يؤخذ على الدولة البويهية إثارة الثعرات الطائفية فإن مما يُحسب لها عناية حكامها بالأدب وذويه الذين وجد بعضهم سبيله إلى دواوين الإنشاء والإدارة ، بل إن من الوزراء من كان أديبًا ، ومن هؤلاء إسماعيل بن عباد ، وابن العميد ، ومهما يكن من أمر فإن المتنبى لم يأب النزول لدى البويهيين ومدحهم ، ففى سنة ٣٥٤هـ حل ببلاط عضد الدولة ومكث لديه ثلاثة أشهر مكرسًا لمديحه سبع قصائد (فضلاً عن مرثية لعمته) والسؤال الذى يثور الآن : هل كان المتنبى فى ذلك يناقض نفسه فى موقفه المنوط بالحكام العجم؟ وهل يمثل ذلك ردة فكرية ونكوصًا سياسيًا لديه ؟ لعلنا نستطيع تبرير ما حدث بأن شاعرنا قد بهرته الشخصية السياسية المهيبة لعضد الدولة ، ولعله قد رأى فيه صورة لممدوحه الأسبق الأثير سيف الدولة الحمدانى ؛ فكلاهما يتمتع بالنفوذ السياسى ، ويتسم بالبأس والفروسية

والبطولة الحربية ، ويتبوأ المنزلة المرموقة ، وكلاهما أيضًا يقدر الشعراء جيدًا ، كما كان عضد الدولة بصيرًا بالشعر ، بل كان يقرضه ، بيد أن بعض المصادر التاريخية المعتبرة تقفنا على أن هذا الملك البويهي – وهو آخر ملك مدحه المتنبى فى حياته الشعرية – كان خصمًا لدودًا للحمدانيين (٢٢٩) (٢٢٩) ومنهم ممدوحه الشهير سيف الدولة الذى وصفه المتنبى بأنه (أمير العرب) (٢٣٠) (٢٣٠) والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : هل بادر المتنبى إلى مديح عضد الدولة عن قناعة تامة أم نكاية بسيف الدولة الذى خذله قبل مغادرته إياه (وذلك على نحو ما صنع من قبل مع خصمه كافور الذى مناه بالحكم)؟ ليس بمستبعد أن يكون مديحه لعضد الدولة مديحًا كيديًا يتغيًا صاحبه إثارة حنق سيف الدولة وإذكاء غيظه .

ومهما يكن من أمر فقد خرج المتنبى إلى فارس فى سنة ٣٥٤هـ(٢٣١) أى فى السنة الأخيرة من حياته ، وكان فى هذه الرحلة ملبيًا لدعوة ابن العميد – وزير البويهيين – الذى كتب إليه يستزيره ، ولعل أبرز البواعث على ذلك إدراكه جدوى الشعر فى مضمار الدعوة السياسية ، إذ يعد آلية إعلامية قوية التأثير ولاسيما شعر المتنبى المتسم بشهرة واسعة النطاق وسيرورة فذة ، ولم يأت ذلك من فراغ ؛ فصاحبه ذو عبقرية شعرية نادرة ، وقد مدح ابن العميد ببعض القصائد التى تبرز مآثره ، وتعلى من شأنه فى دنيا السياسة ، وقال فى إحداها :

**مَنْ مُبلِغُ الأَعْرَابِ أَنِّى بَعْدَها شَاهَدْتُ رَسْطَا لِيسَ والإسْكَنْدَرا** (٢٣٢)

وهنا يشيد المتنبى بحكمة ممدوحه وعلمه وعظمة ملكه ونفوذه السياسى ، موظفًا علمين مبرزين فى تقريظه إياه ، بيد أنه ذكر الأعراب فمَن يقصد بهم ؟! وهل يتغيا التعريض بسيف الدولة ومَنْ إليه من عرب شمال الشام ؟! .

فى تقديرى أنه إنما أقدم على ذلك استرضاء لممدوحه وزير البويهيين الذين كانت بينهم وبين سيف الدولة علاقات سياسية يشوبها التوتر والاضطراب .

ولأن الهم السياسى كان ذا أثر جد عظيم فى حياة شاعرنا فإنه وهو لدى ابن العميد فى أرجان لم يتخل عن حلمه الأكبر (الولاية) الذى سعى جاهدًا لتحقيقه فى الشام ومصر دون جدوى ، وها هو ذا فى إحدى بلاد فارس لا

ينى هذا الحلم يداعب خياله ويراوده فإذا به يطلب من ممدوحه – ابن العميد – المدد الحربى الذى يهيئ له السبيل لبلوغ أمنيته السياسية العظمى ، ولنر قوله :

**إنْ لَـمْ تُغِثْنِـى خَيْلُـهُ وسِـلاَحُهُ　　فَمَتَـى أَقُـودُ إلَـى الأعَـادِى عَسْكَرا ؟**[٢٣٣]

ومن مديح المتنبى لابن العميد – الوزير – قوله :

**يَتَكَسَّـبُ القَصَـبُ الضَّـعِيفُ بِكَفِّـهِ　　شَـرَفًا عَلَـى صُـمِّ الرِّمَـاحِ ومَفْخَـرَا**

**ويَـبِينُ فِيمَـا مَـسَّ مِنْـهُ بَنَانُـهُ　　تِيـهُ المُـدِلِّ فَلَـوْ مَشَـى لَتَبَخْتَـرا**

**يَـا مَـنْ إذَا وَرَدَ الـبِلَادَ كِتَابُـهُ　　قَبْـلَ الجُيُـوشِ ثَنَـى الجُيُـوشَ تَحيُّـرا**[٢٣٤]

وبادٍ هنا أن المتنبى كان معنيًا بمراعاة الكلام لمقتضى الحال ، متوخيًا إحداث الاتساق بين المديح والممدوح ، فلم يكن أبو الفضل محمد بن العميد شخصية سياسية مرموقة فحسب ، وإنما طبقت شهرته الآفاق فى مضـمار الكتابة ، ومن هذا المنطلق فقد توخى المتنبى أن ترد معطيات مديحه متسقة مع طبيعة ممدوحه الذى يبدو سياسيًا بارعًا ، يدبج يراعه كلامًا ذا تأثير ليس بقال عن تأثير الخميس فى ساحة الوغى ، فالمردود المتواشح بالقوة الأدبية يعادل مردود القوة الحربية ، وفيه تعزيز للشأن السياسى للدولة التى يتبـوأ فيها أسمى منصب سياسى بعد منصب الحاكم ، ولذا فلا غرو أن يزهو قلمه ويتيه ويبدو مدلاً ، وقد كان ثمة قائد اسمه ابن بلكا ، جنح إلى العصـيان ، فما كان من ابن العميد إلا أن أرسل إليه رسالة بليغة قوية التـأثير ، كـان مردودها عدول هذا القائد عن التمرد ، وقد وظف المتنبى ذلك ، حيث أومأ إليه فى قوله مخاطبًا ابن العميد :

**أَنْـتَ الوَحِيـدُ إذَا ارتَكَبْـتَ طَرِيقَـةً　　ومَـنِ الرَّدِيـفُ وقَـدْ رَكِبْـتَ غَضَـنْفَرا**

**قَطَـفَ الرِّجَـالُ القَـولَ وَقْـتَ نَبَاتِـهِ　　وَقَطَفْـتَ أَنْـتَ القَـوْلَ لَمَّـا نَـوَّرَا**

**فَهُـوَ المُشَـيَّعُ بالمَسَـامعِ إنْ مَضَـى　　وَهُـوَ المُضَـاعَفُ حُسْـنُهُ إنْ كُـرِّرا**

**وإذا سَـكَتَّ فَأَنْـتَ أَبلَـغُ خاطِـبٍ　　قَلَـمٌ لَـكَ اتَّخَـذَ الأَصَـابِعَ مِنْبَـرا**

**وَرَسَـائِلٌ قَطَـعَ العُـدَاةُ سِـحَاءَها　　فَـرَأَوا قَنًـا وأَسِـنَّةً وسَـنَوَّرا**

**فَـدَعاكَ حُسَّـدُكَ الـرَّئِيسَ وأَمسَـكُوا　　ودَعَـاكَ خَالِقُـكَ الـرَّئِيسَ الأكْبَـرا**

خَلَفَتْ صِفَاتُكَ فِي العُيونِ كَلاَمَهُ كَالخَطِّ يَملأُ مِسْمَعَي مِنْ أَبْصَرا (٢٣٥)

وهنا يعزف الشاعر على قيثارة الإشادة بابن العميد السياسى المحنك الذى يحسن تصريف الأمور وإدارة الأزمات موظفًا ملكته الأدبية عبر الرسائل التى تتسم بجزالة ألفاظها وروعة بلاغتها وقوة وعيدها بحيث تؤتى ثمارها المنشودة ، وتغنى عن التذرع بالقوة الحربية ؛ فشأنها شأن السلاح الفعال ، بفضل حسنها وكمالها وشدة تأثيرها ، حتى إن خصوم صاحبها ليدعونه (الرئيس) وقد توافرت فيه الصفات الحميدة التى آثره الخالق بها على سائر الرؤساء ، فهو أفضلهم، وإن لم يَأت تفضيله لفظًا ، فهذه الصفات النبيلة تنوب مناب الكلام حيث تضطلع بدوره، ويُستوعب منها ما يُستوعب منه، فهى كالخط الذى تراه العين وله تأثير الكلام المسموع.

وإذا كان المتنبي قد لبى دعوة ابن العميد – وزير عضد الدولة – وذهب إليه فى أرجان ، فإن عضد الدولة قد وجه إليه الدعوة – وهو بشيراز – فلباها ، وتوخى مديحه على نحو لم تتوار منه بصمة المنحى السياسى ، ولنا أن ننعم النظر فى قوله :

وَلِّ السَّلاطينَ مَنْ تَولاَّهَا والَجأ إليهِ تَكُنْ حُدَيَّاها (٢٣٦)

فالخطاب هنا واش بتطلع الشاعر إلى الحكم ، وإذا كان الممدوح يهب سواه بعض الولايات فإنه لقمين به أن يهب المتنبي أيضًا وهو الساعي فى دأب ونهم نحو تحقيق هذا المجد السياسي المرموق .

وقال المتنبي فى سياق مديح عضد الدولة :

وقَدْ رَأَيْتُ المُلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلاَهَا

وَمَنْ مَنَايَاهُمُ بِرَاحَتِهِ يَأمرُهَا فِيهِم وينهاهَا

أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضُدَ الـ ـدَّولَةِ فَنَّاخُسْرُو شَهَنْشَاهَا

أَسَامِيًا لمْ تَزِدْهُ مَعرِفَةً وإنَّمَا لَذَّةً ذَكرنَاهَا (٢٣٧)

وقد بلغت المبالغة بالمتنبي هنا مبلغًا عظيمًا ؛ إذ فضل ممدوحه – الأعجمي – على سائر الملوك ، جاعلاً إياه (مولاها) مبرزًا سمو مكانته

الفذة ، وتطرد المبالغة حين يجعل المنايا بيد هذا الحاكم الذى صرح باسمه (فناخسرو) بعد أن ذكر لقبه (عضد الدولة) وكنيته (أبا شجاع) ثم جعله ملك الملوك أو الملك الأعظم عبر توظيف مفردة لغوية فارسية الأصل (شاهنشاه) ولم يتورع الشاعر عن التصريح بتلذذه بذكرما ذكر ، فأين النزعة العربية هنا ؟ أم أننا إزاء شاعر متكسب غايته تبرر وسيلته ؟! .

إن شعر المتنبي ليعكس جدلية العلاقة بين الإبداع الشعرى والسلطة السياسية القائمة على نحو لا تغيب عن المشهد فيه التحولات الموقفية التى تمثل ضربًا من المفارقة الصارخة أحيانًا .

وفى لامية مدح بها المتنبي عضد الدولة نعته بأنه (ملك الملوك) :

**مَـــا كُنْـــتِ فَاعِلَـــةً وَضَـــيْفُكُم مَلِـــكُ المُلُـــوكِ وشَـــأنُكِ البَخَـــلُ** (٢٣٨)

وقال فى شأنه أيضًا :

**مَلِـــكٌ إذا مَـــا الـــرُّمحُ أدركَـــهُ طَنَـــــبٌ ذَكَرْنَـــــاهُ فَيَعْتَـــــدِلُ**

**إنْ لمْ يَكُـــنْ مَـــنْ قَبْلَـــهُ عَجَـــزُوا عَمَّـــا يَسُـــوسُ بِـــهِ فَقَـــدْ غَفَلُـــوا**

**حَتَّـــى أَتَـــى الـــدُّنيا ابـــنُ بَجْـــدَتِهَا فَشَـــكَا إِليـــهِ السَّـــهْلُ والجَبَـــلُ** (٢٣٩)

ويتمحور التقريظ هنا حول ما أضفاه هذا الممدوح – الملك – على ملكه من استقرار واستقامة شأن ، بفضل اعتداله فى تسيير شئون الحكم وحسن تدبيره وسداد رأيه ، مما جعله ذا هيبة تتخطى الرعية إلى الرماح ، فالرمح ذو الأود متى سمع اسمه غدا معتدلاً ، وقد بز سالفى الملوك فى إدارة الحكم ، حيث غفلوا ولم يهتدوا إلى عظيم سياسته إن لم يكونوا عاجزين عن مضاهاته فى الحزم والمقدرة والكفاءة السياسية ، وهو إذ حيزت له الدنيا لذو حنكة تجعله على دراية بشتى الشئون ، متسمًا بالقدرة على رأب الصدع وإصلاح الفساد ، فلا غرو أن شكا إليه سهل الأرض وجبلها ، وقد جاءت هذه الأبيات مغلفة بالمبالغة غير المستساغة .

وتقفنا الخلفية التاريخية على أن عضد الدولة قد أحرز الانتصار على وهشوذان بن محمد الكردى بالطرم(٢٤٠) (٢٤١) بعد قيام ركن الدولة – أبي

عضد الدولة – بإنفاذ جيش إليه من الرى فى عام ٣٥٤هـ حيث تم قهر هذا الخصم ، وانتزاع بلده ، وفى لامية مدح بها المتنبي عضد الدولة عمد إلى استثمار هذا الحدث الحربي ذى الخلفية السياسية ، إذ قال :

وَإِذا القُلُوبُ أَبَتْ حُكومَتَهُ ... رَضِيَتْ بِحُكْمِ سُيوفِهِ القُلَلُ
وإِذَا الخَمِيسُ أَبَى السُّجُودَ لَهُ ... سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ القَنَا الذُّبُلُ
أَرضِيتَ وَهْشُوذانُ مَا حَكَمَتْ ... أَمْ تَسْتَزِيدُ لِأُمِّكَ الهَبَلُ
وَرَدْتَ بِلاَدَكَ غَيْرَ مُغْمَدَةٍ ، ... وكَأَنَّهَا بَيْنَ القَنَا شُعَلُ
والقَومُ فِى أَعيَانِهِمْ خَزَرٌ ، ... والخَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبَلُ (٢٤١)
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بِمَنْ أَتَوْا قِبَلٌ ... بِهِمْ ولَيْسَ بِمَنْ نَأَوْا خَلَلُ
لَمْ يَدْرِ مَنْ بِالرَّىِّ أَنَّهُمُ ... فَصَلُوا ولا يَدْرِى إِذَا قَفَلُوا (٢٤٢)
فَأَتَيْتَ مُعتَزِمًا ولاَ أَسَدٌ ، ... وَمَضَيْتَ مُنْهَزِمًا وَلاَ وَعِلُ
تُعْطِي سِلاَحَهُمُ وَرَاحَهُمُ ... مَا لَمْ تَكُنْ لِتَنَالَهُ المقَلُ (٢٤٣)
أَسْخَى المُلُوكِ بِنَقْلِ مَملَكَةٍ ... مَنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ
لَوْلاَ الجَهَالَةُ مَا دَلَفْتَ إِلَى ... قَوْمٍ غَرِقْتَ وإِنَّمَا تَفَلُوا
لا أَقْبَلُوا سِرًا ولا ظَفِرُوا ... غَدْرًا ولا نَصَرَتْهُم الغِيَلُ (٢٤٤)

إن الممدوح ليفرض هيبته على سواه بفضل بأسه وإقدامه وقوة جيشه وكثرته العددية ، ولابد للآخر أن يرضخ له سواء أشاء ذلك أم أبى ، ومن هذا المنطلق فإن وهشوذان قد انصاع صاغرًا ، مستشعرًا الوهن والهوان بعد وصمه بالهزيمة ، وهو مَنْ أتى كالليث موهمًا بقوة العزم ، وكان التطلع إلى الملك يحدو ركابه ، فإذا به يولي دبره منهزمًا وكأنه الوعل ، وما حدث منه ينم عن حمقه وجهله ، فأنى له أن ينال من قوم يتسنى لهم قهره بأدنى قتال – لكثرتهم وقوتهم – ؟! بل إن حسبهم أن يتفلوا عليه لإغراقه ، وإذا كان البويهيون قد أحرزوا النصر المبين على وهشوذان وظفروا بالغنائم وأشاعوا الردى فى صفوف جيشه ، فإن هذا النصر غير معزو إلى التعويل

على السرية والمفاجأة والغدر إبان المجابهة الحربيـــة ، وأرى أن الأبيـــات السالفة قد لاحت فى بعضها المبالغة على نحو بيِّن .

ويعكس شعر التيار السياسى لدى المتنبي عنايته – فى مديحه لعضـــد الدولة – بهذا الحدث غير مرة ، وقد قال فى قصيدة أخرى كرسها لمديح هذا الممدوح :

يَـــا عَضُـــدًا رَبُّـــهُ بِـــهِ العَاضِـــدْ ... وسَـــارِيًا يَبْعَـــثُ القَطَـــا الهَاجِـــدْ
وَمُمطِـــرَ المَـــوْتِ والحَيَـــاةِ مَعًـــا ... وأَنْـــتَ لا بَـــارِقٌ ولا رَاعِـــدْ
نِلْـــتَ ومَـــا نِلْـــتَ مِـــنْ مَضَـــرَّةٍ وَهْـــ ... ـــشُوذانَ مَـــا نَـــالَ رأيُـــهُ الفَاسِـــدْ
... مَـــا كَانَـــتِ الطَـــرْمُ فِـــى عَجَاجَتِهَـــا ... إلاَّ بَعِـــيرًا أَضَـــلَّهُ نَاشِـــدْ
تَسْـــأَلُ أَهْـــلَ القِـــلاَعِ عَـــنْ مَلِـــكٍ ... قَـــدْ مَسَّـــخَتْهُ نَعَامَـــةً شَـــارِدْ (٢٤٥)
تَسْـــتَوحِشُ الأَرضُ أَنْ تَقِـــرَّ بِـــهِ ... فَكُلُّهَـــا مُنكِـــرٌ لَـــهُ جَاحِـــدْ
فَـــلاَ مُشَـــادٌ ولا مُشِـــيدٌ حَمَـــى ... ولا مَشِـــيدٌ أَغْنَـــى ولاَ شَـــائِدْ
فَـــاغْتَظْ بِقَـــومٍ وَهْشُـــوذَ مَـــا خُلِقُوا ... إلاَّ لِغَـــيْظِ العَـــدُوِّ والحَاسِـــدْ
رَأَوكَ لَمَّـــا بَلَـــوكَ نَابِتَـــةً ... يَأكُلُهَـــا قَبْـــلَ أَهلِـــهِ الرَّائِـــدْ
وَخَـــلِّ زِيَّـــا لِمَـــنْ يُحَقِّقُـــهُ ... مَـــا كُـــلُّ دَامٍ جَبِينُـــهُ عَابِـــدْ (٢٤٦)

وهنا يتجلى الشاعر منوهًا ببسالة عضد الدولـــة وفروســـيته وهيبتـــه وسداد رأيه وتأييد الله له ، وفى مقابل ذلك يبدى تهكمه بخصمه السياسي – وهشوذان – ذى الرأى الفاسد الذى سول له الإقدام على الوغى فكاده أكثـــر من كيد عضد الدولة له ، وحاقت به الهزيمة المنكرة ، وخلَّف ملكه مـــؤثرًا النجاة بروحه ، فهو واهن رعديد ، وقد غدا أضحوكة إذ بدا فـــى ســـرعة فراره كالنعامة الشرود ، وتفاقم لديه الإحساس بالوحشة فى إثر إنكار أرجاء البسيطة له ، ولم تجده حصونه شيئًا ، ولعلنا نلحظ أن الشاعر قد عمد إلـــى الترخيم عبر نداء وهشوذان (بحرف نداء محذوف) مبرزًا ما حل بـــه مـــن غيظ جم على يد عضد الدولة المنتمي إلى قـــوم ذوى كفـــاءة فـــى إغاظـــة الخصوم والحساد ، وكان من الأحرى بوهشوذان أن يدع زى الملوك لمـــن هو حرى به ، فليس كل مَن ارتداه ملكًا حقيقيًا ، كما أنه لـــيس بشـــرط أن

يكون كل مَن دمي جبينه كثير السجود والعبادة ، فقد يكون المظهر غير منبئ عن المخبر ، فوهشوذان ضعيف كالنبت المأكول ، وما أنآه عن الكفاءة السلطوية ، ولا ريب فى أن المتنبي فى هذا المسلك المقترن بخلفية سياسية كان يروم نيل رضا ممدوحه السياسى اللامع ، بيد أن علينا أن نضع الأمور فى نصابها الصحيح ، حيث إن " من الحق أنه لم يتعمق فى شعره سياسة عضد الدولة كما تعمق سياسة سيف الدولة وسياسة كافور ، ولكنه مع ذلك قد ألم بطرف من أطرافها فوصف فى قصيدتين ثورة الأكراد على البويهيين وانتصار هؤلاء عليهم " (٢٤٧) .

إن شعر المتنبي فى عضد الدولة لم يكن متسمًا بما كان عليه فى سيف الدولة وكافور من عمق وثراء فني ، وأرى أن وراء ذلك عامل السرعة ، والدليل على ذلك أنه قد نظم لدى عضد الدولة ثماني قصائد (سبع منها فى المديح) فى ثلاثة أشهر فحسب ، وانصرفت مدائحه ذات الصبغة السياسية فى بعض الأحيان إلى هجاء خصم ممدوحه على نحو غير متميز من المنظور الفني ، وهو فى هذا مغاير لما كان عليه الشأن فى المرحلتين الحلبية والمصرية اللتين تميزنا كما وكيفًا ، واستغرقتا سنوات طوالاً فى تنامٍ ملحوظ ونضج فني ملموس .

**ظواهر لافتة فى شعر التيار السياسى لدى المتنبى :**

**١- المبالغة :**

تشكل المبالغة ظاهرة لافتة فى شعر العصر العباسي ، ولعل هذا ما حدا بأحد الباحثين إلى تكريس دراسة للوقوف على أبعادها لدى شعراء هذا العصر (٢٤٨) .

وتمثل المبالغة آلية أكثر المتنبي من التعويل عليها فى شعر التيار السياسي ، وقد سعي من خلالها إلى بلوغ التأثير النفسي الإيجابي والظفر برضا ممدوحيه وسواهم من متلقي شعره ، ومن تجليات المبالغة قوله مخاطبًا ممدوحة سيف الدولة :

**أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَهَا فَلَوْ دَعَوْتَ بِلا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ**(٢٤٩)

وهنا يبدو الممدوح ذا بأس وهيبة بالغين ، حتى إن دماء خصومه ترضخ له :

وفى موضع آخر يجعل دائرة ملكه مناداحة إلى حد بعيد ، وليس أدل على ذلك من تجاوزها دائرة البشر لتلج إلى دائرة الدهر ، وينبسط ملكه ليشمل الأرض والسماء ، فما يكون من شأن الشمس سوى أن تكن الحسد ، وإنه لذو اسم على مسمى ، والنصر حليفه دائمًا ، وليس له مثيل :

**إِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ القُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرضِهِ وسَمائِهِ**

**الشَّمْسُ مِنْ حُسَّادِهِ ، والنَّصْرُ مِنْ قُرَنَائِهِ ، والسَّيْفُ مِنْ أَسْمائِهِ**

**... مَضَتِ الدُّهورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزْنَ عَنْ نُظَرَائِهِ**(٢٥٠)

ومن دلائل الاتكاء على توظيف المبالغة أيضًا قول المتنبى فى معرض مديح سيف الدولة:

**تَظَلُّ مُلُوكُ الأَرضِ خَاشِعَةً لَهُ تُفَارِقُهُ هَلْكَى ، وتَلقَاهُ سُجَّدَا**(٢٥١)

وهنا يعن الممدوح ذا بأس وبطش شديدين ، ينجم عنهما خشوع سائر الملوك له ؛ فرقًا منه ، فلا يكون منهم سوى السجود لدى لقائه ؛ خشية انتقامه المقترن بالردى ، وبادٍ هنا أن المبالغة قد بلغت حد الغلو غير المستساغ ، ولعل ما يشفع للشاعر أنه قد كان مولعًا بتمجيد سيف الدولة ذى الشخصية السياسية اللامعة ، وقد عبر عن موقفيه الفكرى والوجداني حياله مستعينًا بالمبالغة التى تتجلي أيضًا فى قوله جاعلاً إياه فى غنى عن الخميس ، فحسبه بأسه وإقدامه فى الصراع الحربي المحتدم :

**فَنَحْنُ الأُلى لا تَأتلِي لَكَ نُصْرَةً وأَنْتَ الَّذِى لَو أَنَّهُ وَحْدَهُ أَغْنَى**(٢٥٢) (٢٥٣)

ومن مظاهر التعويل على المبالغة فى شعر المتنبي ذى الطابع السياسي قوله مخاطبًا سيف الدولة لدى ظفره ببني كلاب غب تمردهم :

وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا ... فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلاَبُ

وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً ولكِنْ ... يُعَافُ الوِردُ والمَوْتُ الشَّرَابُ

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الأَمْوَاهِ حَتَّى ... تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

... وَأُسْقِطَتِ الأَجِنَّةُ فِى الوَلاَيَا ... وَأُجْهِضَتِ الحَوَائِلُ والسِّقَابُ (٢٥٣)

إن الشاعر يتغيا هنا إبراز قوة ممدوحه وهيمنته ومردودهما ، بيد أنه حلق فى فضاء المبالغة إذ جعله يملك نفوس الإنس والجن معًا ، ومن هذا المنطلق فإنه ليس بمتأت لبنى كلاب التجرؤ عليه بالتمرد ؛ لعلمهم ببأسه وقدرته على البطش بهم ، وهو مَن اقتفى أثرهم طالبًا إياهم على الأمواه ، فإذا بالسحاب قد اعترته الخشية من أن يفتشه ، وعانت الحوامل مرارة الإجهاض ، وليس من ريب فى أن مضمون هذه الأبيات لم يخل من مبالغة فجة تناقض معطيات الواقع فى جلها ، فتمجها ذائقة المتلقي الحصيف الذى يؤثر الموضوعية والإنصاف .

ومن تجليات المبالغة فى شعر المتنبي قوله مادحًا سيف الدولة :

يَا مليكَ الوَرى المفَرِّقَ مَحيًا ... ومَماتًا فِيهِمِ وَعِزًّا وذلاَّ (٢٥٤)

وليس بخافٍ ما بلغه الشاعر من غلو هنا ؛ حيث جعل الممدوح مليكًا للأنام قاطبة ، يصرف فيهم شئون الحياة والموت والعز والهوان .

وتبدو المبالغة فى قول المتنبي مخاطبًا ممدوحه سيف الدولة الذى قهر خصومه السياسيين (الروم) فى معركة حامية الوطيس :

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ ... سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ (٢٥٥)

ثم قوله فى القصيدة نفسها :

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ والنُّهَى ... إِلَى قَولِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالغَيْبِ عَالِمُ (٢٥٦)

والمبالغة فى البيت الأول من هذين البيتين قد تكون مستساغه لاستعانة الشاعر بحرف التشبيه الناسخ (كأن) بيد أنها ليست كذلك فى البيت الثاني ؛ فالله – جل ثناؤه – عالم الغيب وحده ، حيث ورد فى بعض آى الذكر الحكيم قول المولى – تبارك وتعالى- :﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾(٢٥٧) .

والمتنبي يطالعنا – عبر البيت الثاني – خالعًا على ممدوحه صفة مناقضة للواقع والحقيقة ، والباعث هنا نفسي متمحور حول نشدان استرضائه ، وإضفاء هالة القداسة عليه ، ليبدو جامعًا بين الكفاءتين : الحربية والسياسية بفضل بعد نظره وحسن تدبيره .

وإذا كانت المبالغة قد وجدت سبيلها إلى شعر التيار السياسي لدى المتنبي فإن هذا لا يعني خلوه من ملامح النزعة الواقعية ، حيث تضافرت فى هذا الضرب من الشعر المبالغة والواقعية لدى شاعرنا الذى يجنح فى شعره إلى المفارقة ويوظفها ببراعة .

**٢- المفارقة :**

لاحت ظاهرة المفارقة فى شعر المتنبي ذى الطابع السياسى على نحو مكثف ، وقد اقترنت المفارقة – فى كثير من الأحيان – بالتهكم ، والتهكم " إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب وغيره ، أو تعريضًا بقوة المحرك للغضب ، وأصله من تهكمت البئر تهدمت " (٢٥٨).

ويعنى مقتضى الحال تلك " الصورة التى يورد عليها الكلام أو هو الخصوصية التى يقتضيها المقام ... فلمقتضى الحال خصوصيات وصفات قائمة بالكلام "(٢٥٩).

وللتهكم أنماط عديدة ، فمنه ما ينصرف إلى إبراز المثالب النفسية أو الجسدية للآخر ، ومنه التهكم الذاتي الذى يكون فيه المتهكم معنيًا ببلورة سلبياته ، وثمة أيضًا التهكم الاجتماعي ، على أن التهكم السياسي – المنوط بالآخر – هو ما يعنينا فى هذا المقام ، ونلفي له غير أثر " فهو تنفيس عن المظلومين المكبوتين ، وراحة لأنفسهم ، وثأر وقصاص ، وهو ردع

للظالمين ، وعظة لغيرهم وتأديب ، كما أنه سجل للحالة السياسية "[٢٦٠] [٢٦١] .

وأبرز الذين طالهم تهكم المتنبي – فى إطار المفارقة – كافور حاكم مصر الذى عني الشاعر أيما عناية بالإزراء به بل مسخه عبر تضخيم عيوبه الخِلقية ومثالبه الخُلقية والنفسية ، وكان ممن طالهم تهكم المتنبي أيضًا العرب المتخاذلون والحكام العجم وقادة الروم .

ومن تجليات المفارقة فى شعر المتنبي قوله معرضًا بكافور قادحًا إياه :

**لَوْ كَانَ ذَا الآكِلُ أَزوادَنَا ضَيْفًا لأَوسَعْنَاهُ إِحْسَانَا**

**لكِنَّنَا فِي العَيْنِ أَضْيَافُهُ يُوسِعُنَا زُورًا وبُهْتَانَا**[٢٦١]

إننا بين يدى موقف مترع بالتناقض ، مفعم بالغرابة ، يبدو فيه الحاكم الأجنبي الدخيل (كافور) بمنزلة صاحب البلد ورب البيت ، أما أصحاب البلد فيبدون كالضيوف الذين لا يظفرون بالقرى ، فحسبهم ما يلفونه من زور وبهتان ، فهو يهيمن على مقاليد الأمور ، ويحكم قبضته على زمام الحكم ، وقصارى وكده تلك الوعود الزائفة التى لا تجدى فتيلاً ، وجلي أن المفارقة هنا إنما هى (مفارقة الموقف) وقد تواشجت بالتهكم اللاذع .

وتلوح مفارقة الموقف مقترنة بالتهكم أيضًا عبر قول المتنبي معرضًا بكافور فى ميمية مدح بها على بن إبراهيم التنوخي :

**بِكُلِّ أَرضٍ وَطِئْتُهَا أُمَمٌ تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمُ**

**يَسْتَخْشِنُ الخَزَّ حِينَ يَلمسُهُ وكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ القَلَمُ**[٢٦٢]

إن ملامح المفارقة جد جلية هنا عبر الموقف المنطوى على التناقض الحاد بين ماضٍ وحاضر ، لنرى ذلك الذى كان عبدًا حقير الشأن طويل الأظفار على نحو يسوغ برى القلم بها وهو حافٍ حال مشيه ، قد تولى بغتة حكم العرب الذين هيمن عليهم التخاذل والتشرذم فبدوا كالغنم تحت سيطرة ذلك العبد الذى تسول له نفسه التنكر لماضٍ مخزٍ ، نازعًا إلى الاستعلاء

الذى يتخذ من مظاهره استخشانَ الحرير فى ظل تلك الحياة الرغدة التى أتيح له أن ينعم بها بعد طول هوان .

وقال المتنبي فى ميمية هجا بها كافورًا :

تَشَابَهَتِ البَهَائِمُ والعِبِدَّى عَلَيْنَا والمَوَالِي والصَّمِيمُ

ومَا أَدْرِي أَذَا دَاءٌ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمُ

حَصَلْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الحُرَّ بَيْنَهُم يَتِيمُ (٢٦٣)

إن المتنبي ليستقرئ معطيات المشهد السياسي فينتابه السخط على ما هو قائم ، وتثير أساه سيطرة العجمي على مقاليد حكم العربي ، وتتداح دائرة المأساة السياسية لديه إذا كان هذا الحاكم العجمي عبدًا ، وكأن الأحرار قد انقرضوا أو تقلص عددهم بعد طغيان العبيد وهيمنتهم ، وإن الشاعر الساخط على الحكم الأجنبي للعرب ، الذى يأباه كل الإباء ، ليبوح برأيه الذى يزرى بالعبيد والموالي ، فلا تباين لديه بين الأنعام والعبيد ، والموالي والصميم (أى الحر خالص النسب صريحه) والمفارقة لائحة عبر الأبيات الآنفة ، وهى مرتكزة على (بنية التعدد) التى تجلى من خلالها تضافر : البهائم ، العبدى ، الموالي ، الصميم ، حديث ، قديم ، عبيد ، والحر ، ولامراء فى أن الخلفية السياسية كامنة وراء هذا القدح الذى استهدف فيه المتنبي سياسيًا من دهاة السياسة – كافور – لأنه حال دون بلوغه (الولاية) بعد أن مناه ، فالهجاء هنا بدافع سياسي محض ، ومبتغى صاحبه الكيد ، وهذا الشأن سارٍ أيضًا على قوله :

وَتُعجِبُنِي رِجْلاكَ فِى النَّعْلِ ، إنَّنِي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إذْ كُنْتَ حَافِيَا

وإنَّكَ لا تَدْرِي ألونُكَ أَسْوَدٌ مِنْ الجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبِيضَ صَافِيَا(٢٦٤)

وهنا يبرز الهاجي حقارة مهجوه (السياسي) عبر تهكمه من جهله وحمقه اللذين يحولان دون قدرته على التمييز بين السواد والبياض ، وبادٍ

هنا التعويل على طباق الإيجاب عبر المفارقة التى عنت من خلالها السخرية الحادة .

وفى بعض الأحيان ينحو المتنبي إلى توظيف (مفارقة الموقف) على نحو ما يتجلى فى قوله قادحًا كافورًا :

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ ... وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا

بِهَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ ... يُدَرِّسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الفَلاَ

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ ... يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى

... وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ... رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لاَ يَرَى[٢٦٥]

إن هذه الأبيات لتحمل فى طياتها السخرية اللاذعة التى يرمي صاحبها – عبر المفارقة – إلى النيل من كافور ووزيره وشعب مصر الذى يأبَ حكم هذا الأعجمي – كافور – له ، وآثر مصانعته والرضوخ له ، وكان المعول فى الشطر الثاني من البيت الأول على المفارقة المعجمية ، بينما تجلت مفارقة الموقف عبر البيت الثاني ، وتطرد المفارقة لتصل إلى البيت الثالث وكأنها دفقات موج متتابع ، ليكون مؤدى هذه الأبيات المكتنزة بالمفارقة الصارخة أن مصر بلد العجائب ، فهي مترعة بالمضحكات بيد أن الضحك هنا مضاءٍ للبكاء ، ذلك أن من اعتلى حكمها لا يعدو كونه عبدًا أسود ليس من أهل البلاد ، أما مَن استوزره – وهو ابن الفرات – فهو أعجمي أيضًا ، ويعلم المصريين أنساب العرب ذوى العلا ، مما يثير الدهشة التى مبعثها التناقض الحاد مع أفق التوقع وطبائع الأمور ، ومن عجب أن هذا الحاكم – كافورًا – ذو شفة غليظة – ضخمة – فهي نصفه – وتحاكي مشافر ذوات الخف من الأنعام ، ومع هذا القبح البيِّن فإن مَن حوله ينافقونه زاعمين أنه كالبدر ، مؤثرين الكذب الفج الذى من شأنه تزييف كنه الشأن، عبر تجميل القبح المقترن بكافور الذى جمع بين الجهل والحماقة والدمامة ،

وفى البيت الأخير تبدو المفارقة مرتكزة على طباق السلب الذى يعزز قدح المهجو السياسي .

وللمتنبي دالية مقترنة بفراره من أرض الكنانة بعد أن عيل صبره فيما يتواشج بنيل مراده السياسي (وهو الظفر بالحكم) وفيها يقول هاجيًا بدافع موصول بخلفية سياسية ، موظفًا (المفارقة الممتدة) :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعجبُهُ ... أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

أَمْسَيْتُ أَرَوحُ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا ... أَنَا الغَنِيُّ وَأَمْوَالِي المَوَاعِيدُ

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمْ ... عَنِ القِرَى وَعَنِ التَّرحَالِ مَحْدُودُ

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمُ ... مِنَ اللِّسَانِ ، فَلاَ كَانُوا وَلا الجُودُ

مَا يَقْبِضُ المَوتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمِ ... إِلاَّ وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ

مِنْ كُلِّ رِخْوٍ وِكَاءِ البَطْنِ مُنْفَتِقٍ ... لاَ فِي الرِّجَالِ وَلاَ النِّسْوَانِ مَعْدُودُ (٢٦٦)

وفى هذه الأبيات يشن المتنبي هجومًا ضاريًا على مهجوه ، ساخرًا منه على نحو ماسخ لصورته ، فهو حاكم دخيل بخيل حرى بالشنآن ؛ لما يتسم به من صفات ذميمة مقيتة ، ولا يسع الشاعر سوى التذرع بالبكاء فى مجابهة ما يحدث له من هذا الشحيح الذى كان الآخرون يحسدونه على دنوه منه فى الوقت الذى لم يظفر فيه منه سوى بالوعود – السياسية – الكاذبة ، وحظر الترحال ، فجوده قول لا فعل ، وقد جمع بين المثالب المعنوية (النفسية) والمادية ، فهو علاوة على ما سلف نتن الرائحة حتى إن الموت لا يقبض روحه إلا مستعيناً بعود ، وهو عظيم البطن كالحامل ، بيد أنه مخنث لا يندرج فى عداد الرجال ولا النساء ، وقد حملت هذه الأبيات تجليات عديدة للمفارقة الممتدة المكثفة التى جردت كافورًا من الصفات الحميدة ، وأبدته كريهًا ، وكأني بالشاعر الذى صب جام غضبه على هذا الحاكم الطالح – من منظوره – يتغيا استعادة المحكومين من العرب الوعي السياسي الذى يلهب حماسهم ، مستنفرًا إياهم للخلاص من هذا الحاكم وأمثاله من غير ذوى الأهلية السياسية .

وما أبرع تعبير الشاعر عبر البيت الثاني الذى أماط اللثام عن كنه واقعه ودافعية موقفه حيال كافور ، فهذا البيت مؤشر على الإخفاق السياسي الذريع الذى مُني به الشاعر ، والذى حدا به إلى التهكم والسخرية بعد تصديقه تلك الوعود الزائفة من قبل كافور ، مبيناً مردود ما حدث ، حيث لم يظفر بطائل فيما يتواشج بالولاية ، وقد غدت يده فى دعة وكذلك خازن ماله ، فليس ثمة ما يستدعي الصيانة ، فما الأموال سوى تلك الوعود الوهمية التى لم تتحقق ، فعصفت بالطموح السياسي لديه ، وهو الذى لم يكن يعنيه المال بقدر ما كان يعنيه الشأن السلطوى الذى كان أمنية حياته الكبرى ، وفى ضوء ذلك فهذا البيت المكثف يختزل كثيرًا من الدلالات والإيحاءات النفسية ، حيث تكمن فيه بؤرة البعد السياسي ، ويمثل مفتاح الولوج إلى استيعاب الموقف جيدًا .

وقد تقترن المفارقة بتوظيف المقابلة فى بعض شعر التيار السياسي لدى المتنبي ، ومما يمثل ذلك تلك البائية التى مدح بها سيف الدولة مومئًا إلى بناء حصن مرعش ، مقرظًا شجاعة ممدوحه ، مبرزًا هزيمة خصومه النكراء تحت قيادة الدمستق الذى لم يتورع عن الهرب :

سَرَايَاكَ تَتْرَى والدُّمُسْتقُ هَارِبٌ وأَصْحَابُهُ قَتْلَى وأَمْوالُهُ نُهْبَى

أَتَى مَرْعَشًا يَسْتَقْرِبُ البُعْدَ مُقْبِلاً وأَدْبَرَ إِذْ أَقْبلتَ يَسْتَبْعِدُ القُرْبَا[٢٦٧]

وقد قال المتنبي فى لامية مدح بها سيف الدولة الحمداني :

لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتُقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَئُولُ

نَجَوْتَ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَّفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ

أَتُسْلِمُ لِلخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هَارِبًا وَيَسْكُنُ فِى الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ[٢٦٨]

وعرج الشاعر هنا على إبراز موقف قائم على المفارقة ، وقد شهدته ساحة الوغى ، فالدمستق – قائد الروم الذين خاضوا غمار الصراع الحربي

والسياسي ضد سيف الدولة – قد لاذ بالفرار غير آبة بأن يدع ابنه أسيرًا بعد أن أسلمه لرماح خصومه ، ولا ريب فـي أن هـذا الموقـف واشٍ بجـبن الدمستق وأنانيته ، وقد أتى التعبير عن المضمون مغلفًا بالسخرية المتولـدة من (مفارقة الموقف) وهى منوطة بالدمستق الذى يثير موقفـه التعجـب ، ويجعل الأخلاء يزورون عنه بعد تضحيته بابنه ، وقد تضـافرت عناصـر عديدة فى نسج خيوط المفارقة ، حيث يتسنى لنا رصد ما يلي : هـارب ، يئول ، نجوت ، خلفت ، تسلم للخطية ... هاربًا ، وقد نهض التـآزر بـين العناصر المتناقضة بالإثراء المعنوى ، الذى بدت المفارقة من خلاله ذريعة فعالة فى إبراز المضمون .

إن سيف الدولة قد اضطلع بتبعة جلاد الـروم ، وقـد تسـنى لهـذا السياسي الهمام أن يتصدى لخطرهم الداهم ، بل أن يبث الفرق فى نفوسهم ، إلى درجة أن تلك الأصقاع التى غادرها لم تذق طعـم الأمـن ، فالرعـب مهيمن ثمة على الأفئدة ؛ خشية إيابه للانقضاض عليهم مرة أخرى ، وفـى هذا يقول شاعرنا :

**جَـازَ الـدُّروبَ إِلَـى مَـا خَلْـفَ خَرْشَـنَةٍ وَزَالَ عَنْهَـا وذَاكَ الـرَّوْعُ لَمْ يَـزُلِ**

**فَكُلَّمَـا حَلَمَـتْ عَـذْرَاءُ عِنْـدَهُمُ فَإِنَّمَـا حَلَمَـتْ بِالسَّـبْيِ والجَمَـلِ**(٢٦٩)

وهنا يتبدى طباق السلب فى إطار المفارقة ، وكذلك الشأن فى قـول المتنبي مبرزًا حماقة الروم خصوم سيف الدولة الـذين أذاق كثيـرًا مـنهم الثبور، فهدى ذلك سائرهم إلى الاعتصام بغير المنعصم :

**وَجَـاوَزُوا أَرْسَنَاسًـا مُعْصِـمِينَ بِـهِ وكَيْـفَ يَعْصِـمُهُمْ مَـا لَـيْسَ يَنْعَصِـمُ**(٢٧٠)

ويستعين المتنبي بطباق السلب عبر المفارقة أيضًا فى ميمية له جـنح فيها إلى عتاب سيف الدولة ، بيد أنه أبرز بسالته ومهابته التى لا تخفـى تداعياتها على خصومه فى المعترك السياسى ، حيث قال مخاطبًا إياه :

**قَـدْ نَـابَ عَنْـكَ شَـدِيدُ الخَـوْفِ واصْـطَنَعَتْ لَـكَ المَهَابَـةُ مَـا لا تَصْـنَعُ الـبُهَمُ**(٢٧١)

**أَلْزَمْـتَ نَفْسَـكَ شَـيئًا لَـيْسَ يَلْزَمُهَـا أَنْ لا يُـوَارِيَهُمْ أَرضٌ ولا عَلَـمُ**

أَكُلَّمَــا رُمْــتَ جَيْشًــا فَــانْثَنَى هَرَبًــا  تَصَــرَّفَتْ بِــكَ فِــى آثَــارِهِ الهِمَــمُ [٢٧٢]

ولعل ما سلف يقفنا على أن المفارقة آلية فنية أثيرة ، جنح المتنبي إلى توظيفها فى شعر التيار السياسي ؛ لتأصيل المضمون وتجليته وتعميقه وترسيخه فى أذهان المتلقين ، وكان له ما سعى إليه .

**٣- التناص :**

للتناص حضوره المكثف فى شعر التيار السياسي عند المتنبي ، وله دوره البين فى إثراء المضمون المزجى ، وله أيضًا دلالته القاطعة على وعي الشاعر وقناعته بضرورة المرجعية التراثية ، وهذا لا يعني مطلقًا انبتاته عن الواقع المعيش ، بل يعني أهمية الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى بوتقة الشعر ، وقد تعددت الأطر التناصية فى شعر المتنبي ، وأبرز الأنماط التى تلوح فيه التناص الديني ، والتناص الشعرى ، والتناص التاريخي ، وفيما يلي ما يبرهن على تعدد أنماط التناص الموظفة فى شعره، ومن ذلك قوله مادحًا سيف الدولة سنة ٣٤١هـ بعد بنائه حصن مرعش :

هَنِيئًــا لأَهْــلِ الثَّغْــرِ رَأْيُــكَ فِــيهِمِ  وأَنَّــكَ حِــزْبُ اللهِ صِــرْتَ لَهُــمْ حِزْبَــا [٢٧٣]

لقد جعل الشاعر ممدوحه هنا منضويًا تحت لواء (حزب الله) حيث ينافح عن دينه ، ومن هذا المنطلق فإن النصر حليفه ، وقد قال الله – تبارك وتعالى – : ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٢٧٤] .

وقال المتنبي واصفًا فرار الخصوم أمام القيل [٢٧٥] سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي ، وكيف ضاقت عليهم الأرض ولم يلفوا مناصًا :

وَضَــاقَتِ الأَرضُ حَتَّــى كَــانَ هَــارِبُهُمْ  إِذَا رَأَى غَيْــرَ شَــيْءٍ ظَنَّــهُ رَجُــلاً [٢٧٦]

ولعله كان ناظرًا هنا إلى قول المولى – عز وجل – فى شأن من فروا يوم حنين : ﴿ وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾[٢٧٧].

وللمتنبي بائية مدح بها كافورًا ، ومن أبياتها قوله :

كَــأَنَّ كُــلَّ سُــؤَالٍ فِــى مَسَــامِعِهِ  قَمِــيصُ يُوسُــفَ فِــى أَجْفَــانِ يَعْقُــوبِ

**إِذَا غَزَتْـــــهُ أَعَادِيـــــهِ بِمَسْـــــئَلَةٍ فَقَـــدْ غَزَتْـــهُ بِجَـــيْشٍ غَيْـــرِ مَغْلُـــوبِ** (٢٧٨)

إنه ليحتفي بسؤال قاصده احتفاء سيدنا يعقوب بقميص سيدنا يوسف – عليهما السلام – إذ رآه وسره(٢٧٩) وخصوم هذا السياسي المفضـــال متـــى قصدوه بسؤال عفو أو سواه فقد تم لهم غزوه بخميس لا يُقهر ، حيث ينالون مرادهم منه من منطلق أنه لا يرد سائله مخذولاً مهما كلفه ذلك حتى لو كان من مناوئيه السياسيين .

ويمدح المتنبى محمد بن زريق الطرسوسى مبرزًا إياه ملكًا (٢٨٠) ثم يقول :

**لَـــوْكَـــانَ ذُو القَـــرْنَيْنِ أَعْمَـــلَ رَأيَـــهُ لَّـــا أَتَـــى الظُّلُمَـــاتِ صِـــرْنَ شُموسًـــا**

**أَوكَـــانَ صَـــادَفَ رأسَ عَـــازَرَ سَـــيْفُهُ فِـــى يَـــوْمِ مَعْرَكَـــةٍ لأَعْيَـــا عِيسَـــى**

**أَوْكَـــانَ لُـــجُّ البَحْـــرِ مِثْـــلَ يَمِينِـــهِ مَـــا انْشَـــقَّ حَتَّـــى جَـــازَ فِيـــهِ مُوسَـــى** (٢٨١)

وهنا يبدو استلهام المتنبي لبعض القصص القرآنـــي – فـــى إطـــار موجز– وقد ذهب فى البيت الأول إلى أن ذا القرنين ذا الملك العظـــيم لـــو استعمل رأى ممدوحه السديد الثاقب لاستحال الظلام ضياء أمامـــه ، وهنـــا مبالغة فجة وظف فيها الشاعر مخزونه المعرفي المتواشج بدخول الإسكندر فى الظلمات ، وفى البيت الثاني استيحاء لقصة عازر – وهو من رجال بني إسرائيل وقد أحياه الله تعالى بدعاء عيسى عليه السلام له – ويذهب الشاعر إلى أن ذلك لم يكن بمتأتٍ له فيما لو قتله ممدوحه – وهذا غلو مقيت – وفى البيت الثالث يمتاح المتنبي من القصص القرآني موظفًا قصة اجتياز موسى – عليه السلام – للبحر حيث جعل الله – تعالي – له فيه ســـبيلاً ، ويعقـــد الشاعر الوشيجة بين ما حدث والممدوح الجواد ، رائيًا أنه لو كان لليم جود ممدوحه – ذى الملك – ما تسنى لموسى عبوره ، وبادٍ أن هذه الأبيات قـــد جاءت فى إطار من التناص الديني الذى لم يخل من المبالغة غير المستساغة

التى أرى أن باعثها رغبة الشاعر فى تجميل صورة ممدوحـــه ، وتحقيــق التأثير النفسي المنشود .

وللمتنبي بائية مدح بها سيف الدولة ، وقد قال فيها مخاطبًا إياه :

**أرَى المُســـــلمِينَ مَـــــعَ المُشْرِكيــــــنَ إمَّـــــا لِعَجْــــزٍ وإمَّـــا رَهَـــبْ**
**وَأَنْــــتَ مَــــعَ اللهِ فِــــى جَانِـــبٍ قَليــــلُ الرُّقَـــادِ كـــثِيرُ التَّعَـــبْ**
**كَأنَّـــــكَ وَحْـــدَكَ وَحَّدْتَــــهُ وَدَانَ البَرِيَّـــــةُ بِـــــابْنٍ وَأَبْ**[٢٨٢]

ونرى الشاعر هنا منتقدًا موقف المسلمين الســلبي تجــاه الــروم – خصومهم السياسيين – حيث يعكس هذا الموقف العجــز والرهبــة ، علــى نقيض موقف سيف الدولة المتسم بالإيجابية وعدم التواني فى المنافحة عــن الإسلام ضد ذوى عقيدة التثليث – الروم – ولعلنا نلحظ أن المتنبي قد جــنح إلى التناص مع قول المولى – جل ثنــاؤه – : ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾[٢٨٣].

ويخاطب المتنبي سيف الدولة قائلاً :

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئْتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

فَأَنْتَ حُسَامُ المُلْكِ واللهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ واللهُ عَاقِدُ (٢٨٤)

والممدوح هنا متسم بإقدامه وكثرة صرعاه من الخصوم ، الذين لو ورث أعمارهم لأحرز الخلود فى هذه الدنيا التى ستكون حرية بإزجاء التهنئة لها بذلك ؛ ففي بقائه صلاحها ، ولا غرو فى هذا ؛ فهو للملك كالسيف ، والضارب به هو الله ، وجلي أن هذين البيتين مدارهما إبراز جهود سيف الدولة البطل الصنديد ، حامى حمى الدولة ، المجاهد فى سبيل الذود عن الإسلام ورفع لوائه خفاقًا ، وانبثاقًا من هذا فهو مؤيد من قِبل الله تعالى ، والتأثير الإسلامي متجلٍ فى البيت الثاني بإطاريه المعنوى والمعجمى ، ولنا أن ننعم النظر إلى قول الشاعر : " الله ضارب " الذى كان فيه ناظرًا إلى قول الله – عز وجل – : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾(٢٨٥) وقول الشاعر بعد ذلك : " لواء الدين " و " الله عاقد " ومؤدى ما سلف أن البعد الديني كان ذا اطراد .

وقد اقتحم سيف الدولة غمار الوغى ضد الجيش الإخشيدى مستهدفًا بعض بلاد الشام التى كانت فى حوزة الإخشيدين ، وتسني له الظفر فى صفين ، وهز هذا الحدث الحربي ذو البعد السياسي قريحة المتنبي فدبج يراعه شعرًا حمل ميسم التناص ، إذ قال مخاطبًا سيف الدولة :

يَا سَيْفَ دَوْلَةِ ذِي الجَلَالِ ومِنْ لَهُ خَيْرُ الخَلائِقِ والأَنَامِ سَمِيُّ

أَوَمَا تَرَى صِفِّين كَيفَ أَتيتَهَا فَانْجَاب عَنْهَا العَسْكَرُ الغَرْبِيُّ

فَكَأَنَّهُ جَيْشُ ابْنِ حَرْبٍ رُعْتَهُ حَتَّى كَأَنَّكَ يَا عَلِيُّ عَلِيُّ (٢٨٦)

وليس بخافٍ هنا توظيف المتنبى للتناص ، حيث استرفد بعض التاريخ الإسلامى ، وعلى وجه التحديد ما حدث فى موقعة صفين بين جيشى على

بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، وكاد النصر – فى هذه الموقعة – أن يتحقق لجيش على الذى كانت كفته راجحة على ساحة الوغى – فى البداية – لولا بعض الملابسات الطارئة واللجوء إلى التحكيم ، وفى البيت الأخير يسترعى الانتباه منحى الشاعر إلى تشبيه الجيش الإخشيدي بجيش معاوية ، وتشبيه على (سيف الدولة) بسميه على بن أبي طالب ؛ إرضاء لهواه الشيعي الجلى .

وقد قال المتنبي فى سياق تناوله للصلح السياسي المبرم بين داهية السياسة كافور وأنجور (ابن مولاه الإخشيد) :

أَشْمَتَ الخُلْفُ بِالشَّرَاةِ عِدَاهَا ... وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادِ

وَتَوَلَّى بَنِي اليَزِيدِيِّ بِالبَصْـ ... ـرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي البِلَادِ

وَمُلُوكًا كَأَمْسِ فِي القُرْبِ مِنَّا ... وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِهَا فِي البِعَادِ

بِكُمَا بِتُّ عَائِذًا فِيكُمَا مِنْـ ... ـهُ وَمِنْ كَيْدِ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ

وَبِلُبَّيْكُمَا الأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفْـ ... ـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الجِيَادِ (٢٨٧)

إن الشاعر ليربأ بهما عن وقوع الخلف بينهما أو الانسياق خلف البغاة الماكرين ، وأنى لهما – وهما من ذوى الألباب – الوقوع فى شَرَك الخلاف الذى يفضي إلى التقاتل ، وينال من وحدة الصف فى المعترك السياسي ؟! ونرى المتنبي ناشدًا تحقيق الإقناع الذهني عبر استلهام التاريخ ، واستدعاء شخصيات وجماعات كانت عاقبتها وخيمة بسبب الخلاف ، ومنهم الخوارج (الشراة) الذين لم يتسن للمهلب بن أبي صفرة أن يكسر شوكتهم إلا بعد اندلاع نار الخلاف والاقتتال فيما بينهم ، وثمة أيضًا قبيلة إياد التى كانت صفًا واحدًا فلما اختلفوا أباد منهم سابور ذو الأكتاف عددًا كبيرًا ، وتشتت الباقون ، وهناك أيضًا بنو اليزيدى (وهم أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين) الذين كانوا يدًا واحدة فهيمنوا على البصرة (فى خلافة المنصور)

ولما دب الخلاف بينهم كان رداهم ، وهكذا كان شأن قبيلتي طسم وجديس قديمًا ، كما كان شأن بعض الملوك قريبي العهد ، فالخلاف مدعاة للردى والشر المستطير الذى لا تُحمد عقباه .

وقد قال المتنبي فى معرض مديح سيف الدولة :

**عَلَى عَاتِقِ المِلكِ الأَغَرِّ نِجَادُهُ ، وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَواتِ قَائِمُهْ** (٢٨٨)(٢٨٩)

إن الممدوح سيف الدولة من حيث لقبه وواقعه ، وقد تقلده الخليفة العباسي وتزين به فى زهو ، والله تعالى يضرب به خصومه ؛ لنصرة الإسلام ، وقد تجلت فى هذا البيت ظاهرتا (الانزياح) و(التناص) متآزرتين ، فالانزياح مداره التقديم والتأخير عبر شطرى البيت ، ففي الشطر الأول تقديم شبه الجملة على المبتدأ وكذلك الشأن فى الشطر الثاني ، بما يعني اطراد الظاهرة المقترنة بالإيحاء بالاهتمام بالمقدَّم ، أما التناص الشعرى فيبدو عبر نظر المتنبى إلى قول أبى تمام مادحًا الخليفة المعتصم :

**لَقَدْ حَانَ مَنْ يُهدِى سُوَيداءَ قَلبِهِ لِحَدِّ سِنانٍ فِي يَدِ اللهِ عَامِلُهْ** (٢٨٩)

وقد كرر المتنبي هذا المنحى فى موضع آخر (٢٩٠).

كما قال مخاطبًا الروم خصوم سيف الدولة السياسيين :

**أَغَرَّكُمُ طُولُ الجُيُوشِ وَعَرْضُهَا عَلَيَّ شُرُوبٌ لِلجُيُوشِ أَكُولُ**

**إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلاَّ فَرِيسَةً غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ** (٢٩١)

إن سيف الدولة ليلتهم جيوش أعدائه الجرارة التهام الأكول ، ويشرب دماءهم شرب الشره ، وحال هؤلاء محاكية لحال الفيل إزاء الليث ؛ فضخامة الفيل لا تفيده شيئًا ، ولا تحول دون افتراس الليث له ، والبيت الأول يلفت النظر ؛ حيث إن صاحبه يتناص مع أبي تمام فى قوله مادحًا أبا سعيد الثغرى :

**فِي مَكَرٍّ لِلرَّوعِ كُنْتَ أَكِيلاً لِلمنايَا فِي ظِلِّهِ وشَرِيبَا** (٢٩٢)

ويتجلى التناص الشعرى أيضًا فى قول المتنبي مادحًا سيف الدولة الذى لا يحرز الظفر خلسة أو تدليسًا ؛ من منطلق ثقته العظيمة بكفاءته الحربية فى نزال خصومه :

**تَتْلُو أَسِنَّتُه الكُتْبَ التِى نَفَذَتْ وَيَجْعَلُ الخَيْلَ أَبْدَالاً مِنَ الرُّسُلِ** (٢٩٣)

حيث علق عبد الرحمن البرقوقي – أحد شراح ديوانه – على هذا البيت قائلاً : " وهذا من قول الفرزدق :

**شَدِيدُ الحُمَيَّا لاَ يُخَاتِلُ قِرْنَهُ وَلَكِنَّه بِالصحصحَانِ يُنَازِلُه**

وقول صريع الغواني :

**مَنْ كَانَ يَخْتِلُ قِرْنًا عِنْدَ مَوْقِفِهِ فَإِنَّ قِرْنَ عَلَى غَيْرُ مُخْتَتِلِ** " (٢٩٤)

وللمتنبي قصيدة بدت فيها عنايته بإبراز الجانب السياسي الذى يتخذ من الصراع الحربي ضد الروم مظهرًا له ، وقد اقترنت هذه القصيدة بنزول سيف الدولة أنطاكية ، ومن أبياتها قوله:

**لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ جَمَاجِمُهْ** (٢٩٥)

ويعنينا هنا أن المتنبي كان يمتاح من التراث الشعرى فيما يتواشج بمصاحبة الطير لجيش الممدوح ، وكأن الطير جيش ثانٍ مقترن بجيش الممدوح المقاتل ، وهذا الطرح الشعرى موصول بقول الأفوه الأودى :

**وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَار** (٢٩٦)

وقد شايعه النابغة الذبياني عبر قوله :

**إِذَا مَا غَزَوْا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ**

**جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَقَى الجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ** (٢٩٧)

ثم أخذه حميد بن ثور مع تحوير نسبي ، إذ قال يصف الذئب :

إِذَا مَـــا غَـــدَا يَوْمًـــا رَأَيْـــتَ غَمَامَـــةً  مِـنَ الطَّيْـرِ يَنْظُـرْنَ الـذَّيِ هُـوَ صَـانِعُ (٢٩٨)

ثم قال أبو نواس أيضًا :

**تَتَأيّــــا الطَّيْـــرُ غَزْوَتَـــــهُ ثِقَةًبِالشِّـــبْعِ مِـــنْ جَـــزَرِهْ**[٢٩٩]

وقال مسلم بن الوليد (صريع الغواني) :

**قَــدْ عَــوَّدَ الطَّيْــرَ عَــادَاتٍ وَثِقْــنَ بِهَــا فَهُــنَّ يَتْبَعنَــهُ فِــى كُــلِّ مُرْتَحَــلِ**[٣٠٠]

ومن بعده قال أبو تمام فى معرض مديح (الأفشين) القائــد الحربـــي الأعجمي المظفر :

**وَقَــدْ ظُلِّلَــتْ عِقْبَــانُ أَعْلامِــهِ ضُــحىً بِعِقْبَــانِ طَيْــرٍ فِــى الــدِّمَاءِ نَوَاهِــلِ**

**أَقَامَــتْ مَــعَ الرَّايَــاتِ حَتَّــى كَأَنَّهَــا مِــنَ الجَــيْشِ إِلاَّ أَنَّهَــا لَــمْ تُقَاتِــلِ**[٣٠١]

وإذا سلمنا بالتأثر النسبي للمتنبي ببعض الشعراء السالفين[٣٠٢] فعلينا أيضًا أن نضع نصب أعيننا مقولة الجاحظ : " المعاني مطروحة فى الطريق ، يعرقها العجمي والعربي ، والبدوى والقروى ، وإنما الشــأن فــى إقامــة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبــع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب مــن النســج ، وجــنس مــن التصوير "[٣٠٣] .

كما أن علينا ألا نغفل ضرورة التواصل عبر المرجعيــة الشــعرية ، على ألا يفضي ذلك إلى السرقة المقيتة ، وعلى نحو ما تأثر المتنبي ببعض الشعراء السابقين فقد أثر فى كثير من الشعراء اللاحقين ، وهو مَنْ جدد أيضًا فى مناحٍ شتى فى مضمار الشعر ، مما جعل شعره يمثل منعطفًــا مهمًا فى مسيرة الشعر العربي ، حيث تماهت الأصالة والمعاصرة فى بوتقته على نسق فريد .

**٤- الانزياح :**

حينما نكون معنيين بتحليل النص الشعرى " لا ينبغي أن نغفل أهمية بعض المصطلحات الشعرية التى تلعب دورًا أساسيًا فى القضايا البلاغية من منظور شعرى ، وأبرزها فى تقديرنا هو مصطلح " الانحراف " الذى تعددت

صيغه فى اللغة العربية ، فمرة يبحث له الرفاق عن معادل بلاغي قديم هو " العدول " فيقلمون أظافره ويثلمون حدته ، ومرة أخرى يلجأ الباحثون إلى كلمة ذات إيحاء مكاني واضح هو " الانزياح " تفاديًا للإيحاء الأخلاقي المستثمر فى كلمة " الانحراف "[٣٠٤] وإذا كان الانزياح يعني العدول فماذا يعني العدول ؟ لقد ورد في لسان العرب : " عدل عن الشيء يعدل عدلاً وعدولاً : حاد ، وعن الطريق : جار ، وعدل إليه عدولاً : رجع ، ولا معدول أى مصرف ، وعدل الطريق : مال ... والعدول من قولهم : عدل عنه يعدل عدولاً إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر "[٣٠٥] .

وفى ضوء ما سلف يتبدى أن الانزياح هو المصطلح الحداثي البديل للمصطلح التراثي ، ومما يجدر ذكره أن نظرية الانزياح قد حظيت بعناية بالغة لدى (جان كوهين) حتى إنها لتكاد تقترن باسمه[٣٠٦] وقد تسنى له تطوير مفهوم الانزياح الذى أراه سبيلاً يند فيها الشاعر عما هو مألوف فى اللغة والتراكيب وأنساق الصياغة وأنماط التصوير ، حيث ينقض الشاعر المعتاد ؛ لكي يشيد عملاً إبداعيًا ذا ثراء دلالي ولمسات جمالية أخاذة .

ومما لا ريب فيه أن المجاز ضرب من العدول ؛ لأنه يمثل فرعًا من الحقيقة التى تمثل الأصل[٣٠٧] ومن هنا تتبدى أهميته فيما يتواشج بالانزياح الذى نجد غير نمط له حيث نلفي الانزياح الاستبدالي – وهو ما يتجلى فى الاستعارة على وجه الخصوص – وهذا الضرب مستدع للغياب ، حيث إن الكلمة – فى ضوء قانون التداعي – تستدعي ما يتواشج بها عبر الإطارين : الصوتي والدلالي .

وهناك الانزياح السياقي ، ومن صوره التقديم والتأخير والحذف والالتفات ، وليس بخافٍ أن ثمة علاقة وثيقة بين الانزياح وعلمي المعانى والبيان ، وما من ريب فى أن الانزياحات اللغوية لافتة فى شعر المتنبى ، وقد يثور السؤال التالي : ما موقف النحاة واللغويين والبلاغيين إزاء الانزياح ؟ وهل ثمة تباين موقفي بينهم ؟.

الواقع أنه " إذا كان النحاة واللغويون قد أقاموا مباحثهم على رعاية الأداء المثالي ، فإن البلاغيين ساروا فى اتجاه آخر ، حيث أقاموا مباحثهم على أساس انتهاك هذه المثالية والعدول عنها فى الأداء الفني ، وليس معنى هذا إنكار البلاغيين للمستوى المثالي الذى أقامه النحاة واللغويون ، بل إن ذلك يؤكد إدراكهم لتحققه ، بحيث جعلوه الخلفية الوهمية وراء الصياغة الفنية التى يمكن أن يقيسوا إليها عملية العدول فى هذه الصياغة " (٣٠٨) .

وتتبدى شعرية الانزياح فى شعر التيار السياسى لدى المتنبى على نحو جلى ، حيث يتوافر فيه الانزياح التركيبي متحققًا فى التقديم والتأخير والحذف والالتفات ، كما يوجد الانزياح الدلالي عبر المجاز والاستعارة والكناية ، ونلفي أيضًا الانزياح الصوتي المقترن بما يتواشج بالبنية الإيقاعية ، ولم يخل شعر المتنبي من الانزياح النفسي ، ومما يمثل بعض أضرب الانزياح سالفة الذكر قوله مبرزًا ما آل إليه ملك الروم بعد هزيمته الساحقة على يد سيف الدولة:

**وَيَمْشِي بِهِ العُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا** (٣٠٩)

وقد تضمن الشطر الأول من هذا البيت صورة فنية مفعمة بالسخرية عبر قول المتنبي (يمشي به العكاز) فالأصل أن هذا الملك (يمشي بالعكاز) وقد أفضى الانزياح هنا إلى إيجاد عمق دلالي بادٍ ؛ إذ يشي التعبير عبر هذه الآلية بشدة الوهن ، حتى إن هذا المرء غدا لا يقوى على تحريك عصاه بعد تداعيات الهزيمة المريرة ، واللافت فى هذا البيت تعانق الانزياح مع المفارقة وتآزرهما فى استيفاء المضمون .

وقد قال المتنبي فى معرض (الهجاء بدافع سياسي) بعد أن خذله كافور فى الظفر بالولاية:

**أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رَأْسِهِ وَقَفًا يَصِيْحُ بِهَا : أَلاَ مَنْ يَصْفَعُ** (٣١٠)

وفى الشطر الأول من هذا البيت هجاء للمصريين الذين رضوا بحكم كافور لهم ، ولم يبادروا إلى الإطاحة به ، والتعبير بقول الشاعر : " أيد

مقطعة " لم يأتِ على سبيل الحقيقة وإنما كنى به المتنبى عن عجز هؤلاء عن إقصاء كافور عن سدة الحكم ، وإذا كان الشطر الأول قد تضمن الانزياح فإن الشطر الثانى لم يخل منه ؛ فقول المتنبى : " قفا يصيح " تبدو فيه الاستعارة المكنية المقترنة بالإيحاء بكون كافور أهلاً للهوان ، وقد حمل هذا التعبير ظلالاً نفسية ؛ إذ يشى بالتهكم اللاذع المنبثق من الشنآن لهذا الحاكم الذى حال دون تحقيق طموح الشاعر السياسى .

وعندما انتصر سيف الدولة على خصومه الروم فى موقعة الحدث ، نظم المتنبي ميمية منها قوله :

**ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى القَلْبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الخَوَافِي تَحْتَهَا والقَوَادِمُ** (٣١١)

وتبدو هنا إشادة الشاعر ببراعة ممدوحه الحربية التى أهلته لقهر أعدائه فى ساحة القتال ، حيث ضم ميمنة جيشهم وميسرته على القلب فأردى الجميع ، وقد علق ابن رشيق القيرواني على هذا البيت قائلاً : " أراد بالجناحين : ميمنة العسكر وميسرته ، وبالقلب : موضع الملك ، والخوافي والقوادم : السيوف ، والرماح ، وهذا تصنيع بديع كله من حسن الاستعارات "(٣١٢) ومن المعلوم أن المدلول المنوط بالمستوى المعجمي للدال (القوادم) أنها عشر ريشات تكون فى مقدم جناح الطائر ، تعينه على الطيران ، أما (الخوافي) فهي ما تحت القوادم ، وعلى هذا النحو انتقلت الدلالة فى البيت الآنف إلى حقل آخر مغاير عبر التصوير الاستعارى المنوط بقول الشاعر : " جناحيهم ، القلب ، الخوافي ، والقوادم " .

وقد قال المتنبي فى قافية مدح بها سيف الدولة :

**فَتًى لا تَسْلُبُ القَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الأَسْرَى الوِثَاقَا** (٣١٣)

وحذف المبتدأ بادٍ فى مستهل الشطر الأول (والتقدير : هو فتى) ويبدو فى هذا الشطر أيضًا تقديم المفعول به (القتلى) على الفاعل (يداه) ولا ريب فى أن العدول عما هو مألوف قد أضفى على هذا البيت تشويقًا وثراء معنويًا ، وقد استبان عبر هذا البيت أن الشاعر كان معنيًا بتعظيم شأن

ممدوحه – السياسي المرموق – فليست الغنائم مبتغاه إبان نزال خصومه ، وهو لا يسلب الصرعى ما معهم ، كما أنه يسمو بنفسه عن إساءة معاملة أسراه ، فهو لا يسلبهم سوى الأغلال والقيود ، جاعلاً شعاره (العفو عند المقدرة) وقد برزت المفارقة عبر هذا البيت متضافرة مع الانزياح على نحو مستحسن .

ويتجلى الانزياح عبر قول المتنبى مشيدًا بإشراق وجه (الملك) المهيب سيف الدولة وجوده المنتشر :

**فَمَازَالَتْ تَرَى واللَّيْلُ دَاجٍ لِسَيْفِ الدَّولَةِ المِلكِ ائتِلاقَا** (٣١٤)

وباد عبر هذا البيت مجيء الفعل (ترى) فى الشطر الأول ، بينما أتى المفعول به (ائتلاقا) فى نهاية الشطر الثاني ، مما يكسر رتابة التركيب ، ويقود المتلقي إلى الحراك الذهني ، والمفارقة جلية فى هذا البيت أيضًا .

وللمتنبي بائية أنشأها لدى ظفر سيف الدولة ببني كلاب ، ومنها قوله :

**بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بِأَرضِ نَجْدٍ وَمَنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الحِرَابُ**

**عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُم صِغَارًا وفِى أَعْنَاقِ أَكثَرِهِمْ سِخَابُ**(٣١٥)

ومراد الشاعر هنا تحقير شأن بني كلاب الذين أحدثوا حدثًا بنواحي بالس ، مما حدا بسيف الدولة إلى تعقبهم والإيقاع بهم سنة ٣٤٣هـ ، والشاعر هنا يستحضر الماضي مذكرًا بما كان من عفو أبي الهيجاء – أبي سيف الدولة – عنهم بعد قتل كبارهم فى نجد ؛ لكونهم صغارًا، بيد أن حماقتهم قد قادتهم بعد ذلك إلى مناوأة سيف الدولة ، وكأنهم لم يعوا الدرس جيدًا ، وقد جنح الشاعر إلى توظيف الانزياح ، بحذف المبتدأ فى مفتتح الشطر الأول من البيت الأول (والتقدير : هم بنو قتلى أبيك) ، وفى الشطر الثاني من البيت الثاني لا يخفى منحى الشاعر إلى تقديم شبه الجملة (فى أعناق ...) وتأخير المبتدأ (سخاب) وهذا من شأنه إحداث على التلقى سعيًا للوقوف على مضمونه وتذوق جمالياته .

وقد قال المتنبي فى ميمية مدح بها سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ لدى نزوله أنطاكية وظفره بحصن برزويه (وكانت أول ما أنشده) :

**لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّولَةِ المجْدُ مُعْلِمًا فَلا المجدُ مُخفِيهِ وَلاَ الضَّرْبُ ثَالِمُهْ** (٣١٦)

وتجلت فى هذا البيت ظاهرة الانزياح ، ففى الشطر الأول تقديم للمفعول به (سيف الدولة) على الفاعل (المجد) ويحمل هذا التقديم الإيحاء بالاهتمام بالمقدَّم وهو الممدوح الذى يضاهي حسامًا سله المجد لينافح عنه فى منعه وعزة ، وانبثاقًا من ذلك فهو معني بالشرف ومعالي الأمور غير متوانٍ عن نزال خصومه ، ولكونه ليس سيفًا من حديد فإنه غير قابل للإغماد والثلم .

وعلى هذا النحو يتجلى لنا كيف كان الانزياح ظاهرة إيجابية ، عبر إحداثه الحراك الذهني ، وإثراثه المضمون الشعرى .

**قضية مقتل المتنبي وبعدها السياسي :**

لقي المتنبي مصرعه وقد تعددت الروايات المتواشجة بقتله وموضعه[٣١٧] .

وجاء مقتل الشاعر وهو فى طريق إيابه – إلى الكوفة – من شيراز ، ووقع هذا الحادث الأليم فى دير العاقول بالقرب من مدينة بغداد ، حيث اعتراض سبيله أناس من بني أسد ، وقتلوه هو وابنه وغلمانه ، واستولوا على ما كان معه من أموال وهدايا ، وإذا كان المتنبي قد قُتل فى ظل ملابسات غامضة فإن ذلك قد فتح الباب على مصراعيه لمناقشة هذه القضية بغية الوقوف على دوافع القتل ، وتوجيه أصابع الاتهام إلى من يقف خلفه .

وكان من المعنيين بنهاية شاعرنا الدرامية التى تثير الأسى وتبعث على الكآبة ، الأستاذ عبد الوهاب عزام الذى أورد الروايات وجنح إلى الرأى الذي عقد الوشيجة بين مقتل المتنبي – على يد فاتك الأسدى – وقصيدة الشاعر فى هجاء ضبة بن يزيد العتبي ، التى مطلعها :

**مَا أَنْصَفَ القَوْمُ ضَبَّهْ وَأُمُّهُ الطُّرْطُبَّهْ**[٣١٨]

وإن كان فى بعض المصادر ما يفند هذا الرأى[٣١٩] مما قد يجعله بمنأى عن أفق الترجيح.

وللدكتور طه حسين رأى مغاير لما ذهب إليه الأستاذ عبد الوهاب عزام ، حيث يصم القرامطة بجريرة قتل المتنبي ، مبررًا ذلك بارتداده عن العقيدة القرمطية التى اعتنقها فى صباه وشبابه الأول[٣٢٠] .

وإذا صح هذا الرأى ، وكان ثمة من يشايع د. طه حسين فى قرمطية المتنبى فإن هذا يعني أن خلفية القضية ذات بعد سياسي ، وأنها لم تعد كونها تصفية منشق سياسى على هذه الفرقة التى أقامت لها دولة فى البحرين ، وهددت بعض المدن ولاسيما الكوفة عن طريق الإغارة ، بيد أنني لا أرجح رأى د. طه حسين الآنف ؛ انبثاقًا من عدم قناعتي بقرمطية المتنبى، وقد سلف تبيان حيثيات عدم القناعة[٣٢١] .

وعطفًا على ما سبق فإننا نلفي منحى فكريًا مغايرًا فى هذه القضية الشائكة ، حيث رجح الأستاذ محمود محمد شاكر أن يكون مقتل المتنبي نتيجة لمؤامرة كان ضالعًا فيها حاكم مصر كافور الإخشيدى وآزره فى تنفيذها البويهيون فى العراق (وقد كانوا مشايعين فى مذهبهم الشيعى للفاطميين العبيدين) (٣٢٢) .

ولعل هذا الترجيح يستند صاحبه إلى ما ذهب إليه جلال الدين السيوطي الذى قال : " وسبب قتله أنه كان يركب فى جماعة من مماليكه فتوهم منه كافور فجفاه ، فخاف المتنبي وهرب ، فأرسل كافور فى أثره فأعجزه ، فقيل لكافور : ما قيمة هذا حتى تتوهم منه ؟ فقال : هذا رجل أراد أن يكون نبيًا بعد محمد – ﷺ – فهلا يروم أن يكون ملكًا بديار مصر ، فدس إليه من قتله " (٣٢٣) .

أما فيما يتعلق بموقف كافور الإخشيدى من مقتل المتنبي ، فليست ثمة قرائن قوية حاسمة تعضد اتهامه ، فمع تسليمنا بسوء العلاقة بينهما (لسبب سياسي وهو الولاية) ومع تسليمنا أيضًا بأن الشاعر قد نظم أهاجي لاذعة طالت كافورًا ، وأثارت جم غضبه ، فإن استقراء المصادر المعتبرة لا يقفنا على صلته بما حدث على نحو قاطع ، فالمصادر التاريخية وتلك المعنية بالتراجم ، علاوة على شروح ديوان المتنبي – على كثرتها – ليس فيها ما يدين كافورًا أو يؤكد تورطه فى قتل المتنبى ، وإن كان هذا لا ينفي عنه تمنى حدوث ذلك أو حبوره بوقوعه ، وانطلاقًا مما سلف فإنه ليس من السهل مشايعة الأستاذ محمود محمد شاكر فيما ذهب إليه من اتهام كافور بتدبير مؤامرة قتل الشاعر ، وذلك لعدم كفاية الأدلة المسوقة والقرائن المزجاة (وأبرزها أهاجي المتنبى لكافور) .

وإذا افترضنا – جدلاً – صحة ما ذهب إليه الأستاذ محمود محمد شاكر من ترجيح اتهام كافور والبويهيين – ولاسيما عضد الدولة – فى هذه المؤامرة الخسيسة التى راح المتنبى ضحية لها على يد بعض رجال بني ضبة وبنى أسد (٣٢٤) .

فهذا يعني أننا إزاء جريمة (اغتيال سياسي الخلفية) فشأن المتنبى مع كافور كان الحراك السياسي جوهره ، حيث تراوحت العلاقة بينهما بين مد وجزر ، وبدأت بالمديح لغرض سياسي – الولاية – وانتهت بالهجاء – بدافع سياسي أيضًا – عندما لم يف كافور بوعده السياسي له .

وعلى أية حال فإن صاحب المنتظم قد أورد ثلاث روايات بشأن مقتل المتنبى [٣٢٥] ، ذهبت إحداها إلى أن قاتله هو فاتك بن أبي جهل الأسدى ، وكان الباعث على القتل رغبته فى الاستيلاء على ما معه من أموال ، بينما ذهبت الرواية الثانية إلى أن سبب قتل المتنبي كلمة صدرت منه فى حق عضد الدولة الذى دس إليه مَن تكفل بقتله ، بعد مفاضلته بين عطائي سيف الدولة وعضد الدولة ، وإعلائه من شأن الأول ، وحطه من شأن الثاني ، أما الرواية الثالثة فتتمحور حول اتهام ضبة الأسدى الذى هجاه المتنبي ، فأرسل له فى الطريق مَن قتله .

وفى تقديرى أن القرائن التى تتواشج بحادث الاغتيال تجعل من السهل لأصابع الاتهام أن تتجه نحو عضو الدولة البويهي ، وترجح كونه متأمرًا على المتنبي فى هذه القضية .

فمن المعلوم أن الوزير البويهي قد كتب إلى المتنبي يستزيره [٣٢٦] وبعد انتهاء زيارته له أبلغه أن عضد الدولة يستدعيه ، فرد عليه المتنبي قائلاً : مالى وللديلم ؟ فقال ابن العميد له : " عضد الدولة أفضل منى ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به " فقال المتنبى : " إني ملقى – ممتحن لا يزال يلقاه مكروه – من هؤلاء الملوك ، أقصد الواحد بعد الواحد ، وأملكهم شيئًا يبقي ببقاء النيرين ويعطونني عرضًا فانيًا ، ولى ضجرات واختيارات فيعوقونني عن مرادي ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه " فما كان من ابن العميد إلا أن كتب لعضد الدولة منبئًا إياه بما حدث ، فأجابه بأنه – أى المتنبي – مملك مراده فى المقام والظعن [٣٢٧] .

وما سلف يشي بأن المتنبي لم يكن متحمسًا للذهاب إلى عضد الدولة فى شيراز – عاصمة ملكه – ولابد أن ذلك قد ترك مردودًا سلبيًا لدى عضد

الدولة ، وهو الملك ذو الاعتداد العظيم بذاته ، والجنوح إلى القسوة في معاملة مَن يخالفه[٣٢٨] [٣٢٩] وعندما أبدى المتنبي الموافقة على زيارة عضد الدولة – بعد تردد – أرسل الملك البويهي أبا عمر الصباغ لاستقباله وهو على مشارف شيراز ، فاستنشده بعض شعره ، فكان مما ذكره المتنبي قوله:

**لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالعِرَاقِ وَمَنْ بِالعَوَاصِمِ أَنِّي الفَتَى**

**وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا**[٣٢٩]

ولما أبلغ أبو عمر الصباغ عضد الدولة بما حدث قال : " هو ذا يتهددنا المتنبى " أو قال : " هونًا ... يتهددنا المتنبى "[٣٣٠] .

وهذا القول موحٍ بأن شعر المتنبي قد أثار حفيظته ؛ لأنه فهمه في ضوء كونه تهديدًا حريًا برد فعل قاسٍ .

وعلى أية حال فقد أثمرت رحلة المتنبي إلى عضد الدولة فى شيراز ثماني قصائد – سبع منها فى المديح – وكان مطلع آخر مدحة له فيه ، بل آخر قصيدة فى حياته :

**فِدًا لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا فَلاَ مَلِكٌ إِذَنْ إِلاَّ فِدَاكَا**[٣٣١]

واللافت فى هذه القصيدة جنوح الشاعر إلى إبراز الأسى والتطير وما يتواشج بهما ، كما أنه كان حريصًا على أن يعكس حاله الوجدانية وكنه نفسيته وما يستشعره من قلق ، وباستقراء هذه القصيدة يتجلى أن العناية بالوداع قد بزت العناية بالمديح – وذلك من المنظور الكمي – وعلينا أن نعي البعد الدلالي لهذا المنحى ، حيث إن " التعبير عن هذا المعنى – الوداع – يشترط أن يرتقي المتكلم بنفسه إلى المنزلة التى يكافئ بها المخاطب حتى تكون المودة بينهما ممكنة ، ويكون التوديع حقيقة ماثلة ، وهذا يقتضي من الشاعر إيمانًا بذاته ، وبأن امتلاك القدرة على التعبير الفني تضاهي منازل الملوك والأعيان إن لم تسم عليها ، فهؤلاء يسودون بالسيف ، بينما يسود الشاعر بالبيان : إن معنى التوديع إذن يتطلب تحولاً جذريًا فى نظرة الشاعر

إلى منزلته ، وهذا لا يرضى عنه عضد الدولة ولا غير عضد الدولة من الذين كانوا يسودون الناس بالترويع والترهيب "[٣٣٢] .

لقد كان المتنبي ينظر إلى نفسه نظرة ملوكية تجعله ندًا للحكام ، وقد استبان ذلك فى بعض شعره الموجه إلى كافور[٣٣٣] ولا مراء فى أن عضد الدولة كان يأبى جنوح الشاعر إلى الإيماء بتسوية نفسه به ، ولننظر إلى قول المتنبي مخاطبًا عضد الدولة فى قصيدة الوداع :

**وَكَمْ طَرِبِ المَسَامِعِ لَيْسَ يَدْرِى أَيعجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ عُلاكَا**

**وَذَاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كَانَ مِسْكًا وَذَاكَ الشِّعْرُ فِهْرِى والمَدَاكَا**[٣٣٤]

وعبر هذين البيتين يتضح استعلاء المتنبي – كديدنه – حيث يجعل تأثير شعره موازيًا لمردود سمو الممدوح – الملك – ويلح بعد ذلك على هذا المنحى مبرزًا إياه فى معرض آخر عبر تصوير فني بارع ، يبدو من خلاله عرض عضد الدولة مضاهيًا نشر المسك ، وتطغى على الشاعر أناه المستعلية فيعزو الفضل إلى شعره ، وبيان ذلك أنه إذ يجلي محاسن هذا الممدوح فإنه يحاكى الفهر [٣٣٥] والمداك[٣٣٦] المتواشجين بمسك الممدوح ، إذ بفضلهما تفوح رائحته الطيبة ، ليكون المغزى الذى تغيا الشاعر ترسيخه فى الذهن أنه ذو فضل على ممدوحه ؛ فلولا شعر المتنبي ما فاحت رائحة ثناء عضد الدولة .

ولعل المتنبي كان يستشعر الخطر ، ويتوجس خيفة مما هو قادم ، ولنستمع إليه إذا يقول قبيل خاتمة هذه الكافية :

**وَأَيَّا شِئْتِ يَا طُرُقِى فَكُونِى أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلاَكَا**

**... يُشَرِّدُ يُمْنُ فَنَّا خُسْرَ عَنِّى قَنَا الأَعْدَاءِ والطَّعْنَ الدِّرَاكَا**[٣٣٧]

**وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِى طَرِيقِى سِلاَحًا يَذْعَرُ الأَبْطَالَ شَاكَا**[٣٣٨]

إن سبيل إيابه إلى الكوفة قد تكون محفوفة بالمخاطر المقترنة بالأذى والردى ، بيد أن ثمة أملاً يراوده ، وهو منبثق من تعويله على ممدوحه

الهمام – عضد الدولة – فى تأمينه وصيانته من أولئك الذين سيتربصون به الدوائر ، وحسبه أن يظفر برضاه ، فهو كفيل بكسر شوكة الخصوم الأقوياء وبث الرعب فى أفئدتهم ، وكأني بالشاعر هنا كان مستشرفًا آفاق مستقبله العاجل ومصيره المنتظر ، بفضل فراسته التى جعلت الشك يساوره فى أن ثمة تآمرًا عليه ، وخطرًا يتهدده ، وقد يودي بحياته ، والباعث عليه تلك الضغائن القديمة التى استعر أوارها فى أفئدة ذويها الذين لم ينسوا للشاعر مواقفه السياسية المجيدة المناهضة للحكام الأعاجم ، التى أودعها سياقات تعبيرية مترعة بالتعريض والتهكم وإبراز المثالب والازدراء والحث على استئصال شأفتهم والحض على الإطاحة بهم عبر الثورة المسلحة .

وفى يقيني أن عضد الدولة كان على بينة من الموقف السياسي للمتنبى حيال الحكام الأعاجم ، علاوة على أن المتنبى كان شاعر سيف الدولة – خصم البويهيين – الذى أشاد بتصديه لهجوم معز الدولة البويهي على الموصل ، وإذا كان المتنبى قد نظم المدائح فى سيف الدولة – الممدوح العربى – ونظم المدائح أيضًا فى عضد الدولة – الممدوح الأعجمى – فإن مدائحه فى أولهما تحلق عاليًا فى سماء الإبداع الفني الفذ ، أما مدائحه فى ثانيهما فقد كانت أدنى منها بكثير – وذلك من المنظور الفني – بيد أن عضد الدولة لم يبد استياء ، بل أجزل له العطاء، وتعقب شأن الشاعر بعد ذلك حيث دس إليه من يسأله : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فما كان من المتنبى سوى أن أجاب قائلاً : إن سيف الدولة كان يعطي طبعًا ، وعضد الدولة يعطي تطبعًا[٣٣٩]، وقد قيل : إن عضد الدولة حين بلغه هذا غضب وجهز إليه قومًا من بني ضبة فقتلوه[٣٤٠]ولعلنا من خلال العرض الآنف – المقترن بإيراد القرائن والحيثيات – يقوى لدينا الجنوح إلى ترجيح أن يكون لعضد الدولة البويهى دور فى قضية مقتل المتنبى ، تلك القضية التى لم تخل من بعد سياسى ، وأيًا ما كان الأمر فإن الشعر العربى ومحبيه قد خسروا خسارة فادحة بمصرع هذا الشاعر الذى قلما يجود الزمان بمثله ، وقد قيل : إن قتله كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة ٣٥٤هـ [٣٤١] .

**خاتـمة :**

سعى هذا البحث إلى مقاربة شعر المتنبى واستنطاقه والتواصل معه ، والتفاعل مع معطياته السياسية عبر ما يزخر به هذا الشعر من طاقات دلالية معطاءة ، وإيحاءات نفسية ثرة منسربه فى تضاعيف النصوص ، وقد تسنى لهذا البحث أن يخلص إلى نتائج عديدة ، أبرزها ما يلي :

- إن معطيات النص الإبداعي فى ديوان المتنبي – عبر خطابه السياسى – تؤسس لسلطته على متلقيه عبر مرتكزاته الفكرية التى يودعها إطار فنيًا آسرًا .
- دار كثير من شعر المتنبي فى فلك السياسة ، وكان التيار السياسي ذا تجليات عديدة فى شعر هذا الشاعر .
- زخر شعر المتنبي بالطرح الرؤيوى السياسي الذى يؤسس لإحداث يقظة فكرية ، ويبث رسالة توعوية تنويرية ، وقد تسنى للشاعر أن ينهض بتبعته فى التربية السياسية للأمة العربية وذلك إلى حد بعيد .
- تعددت البواعث التى أذكت انخراط المتنبي فى منحى شعر التيار السياسى .
- بدت فى شعر التيار السياسى لدى المتنبي شعرية الأنا ، حيث عكس شعره فى كثير من سني حياته مواقفه وتطلعاته السياسية الوثابة ، وأماط شعره اللثام عن هويته السياسية ومنحاه الأيديولوجي ، وأبرز أبعاده النفسية ، ونجح هذا الشعر فى الإفصاح عن موقفي صاحبه : الفكرى والوجداني ، ونم الطرح الشعرى له عن وعيه السياسى ، ورؤيته الثاقبة .
- كشف شعر التيار السياسى النقاب عن ملامح شخصية المتنبى ، وبين كنهها ، فهو شاعر طموح شديد الاعتداد بنفسه إلى حد الاستعلاء ، كما أنه كلف بالمغامرة فى سبيل إحراز المجد السياسى الذى يتوق له ، وقد يقتضيه ذلك بعض التحولات الموقفية ، وهو أيضًا ذو نزعة إلى الانتقاد السياسى الذى طال جله الساسة الأعاجم الفاسدين ، وسائره الرعية

المقهورين المتخاذلين الذين لا يثورون على الحيف والاستبداد والتسلط ، كما تجلت لديه النزعتان : الثورية ، والعربية على نحوبيِّن .

- كفل المتنبي لشعره – فى كثير من الأحيان أن يكون خطابًا سياسيًا موجهًا ، متسمًا بالسيرورة والتأثير الجم ، ويبدو كرسالة سياسية تستهدف إرساء دعائم دولة عربية كبرى ، ترتكز على الإقصاء السياسي للحكام الأعاجم ، واسترداد الهيبة والمجد العربيين ، ومن هذا المنطلق فقد كان المتنبي فى عهده شاعر القومية العربية ، ولعل هذا المنحى السياسى قد هيأ له أن يتماس مع الوجدان الجمعي العربي ، وإن تعرض الشاعر فى بعض حراكه السياسى الثورى لبعض الخذلان الذى ترك مردودًا سلبيًا لديه ، ولعل التعويض النفسي قد أتاه من ناحية سيف الدولة الذى أعجب به أيما إعجاب لحيثيات عديدة أدنت بينهما وأفضت إلى التماهي الفكرى والوجداني ، مما حدا بالشاعر إلى أن يخاطب هذا الممدوح السياسي الأثير بمثل مخاطبة المحبوب ، حيث كان ينظر إليه على أنه يجسد صورة البطل القومي المنشود ، والذى هو معقد الأمل فى تحقيق الطموحات السياسية المتغياة ؛ نظرًا لكفاءته وإيمانه بهدفه ، وسعيه الدائب لإنجازه .
- تمثل شعرية التيار السياسى معلمًا بارزًا فى الإبداع الفني لدى المتنبى ، حيث طرح رؤاه بتقنيات رفيعة ، وطوع شعره لبث أفكاره وخدمة أغراضه السياسية المنشودة ، وكان حاذقًا فى ذلك ، حيث جمع شعر التيار السياسى لديه بين القيمتين : الفنية والتاريخية ، وتآزر فيه الصدقان : الواقعي والفني ، إذ يعد غير قليل من شعر هذا التيار وثائق تاريخية مهمة علاوة على ما له من أهمية فنية بارزة .
- ظهرت (أنا) المتنبي بإلحاح فى شعر التيار السياسي ، وانداحت دائرة هذا الشعر ليعبر عن الشعور الجمعي فى تماهٍ مستطاب .
- برز الحس القومي فى شعر المتنبى ذى الطابع السياسى على نحو يبرهن على أصالة نزعة العروبة وعمقها لديه ، وقد توخى تعرية

الفساد السياسي السائد ، وتردى الأوضاع فى عهده ، الذى غـدا فيـه الخليفة العباسى مجردًا من صلاحياته السياسية فهو ألعوبة فى يد العجم ، بمنأى عن النفوذ السلطوى الفعال ، بعد أن تمت تجزئة دولته ، ولـم يعد للعرب كيان سياسي مهيب سوى الدولة الحمدانية ، وقد اتخذ المتنبى شعره سلاحًا يناهض به الحكم الأجنبي المقترن بالشـعوبية والحيـف والهوان والتسلط وسوى ذلك من المساوئ الشائنة ، وبدا المتنبي عبـر شعره ذا مبدأ سياسي ورسالة توعوية ، فهو – كما يصوره شـعره – ساخط على الحكم الأعجمي ، ساعٍ إلى إبراز مثالبه ، تواق إلى إحداث التطهير والإصلاح السياسيين ، ومن أجلهما سار فى اتجاهين : أولهما مرتكز على انتقاد الأوضاع السياسية الفاسدة جنبًا إلى جنب مع تحرى بعث القيم العربية الأصلية التى كان الموقف السياسى يتطلبها آنـذاك ، وثانيهما معوله الحراك الذى يتماهى فيه التمرد والعنف ، وكان الشاعر يصدر فى ذلك عن قناعة بأهمية الحراك الثورى فـى تنقيـة المنـاخ السياسي حتى لو اقترن هذا المنحى بالقوة المسلحة ، فقد كان المتنبـي متبنيًا فلسفة القوة ، بيد أن الباحث يربأ به عـن أن يكـون قرمطيًـا ؛ استنادًا إلى مبررات عديدة تم إيرادها فى تضاعيف هذا البحث .

- بلور شعر المتنبي تلك العلاقة الجدلية الكائنة بـين الإبـداع الشـعرى والسلطة السياسية على نسق لم تختف فيه المفارقة المنوطة بـالتحولات الموقفية التى تعكس انشطار الذات وتشظيها وتلونها فى بعض الأحيان وذلك فى ضوء مستهدفات الشاعر وملابسات الواقع وما تقتضيه ، وقد ألفى المتنبى فى شعره مندوحة للتعبير عن ذاته ، والإفصاح عن آمالـه وآلامه فى مضمار السياسة ، فكان هذا الشعر مرآة صادقة عكست واقع الشاعر ، وواقع مسرح الحياة السياسية فى إطـار بـدت فيـه آيـات شاعريته ، وتجليات عبقريته .
- بدت النزعة السياسية فى شعر المتنبي فى شتى مراحل عمـره ، وقـد اقترنت فى البداية بالحماسة المشبوبة والانتقاد اللاذع والنزعة الثوريـة

التى منيت بالإخفاق فيما قبل المرحلة الحلبية ، وقد نجم عنها الزج بالشاعر فى غياهب السجن وهو دون العشرين من عمره لمدة عامين ، وكانت التهمة الموجهة إليه – من قبل لؤلؤ والي حمص – إدعاء النبوة ، ويرى الباحث أن الباعث الحقيقي على ذلك سياسي محض ، حيث إن الشاعر كان يطمح إلى تكوين دولة عربية ، ونجح فى استقطاب بعض الناس إلى تلبية دعوته التى هى فى جوهرها دعوة من أجل التغيير السياسي .

- يمثل شعر المرحلة الحلبية منعطفًا مهمًا ونقطة تحول فى شعر التيار السياسي لدى المتنبي ، وقد عني فيه بشتى الشئون السياسية المنوطة بسيف الدولة ، فسلط الأضواء على الشئون الداخلية والخارجية عبر العرض والتحليل وطرح الرؤى السياسية الواشية بوعيه وحذقه ، وغدا شعره سجلاً تاريخيًا لحركات التمرد والعصيان القبلية ، وردع سيف الدولة لذويها ؛ سعيًا إلى استتباب الأمن وتحقيق الاستقرار السياسي المأمول ، وسبر هذا الشعر أيضًا أغوار العلاقة بين سيف الدولة والخليفة العباسي والبويهيين ، وتتبع جهود سيف الدولة فى صراعه الحربي الوارى ضد الروم ، نشداناً لصيانة الدولة والحفاظ على هيبتها السياسية وتأمين الثغور ، وقد جنح الشاعر إلى إبراز هذا الصراع من منظور ديني ، مرسخاً فى أذهان المتلقين أنه جهاد للمنافحة عن الإسلام ورفع لوائه ، والواقع أن شعر التيار السياسى فى المرحلة الحلبية ذو مذاق خاص ونكهة مستطابة ، فشاعره رائده جم الإعجاب بسيف الدولة الذى رأى فيه الصورة المثلى للحاكم العربى ، فهو فارس معتد بنفسه ، مقدام بل بطل قومى ، مضطلع بتبعته نحو أمته ، منافح عنها ضد خصومها ، كما أنه ذو نزعة عربية قوية ، وتطلع سياسي يتغيا فيه استعادة السيادة السياسية العربية الآنفة ، وسوى ذلك من السمات الإيجابية التى قدرها الشاعر فيه وألقى شعره ضوءًا كاشفًا عليها ، وغدا آلية إعلامية فعالة الدعم ، ولم تنبت صلته الشعرية به بعد مغادرته

مدينة حلب ، فثمة قصيدتان كرسهما له ، وتحملان ظلالاً سياسية بنية ، وكنه الأمر أن شعر المتنبي قد اختزل نموذج السياسى العربى المحنك الواعى الطموح الثائر ، واكتنز باختزان خصائصه الفارقة التى يتغياها الشاعر ذو الهم السياسي الجلي ، ويطمح إلى توافرها فى الإنسان العربي ، فجاء هذا الشعر ترجماناً صادقاً فى هذا المضمار .

- كان التطلع السياسي حاديًا للمتنبي فى رحلته المصرية ، فقد كانت الولاية شغله الشاغل ، ولم يوصد كافور الإخشيدى باب الأمل السياسي فى وجه الشاعر الطموح بيد أنه ماطله بعد أن مناه ، فتأرجح موقف المتنبي – فى شعره – بين الرجاء واليأس والضجر الذى أعقبه الفرار ليتحول الشاعر معه من مادح بهدف سياسي إلى هاجٍ بخلفية سياسية ، بيد أن المرحلة المصرية قد بدت فيها ملامح التيار السياسي عبر عناية الشاعر بالشئون السياسية الداخلية لحاكم مصر ، والإلحاح عليه فى طلب الولاية ، وتصفية الحساب السياسي معه عن طريق التذرع بالشعر الهجائي الكيدى الذى ينال من هذا الحاكم ويشوه صورته بعد حيلولته بين الشاعر والظفر بالولاية .
- خفت ألق شعر التيار السياسي بعد المرحلة المصرية ، ويسرى هذا الحكم على شعره فى العراق ، وفارس التى مدح فيها ابن العميد وعضد الدولة البويهي الذى كرس له سبع مدائح عني فى بعضها بالشأن السياسي ، بيد أنها كانت أدنى توهجًا فنيًا من قصائد شعر التيار السياسي المتواشجة بالمرحلتين : الحلبية والمصرية ، فلم يبد فيها ما بدا فى قصائد هاتين المرحلتين من عمق وثراء فني ، ولعل سرعة الشاعر فى نظم هذه المدائح قد تركت مردودًا سلبيًا عليها ، حيث نظمها فى مدة قصيرة بلغت ثلاثة أشهر فحسب .
- واكب شعر التيار السياسي لدى المتنبي الأحداث الجارية ، ورصدها مسجلاً إياها على نحو تحليلي يحمل رؤية واعية وطرحًا سياسيًا فعالاً فى كثير من الأحيان .

- جنح المتنبي فى شعر التيار السياسي إلى توظيف المبالغة ، تحقيقًا لأهداف شتى ، بيد أن ذلك لا يعني انتفاء الواقعية فى هذا الشعر ، فقد تماهت فى بوتقته المبالغة والواقعية ، ولم يكن المتنبي بدعًا فى تحرى المبالغة ، فهى سمة جلية فى جل شعر العصر العباسي ، بيد أنها قد أتت فى بعض شعر المتنبى على نحو غير مستساغ .
- عول المتنبي على بنية المفارقة التى شكلت ظاهرة لافتة فى شعر التيار السياسي لديه ، وأعانت على إثرائه فنيًا .
- يمثل التناص ظاهرة متعددة التجليات فى شعر المتنبي الذى يحمل طابعًا سياسيًا ، فقد امتاح الشاعر من الروافد التراثية التى تعددت أنماطها ، وكان التناص الشعرى والديني والتاريخي أبرز الأطر التناصية فى هذا الضرب من شعره .
- يشكل الانزياح ظاهرة لافتة فى شعر المتنبي ذى البعد السياسي ، وكان الشاعر بارعًا فى توظيف الانزياح الذى نهض بما هو منوط به من مرامٍ .
- زخر شعر المتنبي بالقيم السياسية ، ولعل مما أعانه على ذلك توخيه دقة انتقاء ممدوحيه ، حيث كان يربأ بنفسه عن مديح من لا يراهم أهلاً لمديحه فى غير قليل من الأحيان .
- يمثل شعر المتنبي السياسي منعطفًا مهمًا فى مسيرة الشعر العربى ؛ لما اتسم به من جمع بين الأصالة والمعاصرة فى براعة فنية لا تبارى ، وذلك فى كثير من شعر التيار السياسي .
- بدا البعد السياسي فى قضية مقتل المتنبي ، وذلك فى ضوء توافر غير قليل من القرائن والحيثيات التى تعضد ترجيح وجود ظلال سياسية خلف هذه الجريرة التى أفقدت محبي الشعر العربي شاعرًا عملاقًا .

**ثبت المصادر والمراجع :**

**- القرآن الكريم :**

١- اتجاهات جديدة فى شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين : د. فوزى عيسى ، دار العبادى ، الإسكندرية ، ٢٠١٠م .

٢- بحوث المطابقة لمقتضى الحال صورها وعلاقتها بالنقد الأدبى الحديث: على البدرى ، مكتبة النهضة المصرية ، ط. الأولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٣- البداية والنهاية : ابن كثير الدمشقى ، تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث ، القاهرة ، ط. الأولى ، ١٩٩٢م .

٤- البلاغة والأسلوبية : د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – ط. الأولى ، ١٩٩٤م .

٥- بلاغة الخطاب وعلم النص : د. صلاح فضل ، عالم المعرفة (١٦٤) الكويت ، ١٩٩٢م.

٦- بنية اللغة الشعرية : جان كوهين ، ترجمة : محمد الوالى ، ومحمد العمرى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٦م .

٧- تاريخ الأدب العربى : كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : د. عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م .

٨- تاريخ العرب : فيليب حتى ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان .

٩- التطلع القومى عند المتنبى : جاسم محسن عبود ، منشورات وزارة الإعلام بالعراق ، ١٩٧٧م .

١٠- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : جلال الدين السيوطى ، ط. مصر .

١١- الحكمة فى شعر المتنبى : د. يسرى محمد سلامة ، دار المعارف .

١٢- الحيوان : الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط. مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

١٣- الخصائص : ابن جنى (أبو الفتح عثمان) تحقيق : محمد على النجار، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان (د.ت) .
١٤- ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى : تحقيق : محمد عبده عزام، دار المعارف ، القاهرة .
١٥- ديوان شيخ شعراء العربية أبى الطيب المتنبى : تحقيق : د. عبد المنعم خفاجى ، وسعيد جودة السحار ، و: د. عبد العزيز شرف ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
١٦- ديوان النابغة الذبيانى : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر .
١٧- ديوان أبى نواس : تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .
١٨- ديوان الوأواء الدمشقى : تحقيق : د. سامى الدهان ، ط. المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .
١٩- ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام : عبد الوهاب عزام ، دار المعارف بمصر ، ط. الثانية ، ١٩٥٦م .
٢٠- رسالة فى قلب كافوريات المتنبى من المديح إلى الهجاء : عبد الرحمن بن حسام الدين (المعروف بحسام زاده الرومى) ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار الأمانة – مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط. الأولى ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
٢١- الرسالة الموضحة فى ذكر سرقات أبى الطيب المتنبى وساقط شعره : أبو على محمد ابن الحسن الحاتمى ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م .
٢٢- شرح ديوان صريع الغوانى (مسلم بن الوليد) ، تحقيق : د. سامى الدهان ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. الثالثة (د.ت) .
٢٣- شرح ديوان أبى الطيب المتنبى (المعروف بمعجز أحمد) ، أبو العلاء المعرى ، تحقيق : د. عبد المجيد دياب ، دار المعارف بمصر .

٢٤- شرح ديوان المتنبى : وضعه : عبد الرحمن البرقوقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٥- شرح ديوان المتنبى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان : أبو البقاء العكبرى ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
٢٦- شعر الحرب فى أدب العرب فى العصرين الأموى والعباسى إلى عهد سيف الدولة : د. زكى المحاسنى ، دار المعارف ، ط. الثانية .
٢٧- شعر الصراع مع الروم فى ضوء التاريخ (العصر العباسى حتى نهاية القرن الرابع): د. نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ط. الأولى ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
٢٨- الشعر فى رحاب سيف الدولة : د. سعود محمود الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط. الثانية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٢٩- الشعر فى ظل سيف الدولة : د. درويش الجندى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط. الأولى ، ١٩٥٩م .
٣٠- شعر المتنبى ، دراسة فنية : د. مصطفى أبو العلا ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة .
٣١- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور : د. شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. الثانية ، ١٩٨٤م .
٣٢- الصبح المنبى عن حيثية المتنبى : يوسف البديعى ، تحقيق : مصطفى السقا ، ومحمد شتا ، وعبده زيادة ، دار المعارف ، ط. الثانية ، ١٩٧٧م .
٣٣- أبو الطيب المتنبى ، دراسة فى التاريخ الأدبى : د. ر. بلاشير ، ترجمة : إبراهيم الكيلانى ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق – سوريا ، ١٩٧٥م .

٣٤- العدول أسلوب تراثى فى نقد الشعر : د. مصطفى السعدنى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م .
٣٥- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيروانى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط. الخامسة ، ١٩٨١م .
٣٦- الفسر – شرح ديوان المتنبى – : ابن جنى ، تحقيق : رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، سوريا .
٣٧- فصول فى الشعر ونقده : د. شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. الثانية ، ١٩٧٧م .
٣٨- الفكاهة أصولها وأنواعها فى الأدب : د. أحمد الحوفى ، نهضة مصر، القاهرة ، ٢٠٠١م .
٣٩- فن المتنبى بعد ألف عام : إبراهيم العريض ، ط. الكويت ، ط. الثانية، ١٩٧٣م .
٤٠- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى : د. شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. العاشرة ، ١٩٧٨م .
٤١- كافوريات أبى الطيب المتنبى ، دراسة نصية : د. النعمان القاضى ، مركز كتب الشرق الأوسط ومكتبتها ، القاهرة ، ١٩٧٥م .
٤٢- الكامل فى التاريخ : ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الشيبانى) دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط. السادسة ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٤٣- الكشف عن مساوئ شعر المتنبى : أبو القاسم إسماعيل بن عباد ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، ط. الأولى ، ١٩٦٥م .
٤٤- لسان العرب : ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين) ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ط. الثانية ، ١٩٩٢م .
٤٥- المبالغة فى الشعر العربى فى العصر العباسى : د. جابر عبد الرحمن يحيى ، مؤسسة سعيد للطباعة ، طنطا ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٤٦- المتنبى : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ، ١٩٧٧م .
٤٧- المتنبى مالئ الدنيا وشاغل الناس : د. منجى الكعبى ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة العراقية ، سلسلة دراسات – ١٦٨ .
٤٨- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير الجزرى (ضياء الدين نصر الله) ، تحقيق : د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط. نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
٤٩- مدخل إلى شعر المتنبى : حسين الواد ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ١٩٩١م .
٥٠- المصباح : بدر الدين بن مالك ، تحقيق : د. حسنى عبد الجليل ، مكتبة الآداب ، القاهرة (د.ت) .
٥١- مطالعات فى الكتب والحياة : عباس العقاد، المطبعة التجارية .
٥٢- معجم الشعراء : أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠م.
٥٣- مع المتنبى : د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة .
٥٤- المنتظم : ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط. الأولى ، ١٩٩٢م .
٥٥- الموازنة بين أبى تمام والبحترى : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان (د.ت) .
٥٦- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، ط. وزارة الثقافة والإرشاد (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) .

٥٧- الواضح فى مشكلات شعر المتنبى : الأصفهانى (أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن) ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م .
٥٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين بن أحمد بن محمد بن أبى بكر) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م .
٥٩- ولاة مصر : محمد بن يوسف الكندى ، تحقيق : د. حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٥٩م .
٦٠- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى) ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م.

## الهوامش

(١)انظر في ذلك (تاريخ العرب : ص٥٣٦ ، فيليب حتى ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان). وقد كان المعول على بعض المؤرخين الذين يُعتد بهم ، وأبرزهم الطبرى ، وابن خلكان ، والمسعودى ، وابن الأثير .

(٢)انظر المرجع نفسه : ص٥٣٧ .

(٣)انظر المرجع نفسه : ص٥٤٠ .

(٤)انظر المرجع نفسه : ص٥٤٥ ، وقد تولى الراضي مقاليد الحكم في الدولة العباسية فيما بين عامى ٩٣٤م و٩٤٠م .

(٥)حكم الخليفة المستكفي الدولة العباسية عامين فحسب (من عام ٩٤٤م حتى ٩٤٦م) .

(٦)انظر تاريخ العرب : ص ٥٤٧ ، فيليب حتى .

(٧)انظر المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

(٨)انظر المرجع نفسه : ص٥٢٧ .

(٩)انظر المرجع نفسه : ص٥٢٩ .

(١٠)حدث ذلك عقب وفاة المتنبى بأربعة أعوام ، انظر المرجع السابق : ص٥٣٠ .

(١١)عنى د. نصرت عبد الرحمن باستكناه هذا الصراع من منظور شعرى عبر كتابه : شعر الصراع مع الروم فى ضوء التاريخ (العصر العباسى حتى نهاية القرن الرابع) الأردنية الهاشمية ، ط. الأولى ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

(١٢)ولى أبو الهيجاء بن حمدان الموصل سنة ٢٩٣هـ .

(١٣)شرح ديوان المتنبى : ٢٣٣/٤ ، وضعه : عبد الرحمن البرقوقى ، دار الكتاب العربى، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(١٤)المصدر نفسه : ٢٩٤/٣ .

(١٥)المصدر نفسه : ٢٤٥/٤ .

(١٦)المصدر نفسه : ١٥٩/١ .

(١٧)انظر المصدر نفسه : ١١٣/٣ .

(١٨)المصدر نفسه : ١٥٦/١ .

(١٩)المصدر نفسه : ٢٩٦/١ .

(٢٠)المصدر نفسه : ٧٧/٢ .

(٢١)المصدر نفسه : ٣٢٥/٢ .

(٢٢)المصدر نفسه : ٢٧٥/٤ .

(٢٣)المصدر نفسه : ٤٦/٢ .

(٢٤)المصدر نفسه : ١٠٧/٤ .

(٢٥)المصدر نفسه : ٤٧/٢ .

(٢٦)المصدر نفسه : ٣٦٦/٤ .

=

=

=

(٢٧)المصدر نفسه : ٢٣٧/٤ .

(٢٨)المصدر نفسه : ٣٦٤/٤ .

(٢٩)انظر معجم الشعراء : ص٢٧٧ ، المرزباني .

(٣٠)تاريخ الأدب العربي : ٨٢/٢ ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : د. عبد الحليم النجـــار ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م .

(٣١)شرح ديوان المتنبى : ٢٨١/٤ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٣٢)المصدر نفسه : ١٧٩/٤ .

(٣٣)المصدر نفسه : ١٩٣/٤ .

(٣٤)المصدر نفسه : ٢٧٧/٣ وما بعدها .

(٣٥)المصدر نفسه : ٢٢٩/٣ .

(٣٦)الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور : ص١٣٤ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. الثانية ، ١٩٨٤م .

(٣٧)الفن ومذاهبه فى الشعر العربي : ص٣١٣ ، د. شـــوقي ضـــيف ، دار المعـــارف ، القـــاهرة ، ط. العاشرة ، ١٩٧٨م .

(٣٨)انظر (مع المتنبي : ص٤٣ ، د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة).

(٣٩)لمزيد من التفصيل انظر فى ذلك (الكامل فى التاريخ : المجلد الثامن ، حوادث سنة ٣١١هـــ – ٣٥٤هـ ، ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على الشيبانى) دار صادر ، بيـــروت ، لبنـــان ، ط. السادسة ، ١٤١٥هـــ – ١٩٩٥م .

(٤٠)انظر (شرح ديوان المتنبي : ١٦٧/١ ، ٣٢٢/٢ ، عبد الرحمن البرقوقى) .

(٤١)المصدر نفسه : ٣٥٩/١ .

(٤٢)المصدر نفسه : ١٤٢/٤ .

(٤٣)انظر شرح ديوان المتنبي : ٣٣٠/١ ، عبد الرحمن البرقوقي .

(٤٤)المصدر نفسه : ٢٩١/٤ ، وما بعدها .

(٤٥)المصدر نفسه : ٤٥/٢ .

(٤٦)المصدر نفسه : ١٦١/٤ وما بعدها .

(٤٧)كأني بالمتنبى – فى إيمانه بفلسفة القوة – كان يتقيل أبا تمام فى بائيته المكرسة لفـــتح عموريـــة ، التى مطلعها :

**السيف أصدق أنباء من الكتب  فى حده الحد بين الجد واللعب**

(ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى : ٤٠/١ تحقيق : محمـــد عبـــده عـــزام ، دار المعـــارف ، القاهرة، ط. الخامسة .

(٤٨)شرح ديوان المتنبى : ٣٧٢/٤ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٤٩)المصدر نفسه : ١٦٠/٤ .

(٥٠)الخيل مشرفة الهوادي : ذات أعناق طويلة .

=

=

=

(٥١)شرح ديوان المتنبي : ٧٦/٢ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٥٢)انظر المصدر نفسه : ١٥٩/٤ .

(٥٣)المصدر نفسه : ١٦١/٤ .

(٥٤)انظر المصدر نفسه : ١٧٩/٤ .

(٥٥)شرح ديوان المتنبى : ١٩٥/٤ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٥٦)المصدر نفسه : ١٩٢/٤ .

(٥٧)انظر فى ذلك (التطلع القومى عند المتنبى : جاسم محسن عبود ، منشورات وزارة الإعلام بالعراق، ١٩٧٧م) .

(٥٨)فصول فى الشعر ونقده : ص٧٤ ، د. شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. الثانية ، ١٩٧٧م .

(٥٩)شرح ديوان المتنبى : ٢٠٩/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٦٠)قال المتنبى فى قصيدة مدح بها المغيث بن على بن بشر العجلى :

**هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتًا من القلب لم تمدد له طنبا**

(شرح ديوان المتنبى : ٢٣٨/١ ، عبد الرحمن البرقوقى) وانظر أيضًا المصدر نفسه : ٢٨٨/١ .

(٦١)المصدر نفسه : ٢٩١/١ .

(٦٢)أبو الهيجا : كنية عبد الله بن حمدان (وهو والد سيف الدولة الحمدانى) .

(٦٣)ديوان شيخ شعراء العربية أبى الطيب المتنبى : ص٩٨ ، تحقيق : د. عبد المنعم خفاجى ، سعيد جودة السحار ، د. عبد العزيز شرف ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، وقد عمد المتنبى إلى إبراز شرف أصل ممدوحه العربى فى مواضع أخرى عديدة ، انظر : (شرح ديوان المتنبى : ٢٠٤/٣ ، ٢٣١/٣ ، عبد الرحمن البرقوقى) وذلك على سبيل الذكر لا الحصر .

(٦٤)الشعر فى ظل سيف الدولة : ص١٧٢ ، د. درويش الجندى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط. الأولى، ١٩٥٩م ، ومن الشعراء الذين أشادوا بأصل سيف الدولة العربى التغلبى ، الوأواء الدمشقى ، حيث قال :

**ويا هلالاً بدت مطالعه فى أفق بدرين تغلبيين**

(ديوان الوأواء الدمشقى : ص٢٢٢ ، تحقيق : د. سامى الدهان ، ط. المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م) .

(٦٥)زعم الحاتمى أن معز الدولة هو من أبى استقبال المتنبى ، انظر (الرسالة الموضحة فى ذكر سرقات أبى الطيب المتنبى وساقط شعره : ص٧ ، أبو على محمد بن الحسن الحاتمى ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م). ولا يتسنى الاطمئنان إلى هذا الزعم ؛ لكون صاحبه شانئًا للمتنبى .

(٦٦)انظر : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ١٢٢/١ ، الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد) تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م)

=

=

=

و(الواضح فى مشكلات شعر المتنبى : ص١٦ ، الأصفهانى – أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن – تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م) .

(٦٧)انظر فى هذا الشأن (الكشف عن مساوئ شعر المتنبى : أبو القاسم إسماعيل بن عباد، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، ط. الأولى ، ١٩٦٥م .

(٦٨)الشعر فى رحاب سيف الدولة : ص١٥١ ، د. سعود محمود عبد الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط. الثانية ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

(٦٩)مع المتنبى : ص١٦٩ ، د. طه حسين .

(٧٠)شرح ديوان المتنبى : ٢٢٥/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٧١)المصدر نفسه : ٥٣/٤ (وبراجمه : مفاصل أصابعه) .

(٧٢)المصدر نفسه : ٥/٢ .

(٧٣)المصدر نفسه : ١١/٢ .

(٧٤)المصدر نفسه : ١٩١/٢ .

(٧٥)المصدر نفسه : ٥٥/٤ .

(٧٦)المصدر نفسه : ٣٩٩/١ .

(٧٧)يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ١٥٧/١ ، الثعالبى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد.

(٧٨)شرح ديوان المتنبى : ١٥/٢ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٧٩)المصدر نفسه : ٨١/٤ .

(٨٠)المصدر نفسه : ٤٠٣/١ .

(٨١)شرح ديوان المتنبى : ١٩٠/٤ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٨٢)المصدر نفسه : ١٩٣/٤ .

(٨٣)المصدر نفسه : ٩٢/٢ وما بعدها .

(٨٤)المصدر نفسه : ٣٤١/٤ وما بعدها .

(٨٥)المصدر نفسه : ٢٧٩/٣ .

(٨٦)المصدر نفسه : ١٥٠/٤ .

(٨٧)المصدر نفسه : ١٥٦/٤ .

(٨٨)بخلة : قرية سكنها بنو كلب ، وكانت واقعة على بعد ثلاثة أميال من بعلبك .

(٨٩)شرح ديوان المتنبى : ٤٤/٢ ، وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٩٠)المصدر نفسه : ٢٣٧/٤ وما بعدها .

(٩١)السمهرى : الرمح ، والمشرفى : السيف .

(٩٢)شرح ديوان المتنبى : ٢٤٨/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٩٣)المصدر نفسه : ٢٥٢/٢ وما بعدها .

(٩٤)الطمرة : الفرس الوثابة المتسمة بالنشاط والمراح ، والحيزوم : الصدر ، والغمر : الحقد .

=

=

=

(٩٥)شرح ديوان المتنبى : ٢٥٦/٢ ، وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٩٦)المصدر نفسه : ٢٥١/٤ وما بعدها (والشآم : بلاد الشام) .

(٩٧)المصدر نفسه : ٢٠٤/١ .

(٩٨)المصدر نفسه : ٢١٣/١ .

(٩٩)المصدر نفسه : ٢٠٥/١ وما بعدها .

(١٠٠)المصدر نفسه : ٢٠٦/١ .

(١٠١)المصدر نفسه : ٢٠٩/١ وما بعدها .

(١٠٢)المصدر نفسه : ٢٠٨/١ .

(١٠٣)ربهم : المراد مالكهم .

(١٠٤)شرح ديوان المتنبى : ٢١٣/١ .

(١٠٥)المصدر نفسه : ٢١٢/١ .

(١٠٦)المصدر نفسه : ٢١١/١ (وأثوا : تقووا وكثروا) .

(١٠٧)المصدر نفسه : ٢١٢/١ .

(١٠٨)المصدر نفسه : ٢١٠/١ .

(١٠٩)شرح ديوان المتنبى : ٦٠/٣ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١١٠)المصدر نفسه : ٦٤/٣ .

(١١١)المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(١١٢)تدمر : بلد معروف ، والسمالق : مفردها السملق : أى المستوى من الأرض .

(١١٣)شرح ديوان المتنبى : ٦٦/٣ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١١٤)الغلافق : مفردها الغفلق وهو الطحلب .

(١١٥)الأداحى : أماكن بيض النعام فى الرمل ، والنقانق : إناث النعام .

(١١٦)الودائق : مفردها وديقة ، وتعنى شدة الحر .

(١١٧)الهدير : صوت البعير ، والمهلب : مقطوع الهلب وهو شعر الذنب وفى هذا كناية عن الهوان ، والشقاشق : مفردها شقشقة وهى لهاة البعير التى تكون متدلية حال هيجانه.

(١١٨)شرح ديوان المتنبى : ٦٩/٣ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى (والدماسق : مفردها دمستق) .

(١١٩)الأظعان : مفردها ظعينة وهى المرأة حال كونها فى الهودج ، والوسائق : مفردها وسيقة أى الطريدة من الإبل أو الغنم .

(١٢٠)شرح ديوان المتنبى : ٧٢/٣ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٢١)المصدر نفسه : ٢٠٢/٢ .

(١٢٢)المصدر نفسه : ٢١٢/٢ .

(١٢٣)المصدر نفسه : ٢٠٣/٢ .

(١٢٤)المصدر نفسه : ٢١١/٢ .

(١٢٥)مهار الخيل : صغارها ، وقرح الخيل : كبارها .

=

=

=

(١٢٦)شرح ديوان المتنبى : ٢/٢١٥ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٢٧)اتجاهات جديدة فى شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين : ص٧٧ ، د. فوزى عيسى ، دار العبادى ، الإسكندرية ، ٢٠١٠م .

(١٢٨)شعر المتنبى دراسة فنية : ص٢٠٢ ، د. مصطفى أبو العلا ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة .

(١٢٩)شعر الحرب فى أدب العرب فى العصرين الأموى والعباسى إلى عهد سيف الدولة : ص٣٠٣ ، د. زكى المحاسنى ، دار المعارف ، ط. الثانية .

(١٣٠)شرح ديوان المتنبى : ٢/٣٣٠ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٣١)خرشنة : إحدى بلاد الروم .

(١٣٢)شرح ديوان المتنبى : ٢/٣٣٣ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٣٣)المصدر نفسه : ٢/٣٣٨ وما بعدها .

(١٣٤)المصدر نفسه : ٢/٣٣٥ .

(١٣٥)المصدر نفسه : ٢/٣٣٨ وما بعدها .

(١٣٦)المصدر نفسه : ١/٣٩٦ .

(١٣٧)المصدر نفسه : ٤/٣٠٠ .

(١٣٨)المصدر نفسه : ٤/٢١١ .

(١٣٩)المصدر نفسه : ١/١٨٦ .

(١٤٠)المصدر نفسه : ١/١٨٨ .

(١٤١)المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(١٤٢)المصدر نفسه : ١/١٨٩ .

(١٤٣)المصدر نفسه : ١/١٩٣ وما بعدها .

(١٤٤)المصدر نفسه : ٣/٢١٧ .

(١٤٥)المصدر نفسه : ٢/٣ .

(١٤٦)المصدر نفسه : ٢/٥ .

(١٤٧)المصدر نفسه : ٢/٥ وما بعدها .

(١٤٨)المصدر نفسه : ٢/٦ .

(١٤٩)المصدر نفسه : ١/٣٩٨ .

(١٥٠)المصدر نفسه : ٤/٩٦ .

(١٥١)المصدر نفسه : ٤/٩٩ .

(١٥٢)المصدر نفسه : ٤/٩٩ وما بعدها .

(١٥٣)ذكر بلاشير أن هذا الجيش – من الجنود المنظمين – قد وصل إلى خمسمائة ألف ، انظر (شعر الحرب فى أدب العرب : ص٢٩١ (الحاشية رقم ٢) .

(١٥٤)شرح ديوان المتنبى : ٤/١٠٢ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٥٥)شعر الحرب فى أدب العرب : ص٢٩٣ .

=

=

=

(١٥٦)انظر المرجع السابق : ص٢٩٢ .

(١٥٧)شرح ديوان المتنبى : ١٠٦/٤ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٥٨)الصلال : مفردها صلة وهى تلك الأرض التى يسقط عليها المطر ، بيد أنها تكون واقعة بين منطقتين لم يصبهما المطر .

(١٥٩)شرح ديوان المتنبى : ٢٥٧/٣ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٦٠)المصدر نفسه : ٣٠٧/٤ .

(١٦١)شعر الحرب فى أدب العرب : ص٢٩٣ .

(١٦٢)شرح ديوان المتنبى : ١٢٩/٤ .

(١٦٣)البطريق : لقب كان يطلق على أعظم قواد الروم .

(١٦٤)شرح ديوان المتنبى : ١٣٠/٤ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٦٥)انظر المصدر نفسه : ١٣٧/٤ وما بعدها .

(١٦٦)المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر : ص٢٢٨ ، ابن الأثير الجزرى (ضياء الدين نصر الله) .

(١٦٧)شرح ديوان المتنبى : ٥٥/٣ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٦٨)المصدر نفسه : ٥٦/٣ .

(١٦٩)المصدر نفسه : ٢٣٢/٣ .

(١٧٠)المصدر نفسه : ٣٣٣/٣ .

(١٧١)المصدر نفسه : ٣٣٤/٣ .

(١٧٢)المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(١٧٣)المصدر نفسه : ٢٠١/٢ .

(١٧٤)المصدر نفسه : ١٠٩/٤ .

(١٧٥)المصدر نفسه : ١١٠/٤ .

(١٧٦)المصدر نفسه : ١١٠/٤ وما بعدها .

(١٧٧)المصدر نفسه : ١١٢/٤ .

(١٧٨)المصدر نفسه : ١١٤/٤ .

(١٧٩)المصدر نفسه : ٣٠٠/١ .

(١٨٠)المصدر نفسه : ٢٩٣/١ وما بعدها .

(١٨١)المصدر نفسه : ٣٠٨/١ وما بعدها .

(١٨٢)انظر فى ذلك (الحكمة فى شعر المتنبى : د. يسرى محمد سلامة ، دار المعارف) .

(١٨٣)شرح ديوان المتنبى : ١٣١/٢ .

(١٨٤)المصدر نفسه : ١٣٦/٢ .

(١٨٥)الأنابيب : أى أنابيب الرمح وهى التى تقع بين كل عقدتين فيه ، والصعاد : مفردها صعدة وهى قناة الرمح .

=

=

=

(١٨٦)شرح ديوان المتنبى : ١٣٣/٢ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٨٧)للعراقين : أى عراق العرب ، وعراق العجم الذى كانت نهايته لدى أعمال الرى ، ومعلوم أن عراق العرب كان مسقط رأس الشاعر التائق إلى الظفر بالحكم .

(١٨٨)شرح ديوان أبى الطيب المتنبى (المعروف بمعجز أحمد) : ٢٧/٤ ، أبو العلاء المعرى ، تحقيق : د. عبد المجيد دياب ، دار المعارف بمصر .

(١٨٩)انظر المصدر نفسه : ٤١/٤ ، وانظر كذلك : (الصبح المنبى عن حيثية المتنبى : ص١١١ ، يوسف البديعى ، تحقيق : مصطفى السقا ، ومحمد شتا ، وعبده زيادة ، دار المعارف ، ط. الثانية ، ١٩٧٧م) .

(١٩٠)شرح ديوان المتنبى : ١٥٩/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٩١)انظر (فن المتنبى بعد ألف عام : ص١٧٠ وما بعدها ، إبراهيم العريض ، ط. الكويت ، ط. الثانية ، ١٩٧٣م) .

(١٩٢)الشآبيب : جمع شؤبوب وهو الدفقة من المطر .

(١٩٣)شرح ديوان المتنبى : ٢٩٦/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٩٤)المصدر نفسه : ١٢٨/٢ وما بعدها .

(١٩٥)المصدر نفسه : ١٢٩/٢ وما بعدها .

(١٩٦)انظر شرح ديوان أبى الطيب المتنبى – المعروف بمعجز أحمد – ٧١/٤ .

(١٩٧)انظر المصدر نفسه : ١٠٨/٤ ، وانظر أيضًا (الصبح المنبى عن حيثية المتنبى : ص١١١ ، يوسف البديعى) .

(١٩٨)شرح ديوان المتنبى : ٢٦٨/٤ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(١٩٩)المصدر نفسه : ٣٠٦/١ وما بعدها .

(٢٠٠)المصدر نفسه : ٣٢٤/١ وما بعدها .

(٢٠١)المصدر نفسه : ٣٢٤/١ وما بعدها .

(٢٠٢)مطالعات فى الكتب والحياة : ص١٢٥ وما بعدها ، عباس محمود العقاد ، المطبعة التجارية .

(٢٠٣)المقصود هنا الدكتور منجى الكعبى ، انظر كتاب : (المتنبى مالئ الدنيا وشاغل الناس : ص١١٩ وما بعدها ، مقالات مجموعة ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة العراقية ، سلسلة دراسات –١٦٨) .

(٢٠٤)انظر فى ذلك – على سبيل الذكر لا الحصر – (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ١١٣/١ ، أبو منصور الثعالبى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط. الثانية ، ١٩٧٣م) و(الصبح المنبى عن حيثية المتنبى : ص٩٥ ، يوسف البديعى ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين) و(مطالعات فى الكتب والحياة : ص٢٠٨ ، عباس العقاد ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان) .

(٢٠٥)شرح ديوان المتنبى : ٣٧٣/٤ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٠٦)كان المتنبى ناظرًا فى هذه الحكمة إلى قول الله – عز وجل – : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (سورة الرحمن : الآيتان : ٢٦ ، ٢٧) .

=

=

=

(٢٠٧)انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ٢١/٤ ، ابن خلكان ، مكتبة الثقافة ، بيروت ، لبنان .

(٢٠٨)شرح ديوان المتنبى : ٣٩٤/٣ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٠٩)المصدر نفسه : ٣٩٧/٣ وما بعدها .

(٢١٠)انظر المصدر نفسه : ١٢/٣ وما بعدها .

(٢١١)المصدر نفسه : ١٤٢/٢ وما بعدها .

(٢١٢)المَنية : الموت .

(٢١٣)المصدر نفسه : ١٤٥/٢ وما بعدها .

(٢١٤)كافوريات أبى الطيب المتنبى ، دراسة نصية : ص٤٨ ، د. النعمان القاضى ، مركز كتب الشرق الأوسط ومكتبتها ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

(٢١٥)انظر فيما يتواشج بشراء كافور (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : ١/٤ ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، ط. وزارة الثقافة والإرشاد – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية – تراثنا) .

(٢١٦)انظر المصدر نفسه : ٢/٤ (وثمة رأى آخر مؤداه أن كافورًا كان نوبيًّا) .

(٢١٧)انظر المصدر نفسه : ٢/٤ .

(٢١٨)يبرهن على ذلك ما أورده صاحب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : ٩/٢.

(٢١٩)يشهد بذلك ما أورده صاحب المصدر السالف : ٣/٤ .

(٢٢٠)يعضد هذا ما ورد فى كتاب (ولاة مصر : ص٢٧٢ ، محمد بن يوسف الكندى ، تحقيق : د. حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٥٩م) .

(٢٢١)هذه المدة منها أربع عشرة سنة (خاصة بحكم أنوجور تحت وصاية كافور) وخمس سنوات ونيف (خاصة بحكم على تحت وصايته أيضًا) علاوة على سنتين وأربعة أشهر خلص فيها الحكم لكافور ، انظر (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : ٣٥٠/٣ ، ابن تغرى بردى) .

(٢٢٢)انظر فى ذلك : (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ١٠/٤ ، ابن خلكان – أبو العباس شمس الدين بن أحمد بن محمد بن أبى بكر – تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م) .

(٢٢٣)ممن يمثلون هذا التوجه عبد الرحمن بن حسام الدين المعروف بحسام زاده الرومى ، انظر فى ذلك (رسالة فى قلب كافوريات المتنبى من المديح إلى الهجاء ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار الأمانة – مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط. الأولى ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

(٢٢٤)شرح ديوان المتنبى : ٩/٤ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٢٥)طمرة : فرس عالية وثابة ، وسحوق : نخلة طويلة .

(٢٢٦)شرح ديوان المتنبى : ١١/٤ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٢٧)المصدر نفسه : ١٤/٤ .

(٢٢٨)كانت شيراز فى جنوب بلاد فارس التى غدا اسمها الآن إيران .

=

=

=

(٢٢٩)من المصادر التاريخية التى أومأت إلى كنه الوشيجة بين بنى حمدان والبويهيين : (الكامل فى التاريخ ٤٥٧/٨ ، ٤٥٨ ، ٤٧٧ ، ابن الأثير ، دار صادر ، بيروت ، لبنان).

(٢٣٠)قال المتنبى :

**فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعًا لأمر أمير العرب**

(شرح ديوان المتنبى : ٢٢٥/١ ، عبد الرحمن البرقوقى) .

(٢٣١) انظر : (ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام : ص٢١٥ ، عبد الوهاب عزام) .

(٢٣٢)شرح ديوان المتنبى : ٢٧٦/٢ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٣٣)المصدر نفسه : ٢٧١/٢ .

(٢٣٤)المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢٣٥)شرح ديوان المتنبى : ٢٧٣/٢ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٣٦)المصدر نفسه : ٤١٥/٤ (وتكن حدياها : تكن معارضًا لها) .

(٢٣٧)المصدر نفسه : ٤٠٩/٤ وما بعدها .

(٢٣٨)المصدر نفسه : ١٨/٤ .

(٢٣٩)المصدر نفسه : ١٩/٤ وما بعدها .

(٢٤٠)وردت فى ديوان المتنبى : ص٤٣٧ بتحقيق عبد الوهاب عزام ، وردت كلمة (وهموذان) بدلاً من (وهشوذان) .

(٢٤١)أعيانهم : عيونهم ، والخزر : ضيق العيون ، والقبل (فى الخيل) : إقبال إحدى العينين على الأخرى للشعور بالعزة .

(٢٤٢)الرى : بلد كان واقعًا بين أرض فارس وخراسان ، وقد اتخذ ركن الدولة الرى قاعدة انطلاق له ، وفصلوا : المراد خرجوا ، وقفلوا : عادوا .

(٢٤٣)الراح : مفردها راحة ، والمقصود بها باطن كف اليد .

(٢٤٤)شرح ديوان المتنبى : ٢٢/٤ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٤٥)الضمير فى قول المتنبى : " تسأل أهلَ " عائد على الخيل .

(٢٤٦)شرح ديوان المتنبى : ١٧٧/٢ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٤٧)مع المتنبى : ص٣٦٧ ، د. طه حسين .

(٢٤٨)هو الدكتور جابر عبد الرحمن يحيى ، صاحب كتاب (المبالغة فى الشعر العربى فى العصر العباسى ، مؤسسة سعيد للطباعة ، طنطا ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م) .

(٢٤٩)شرح ديوان المتنبى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان : ٢٦/٤ ، أبو البقاء العكبرى، ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

(٢٥٠)المصدر نفسه : ٢/١ وما بعدها .

(٢٥١)المصدر نفسه : ٢٨٢/١ .

(٢٥٢)المصدر نفسه : ٣٠٢/٤ .

=

=

=

(٢٥٣)المصدر نفسه : ٧٥/١ .

(٢٥٤)المصدر نفسه : ٢٥١/٣ .

(٢٥٥)المصدر نفسه : ٣٨٤/٣ .

(٢٥٦)شرح ديوان المتنبى : ١٠٣/٤ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٥٧)سورة الجن : الآية ٢٦ .

(٢٥٨)المصباح : ص ٢٤٣ ، بدر الدين بن مالك ، تحقيق : د. حسنى عبد الجليل ، مكتبة الآداب ، القاهرة (د.ت) .

(٢٥٩)بحوث المطابقة لمقتضى الحال صورها وعلاقتها بالنقد الأدبي الحديث : ص١٤٩ ، على البدرى ، مكتبة النهضة المصرية ، ط. الأولى ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

(٢٦٠)الفكاهة أصولها وأنواعها فى الأدب : ص١٧٧ ، د. أحمد الحوفى ، نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

(٢٦١)شرح ديوان المتنبى : ٣٨٠/٤ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٦٢)المصدر نفسه : ١٧٩/٤ وما بعدها .

(٢٦٣)المصدر نفسه : ٢٨٢/٤ .

(٢٦٤)المصدر نفسه : ٤٣٣/٤ .

(٢٦٥)المصدر نفسه : ١٦٧/١ وما بعدها .

(٢٦٦)المصدر نفسه : ١٤٢/٢ وما بعدها .

(٢٦٧)شرح ديوان المتنبى : ١٨٨/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٦٨)المصدر نفسه : ٢٢٧/٣ وما بعدها (والخطية : الرماح ، وهى منسوبة إلى الخط أحد مواضع اليمامة ، وكان مشهورًا بجودة رماحه) .

(٢٦٩)المصدر نفسه : ٢٠٧/٣ .

(٢٧٠)المصدر نفسه : ١٣٦/٤ .

(٢٧١)البُهَم : الأبطال ذوو الشجاعة المتناهية .

(٢٧٢)شرح ديوان المتنبى : ٨٢/٤ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٧٣)المصدر نفسه : ١٨٧/١ .

(٢٧٤) سورة المجادلة : من الآية ٢٢ .

(٢٧٥)القيل : هو الملك (بلغة حمير) وقد خلع المتنبى على هذا الممدوح هذه الصفة ، انظر شرح ديوان المتنبى : ٢٨٦/٣ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٧٦)المصدر نفسه : ٢٨٧/٣ .

(٢٧٧)سورة التوبة : من الآية ٢٥ .

(٢٧٨)شرح ديوان المتنبى : ٢٩٥/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٧٩)انظر سورة يوسف : الآية ٩٦ .

(٢٨٠)انظر شرح ديوان المتنبى : ٣٠٥/٢ ، عبد الرحمن البرقوقى .

=

=

=

(٢٨١)المصدر نفسه : ٣٠٧/٢ .

(٢٨٢)المصدر نفسه : ٢٣٢/١ .

(٢٨٣)سورة التوبة : من الآية ٣٠ .

(٢٨٤)شرح ديوان المتنبى : ٣٩٩/١ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٨٥)سورة الأنفال : من الآية ١٧ .

(٢٨٦)يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ج١ ص٢٤ ، الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٨م (وقد انفرد الثعالبى بإيراد هذه الأبيات التى خلا منها ديوان المتنبى) .

(٢٨٧)شرح ديوان المتنبى : ١٣٤/٢ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٨٨)المصدر نفسه : ٦٠/٤ (ونجاد السيف : حمالته ، وقائمه : مقبضه) .

(٢٨٩)ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى : ٢٧/٣ ، تحقيق : محمد عبده عزام ، دار المعارف ، ط. الرابعة .

(٢٩٠)قال المتنبى مادحًا سيف الدولة الحمدانى :

**فأنت حسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد**

(شرح ديوان المتنبى : ٤٠٠/١ ، عبد الرحمن البرقوقى) .

(٢٩١)المصدر نفسه : ٢٢٨/٣ .

(٢٩٢)ديوان أبى تمام بشرح الطيب التبريزى : ١٦٤/١ .

(٢٩٣)شرح ديوان المتنبى : ١٦٤/٣ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٢٩٤)المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢٩٥)المصدر نفسه : ٥٤/٤ .

(٢٩٦)الموازنة بين أبى تمام والبحترى : ص٥٨ ، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان (د.ت) .

(٢٩٧)ديوان النابغة الذبيانى : ص٦ .

(٢٩٨)الموازنة بين أبى تمام والبحترى : ص٥٩ ، الآمدى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٢٩٩)الموازنة بين أبى تمام والبحترى : ص٥٩ ، الآمدى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٣٠٠)شرح ديوان صريع الغوانى : ص١٢ ، تحقيق : د. سامى الدهان ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. الثالثة (د.ت) .

(٣٠١)ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى : ٨٢/٣ ، تحقيق : محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. الرابعة .

(٣٠٢)كرر المتنبى هذا المنحى فى موضع آخر عبر قوله :

**سحاب من العقبان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت سقته صوارمه**

(شرح ديوان المتنبى : ٥٦/٤ ، عبد الرحمن البرقوقى) .

=

=

=

(٣٠٣)الحيوان : ١٣١/٣ وما بعدها ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط. مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

(٣٠٤)بلاغة الخطاب وعلم النص : ص٦٣ ، د. صلاح فضل ، عالم المعرفة (١٦٤) الكويت ، ١٩٩٢م .

(٣٠٥)لسان العرب : مادة (عدل) ، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين) دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ط. الثانية ، ١٩٩٢م .

(٣٠٦)تعن هذه العناية عبر كتابه (بنية اللغة الشعرية : ص١٠ وما بعدها ، ترجمة : محمد الوالى ، ومحمد العمرى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٦م.

(٣٠٧)انظر فى ذلك : الخصائص : ٤٤٢/٢ ، ابن جنى – أبو الفتح عثمان – دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان (د.ت) ، وانظر أيضًا : (العدول أسلوب تراثى فى نقد الشعر : ص١٢ ، د. مصطفى السعدنى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م) .

(٣٠٨)البلاغة والأسلوبية : ص٢٦٩ ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – ط. الأولى ، ١٩٩٤م.

(٣٠٩)شرح ديوان المتنبى : ٦/٢ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٣١٠)المصدر نفسه : ١٩/٣ .

(٣١١)المصدر نفسه : ١٠٣/٤ .

(٣١٢)العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢٧٧/١ ، ابن رشيق القيروانى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط. الخامسة ، ١٩٨١م .

(٣١٣)شرح ديوان المتنبى : ٤٦/٣ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٣١٤)المصدر نفسه : ٤١/٣ .

(٣١٥)المصدر نفسه : ٢١٣/١ (والسخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ، ليس فيها من الجوهر شىء ، يلبسها الصبيان ، وجمعها سخب) .

(٣١٦)المصدر السابق : ٥٩/٤ .

(٣١٧)عنى الأستاذ عبد الوهاب عزام بتناول ذلك عبر كتابه (ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام : ص١٩٠ وما بعدها ، دار المعارف بمصر ، ط. الثانية ، ١٩٥٦م) .

(٣١٨)شرح ديوان المتنبى : ٣٣٠/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٣١٩)ورد فى بعض المصادر ما يدحض هذا الرأى ، بإثبات إنكار إنشاد هذه القصيدة من قِبل المتنبى انظر (الفسر – شرح ديوان المتنبى – : ٦٣٤/٢ ، ابن جنى ، تحقيق : رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، سوريا) .

(٣٢٠)انظر (مع المتنبى : ص٤٥ ، ص٣٧٥ ، د. طه حسين) .

(٣٢١)سبق تبيان حيثيات عدم قرمطية المتنبى لدى تناول (النزعة الثورية) ضمن بواعث شعر التيار السياسى لدى المتنبى .

=

=

=

(٣٢٢)انظر : (المتنبى – السفر الأول – ص٢٧٨ وما بعدها ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ، ١٩٧٧م) .

(٣٢٣)حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : ١٦٨/١ ، جلال الدين السيوطى ، ط. مصر .

(٣٢٤)انظر (المتنبى : ٢٧٨/١ وما بعدها ، محمود محمد شاكر) .

(٣٢٥)انظر (المنتظم : ج١٤ ص١٦٥ ، ابن الجوزى – أبو الفرج عبد الرحمن بن على ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط. الأولى ، ١٩٩٢م) وانظر فى هذا الشأن أيضًا (البداية والنهاية : م١١ ص٢٧٣ ، ابن كثير الدمشقى ، تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار الحديث ، القاهرة ، ط. الأولى ، ١٩٩٢م) .

(٣٢٦)انظر فى تعليل ذهاب المتنبى إلى ابن العميد (ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام : ص١٧٧ وما بعدها ، عبد الوهاب عزام) .

(٣٢٧)الواضح فى مشكلات شعر المتنبى (بتصرف) : ص١٩ وما بعدها ، الأصفهانى – أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن – تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م .

(٣٢٨)عنيت بعض المصادر والمراجع بتسليط الضوء على سيرة عضد الدولة البويهى ، انظر (الكامل فى التاريخ : مجلد ٨ ص٧٠٤ ، ومجلد ٩ ص١٨ – ٢٢) و(أبو الطيب المتنبى ، دراسة فى التاريخ الأدبى : ص٤١٩ وما بعدها ، د. ر. بلاشير ، ترجمة : إبراهيم الكيلانى ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، دمشق ، سوريا ، ١٩٧٥م) .

(٣٢٩)شرح ديوان المتنبى : ١٦٥/١ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٣٣٠)الواضح فى مشكلات شعر المتنبى : ص٢١ ، الأصفهانى (أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن) .

(٣٣١)شرح ديوان المتنبى : ١٢٣/٣ ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٣٣٢)مدخل إلى شعر المتنبى : ص١٣٢ ، حسين الواد ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ١٩٩١م .

(٣٣٣)قال المتنبى يخاطب كافورًا :

**إنما التهنئات للأكفاء ولمن يدنى من البعداء**

**وأنا منك لا يهنئ عضو بالمسرات سائر الأعضاء**

(شرح ديوان المتنبى : ١٥٦/١ ، عبد الرحمن البرقوقى) .

(٣٣٤)المصدر نفسه : ١٣١/٣ .

(٣٣٥)الفهر : الحجر المستخدم فى سحق الطيب .

(٣٣٦)المداك : الصلاية المستعملة فى دق الطيب وسحقه .

(٣٣٧)الدراكا : المتتابع .

(٣٣٨)شرح ديوان المتنبى : ١٣٣/٣ وما بعدها ، عبد الرحمن البرقوقى .

(٣٣٩)انظر الصبح المنبى عن حيثية المتنبى : ص١٧٤ ، يوسف البديعى .

(٣٤٠)انظر المصدر السابق : ص١٧٤ وما بعدها .

(٣٤١)انظر – فى مقتله – المصدر نفسه – ص١٧٠ .